تم الطالب بعمل كافة الإصلاحات التي طلبت منه

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم

في ضوء الكتاب والسنة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

حسن نور حسن

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور: **أحمد أحمد غلوش**

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر وتقديـــــر

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن شكر النعمة أمر واجب لمعطيها ولمن كان سببا لهـــا لقوله تعالى :

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمّه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾ سورة لقمان : ١٤

ومن هذا المنطلق ،أشكر الله تعالى على ما أسداه إليّ من نعم وفضـــل وبخاصة نعمة التوفيق والانتساب لجامعة أم القرى العريقة لأنهل من مواردهـا الصافية وبخاصة في مجال دراسة علوم القرآن والحديث .

وبعد شكر الله تعالى أتوجه بالشكر لعباده الخيريـن القائمين على أمـر الجامعة وعلى رأسهم معالي مديرها .

كما أنّي أشكر القائمين على أمر كلية الدعوة وأصول الدين وعلى رأسهـــم سعادة عميد الكلية وسعادة وكيله وسعادة رئيس قسم الكتاب والسنة .

ولا يفوتني أن أوجه الشكر لسعادة الأستاذ الدكتور أحمد أحمد غلوش على ما بذله معي في هذه الرسالة من نصح خالص وتوجيه سديد وإرشاد مستمر ، وتشجيع صادق .

وأشكر لكل من ساعدني ولو بالدعاء والأماني الطيبة وجزى الله الجميع كل خـير .
والله الموفق .

المقدمة

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله صحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد :

فإنّ كل مسلم مخلص يجد نفسه مرتبطا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - صاحب الفضل في إيصال الإسلام إلى الناس كافة فهو الذي بواسطته جاء الوحي بشقيه القرآن والسنة إلى البشر أجمعين ، يأخذون منهما منهج السعادة في الدنيا والآخرة .

وقد أراد الله - سبحانه وتعالى - بفضله ومنّه الخير لي إذ جعلني من طلاب العلم الذين يدرسون العلوم الشرعية ، وبالأخص علوم القرآن الكريم والسنة النبوية اللذين هما مصدرا الإسلام الأساسيان .

وهذه نعمة من نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى :

﴿ وأن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ... ﴾ . (١)

وأشكر الله على ذلك آملا في المزيد .

﴿ ... لئن شكرتم لأزيدنكم ... ﴾ . (٢)

---

(١) سورة النحل : ١٨ .

(٢) " إبراهيم : ٧ .

وقد إزداد هذا الخير بأن مكّنني الله من الاستمرار في نفس التخصص في مرحلة الدراسات العليا حيث قبلت بالدراسات العليا الشرعية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى فرع الكتاب والسنة في بلد الله الحرام الذى تهوى إليه أفئدة المؤمنين من أنحاء المعمورة تحقيقا لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - كما حكى لنا القرآن الكريم .

﴿ ربّنا إنّي أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربّنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ (١)

وهذه نعمة أخرى أحمد الله سبحانه وتعالى عليها وأشكره وأنا راض سعيد ، حيث إزدادت صلتي بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وتحققت أمنيتي بالاستمرار في هذا الطريق الحبيب.

ولمّا حان موعد اختيار موضوع رسالتي للماجستير لم أجد أفضل من أن أعيش مع صاحب الرسالة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى جعله الله أسوة وقدوة للمؤمنين ليقتدوا به . حيث يقول سبحانه :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ . (٢)

وقد عشت مع هذا الأمل ووفقني الله لاختيار موضوع (**التأدّب مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - في ضوء الكتاب والسنة**

---

(١) سورة إبراهيم : ٣٧ .

(٢) سورة الأحزاب : ٢١ .

عســــــاى أن أوضح هذا الجانب الهام الذى يحتاج إليه البشر عموما والمسلمون على وجه الخصوص .

وأهمية كل دراسة ترتبط بموضوعها . وبذلك يأخذ موضوعى هــــذا أهمية كبرى لتعلقه بأسلوب التعامل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسنته وتعاليمه حيا وميتا .

فلقد أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحق للنـــاس جميعا ، يدعوهم للهدى ، ويوجههم للخير ، ويحرص على تحقيـــق المصلحة يقول تعالى :

* وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيرا ونذيرا ... * . (١)

ويقول تعالى :

* ياأيها النبى إنّا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيـــا إلى الله باذنه وسراجا منيرا * . (٢)

ويقول تعالى :

* ... وإنّك لتهدى إلى صراط مستقيم * . (٣)

ويقول تعالى : * لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتـــم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم * . (٤)

ولرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضل على أمته ، فلقـــد بلغهم الوحى ونصحهم وأتم لهم الدين وكمل لهم الرسالة وأدى الأمانة المكلف بها من قبل الله على أتم وجه بشهادة الصحابة فـــى حجة الوداع حينما قال لهم أثناء خطبته بوادى عرنة يوم عرفة قـــال:

---

(١) سورة سبأ : ٢٨ .

(٢) سورة الأحزاب : ٤٥ - ٤٦ .

(٣) سورة الشورى : ٥٢ .

(٤) " التوبة : ١٢٨ .

(وأنتم مسؤولون عنّي فما أنتم قائلون ؟) قالوا : نشهد أنّك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها (١) إلى الناس : (اللهم اشهد اللهم اشهد) ثلاث مرات . (٢)

وقد منّ الله على المؤمنين ببعثته - صلى الله عليه وسلم - فيهم معلما ومزكيا ورسولا يأخذ هم إلى طريق الفوز والنجاة . يقول تعالى :

﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ . (٣)

يقول بعض المفسرين .

" إعلم أنّ بعثة الرسول إحسان من الله إلى الخلق ثم انّه لمّا كان الإنتفاع بالرسول أكثر كان وجه الإنعام في بعثه الرسل أكثر . وبعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - كانت مشتملة على ألأمرين :

---

(١) ينكتها بتاء مثناة من فوق في رواية مسلم والصواب ينكبها بباء موحدة كما قال القاضي عياض ومعناه يقلبها ويرددها إلى الناس مشيرا إليهم من نكب كنانته إذا قلبها . هكذا في شرح النووي على صحيح مسلم ٨ / ١٨٤ ، ويشهد له رواية أبي داود وابن ماجه حيث وردت فيها بالباء الموحدة .
انظر سنن أبي داود ، كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبي - صلى الله عليه وسلم - ٢ / ٨٥ ، وسنن ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب حجة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ٢ / ١٠٢٥ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي - صلى الله عليه وسلم - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - .

(٣) سورة آل عمران : ١٦٤ .

أحدهما : المنافع الحاصلة من أصل البعثة .

الثانـي : المنافع الحاصلة بسبب ما فيه من الخصال التي ماكانـت موجودة في غيره .

أما المنفعة بسبب أصل البعثة فهي التي ذكرها الله تعالـى في قوله ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين ائلا يكون للناس على الله حجـة بعد الرسل . . . ﴾ (١) الآية .

وأمّا المنافع الحاصلة بسبب ما كان في محمد - صلى اللـه عليه وسلم - من الصفات فأمورذكرهااللهتعالى في هذه الآية " (٢)

والخصال التي تشير إليها هذه الآية هي : أنّه - صلى الله عليه وسلم - من أنفسهم لا من غيرهم من الأجناس الأخرى من الأمـم ولا من المخلوقات الأخرى كالملائكة وأنّه يبلغ إليهم الوحي ويزكيهـم من كل مخلفات الجاهلية من عبادة الأصنام والأوثان ويعلمهـم القرآن والسنة مع أنّهم كانوا قوما أميين كما تشيرإليه آيةأخرى وهيقوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهـم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضـلال مبين ﴾ (٣) .

وكما منّ الله تعالى على المؤمنين ببعثة محمد - صلى اللـه عليه وسلم - فيهم ، وجههم إلى ضرورة التأدّب معه وذلك يتم بعدة

---

(١) سورة النسـاء : ١٦٥ .

(٢) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ٩ / ٧٨ .

(٣) سورة الجمعة : ٢ .

وجوه تشير اليها الآيات التالية :

يقول تعالى : ﴿...وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (١)

ويقول تعالى : ﴿ ياءيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله . . . ﴾ (٢) .

ويقول تعالى : ﴿ ياءيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض . . . ﴾ (٣) .

ويقول تعالى : ﴿ . . . ياءيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ (٤)

ويقول تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا . . . ﴾ (٥) .

ومجمل الآيات يوضح مسوءولية المسلم إزاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ناحية الطاعة العملية والاعتقاد القلبى والسلوك الخلقى والكيفية التى يجب على المسلم أن يتعامل بها مع النبى - - صلى الله عليه وسلم ومع شرعه حيّا وميّتا .

وعلى الجملة أهمية الموضوع تنحصر فيما يلى :

أولا : انّ المسلم يجد نفسه مرتبطا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذكره أناء الليل وأطراف النهار - فهو يشهد له بالرسالة فى كلمة التوحيد وفى التشهد وفى الآذان ويصلى عليه فى الصلوات المكررة كل يوم وبراه في كل عبادة وحياة المومن كلها عبادة وحيث انّ الأمر كذلك فهو فى حاجة الى أن يعرف مقام رسول الله بحق حتى يتأدّب معه بطريقة مشروعة وبمنهج مثاب عليه .

---

(١) سورة الحشر : ٧ .

(٢) " الحجرات : ١ .

(٣) " " : ٢ .

(٤) " الأحزاب : ٥٦ .

(٥) " النور : ٦٣ .

ثانيا : هناك من الناس من يغفل عن التأدب مع رسول الله ـ من جهل أو عن تقصير . ويحتاج هذا الأمر إلى بيان كيفية التأدب مع رسول الله لكي يلتزم المقصر بإقتناع ويصحو الغافل بعلم .

ثالثا : وهناك فريق من المسلمين يغالون في التأدّب مع الرسول ويتصورون المغالاة دينا . ولذا وجب أن يحدد الأدب المشروع بدليله الصحيح لتبطل المغالاة ، ويستقيم الناس على الحق والصواب .

رابعا : ظهر بعض مذاهب منحرفة تدعى حب الرسول والتوجه إليه بأدب ، وتخترع في سبيل ذلك شرائع عقائد بقصد تشويه تعاليم الإسلام الصحيحة ، وصرف المسلمين من حقيقة الإسلام وتطبيقاته ، وهذا أمر يحتاج إلى التصدى بالعلم وبالأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة ليتبين الرشد من الغى ويحيا من يحيا عن بيّنة ، ويضل من يضل عن بينة كذلك .

خامسا : الأدب مع الرسول بصورة عامة من القضايا التى يحتاج إليها كل مسلم في كل عصر ومصر ، ولذا فإن جمعه في مؤلف واحد يوضح الطريق وييسر الاستفادة أمر يستحق الاهتمام وخاصة في عصرنا الحاضر المليء بالنظريات الهدامة

ولتحقيق تلك الأهداف التى أشرت إليها إتبعت منهجا علميا يعتمد على الأسس التالية :

(أ) قسّمت الموضوع إلى أبواب وفصول ومباحث حسب ما تتطلبه الدراسة وعلى ضوء ما جاء في الخطة .

(ب) فى كل مبحث أبيّن المراد منه ثم أوضّح آراء العلماء فيه .

(جـ) أورد أدلة كل فريق من العلماء فى المسائل المختلف فيها مع توجيه الأدلة نحو الرأى التى سيقت له كما ذكر العلماء أنفسهم

(د) أعقد مناقشة بين الأدلة وذلك بمواجهة أدلة كل فريق بأدلة معارضيه .

(هـ) أنتهى من المسألة ببيان الرأى الراجح مع بيان وجه الترجيح .

وقد إعتمدت على القرآن الكريم والسنة النبوية وعلى عديد من المصادر والمراجع الأصلية التى لها صلة بالموضوع ككتب التفسير وكتب السنة وشروحها وكتب السيرة والمغازى وكتب الشمائل والخصائص وكتب العقيدة والفرق ، وكتب الفقه وأصوله . وغيرها من الكتب .

(و) بالنسبة لآيات القرآن وأحاديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فسوف أجعلها فى قوسين واحد فى بدايتها وآخر فى نهايتها مع وضع نقاط فى البداية إذا كان النص جزءا ممّا قبله ، وأمّا إذا كان ما بعده جزءا منه فسوف أضع النقاط فى آخر الكلام لبيان أنّ النص لم ينقل بأكمله ، وأمّا اذا حذفت بعض النص من الوسط فسوف أضع النقط فى الوسط للعلة نفسها بشرط أن يكون الحديث من كلام النبى - صلى الله عليه وسلم - .

وبالنسبة للنصوص المقتبسة من غير القرآن الكريم والسنة النبوية فسوف أحصرها بعلامات الاقتباس " " هكذا مع وضع النقاط فى مواطن الحذف التى أشرت إليها .

وكل هذا فى النصوص التى لم أتعرض لها بالتصرف ، وأمّا إذا

أحلتها إلى أسلوبي الخاص فسوف أكتفي بالإشارة إلى مصدرها أو مرجعها في الهامش مع الذكرأني تصرفت فيها تحقيقا للأمانة العلمية .

وسوف أقوم أيضا بعزو كل نص مقتبس إلى موضعه الأصلي وفق المنهج الآتي :

أولا : النصوص القرآنية . أشير في الهامش إلى اسم السورة ورقم الآية .

ثانيا : أما النصوص النبوية فسوف أقوم بعزوها إلى مصادرها الأصلية مكتفيا بمصدر واحد إذا لم يكن هناك ما يقتضي ذكر أكثر من مصدر مع الإشارة إلى اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة . في الهامش .

وبالنسبة لدرجة الحديث ، فسوف أذكر من نص من الأئمة على ذلك صحة وضعفا إذا كان في غير الصحيحين لإتفاق الأمة على قبول ما ورد فيهما مرفوعا سندا .

ومن ناحية أسانيد الأحاديث فلا أتطرق إلى رجالها إلا ماورد في الباب الثالث من هذه الرسالة وخاصة أسانيد الأحاديث من طرف الخصم المرجوح مع الاكتفاء بذكر الرجل المجروح من قبل أئمة هذا الشأن لا كل الرجال في السند لحصول الغرض بواحد أو اثنين منهم في مقام التضعيف والرد بعكس ماهو مطلوب في مقام التصحيح والقبول إذ أن وجود رجل واحد في السند يكفي لرد قبول الإحتجاج بالحديث وليس العكس كما هو معلوم .

ثالثا : من ناحية النصوص المقتبسة من كتب المعاجم والقواميس فأذكر المادة أحيانا مع الإشارة إلى اسم الكتاب والجزء والصفحة

رابعا : من ناحية النصوص المقتبسة من المراجع والمصادر غير ما ذكرت فسوف أقوم بعزوها إلى مرجعها مع الإشارة إلى الاسم المتعارف عليه للكتاب والجزء والصفحة فى الهامش وأؤخر اسم الكتاب كاملا فى ثبت المراجع مع ذكر الطبعة وتاريخها ودار النشر ومكانها إن أمكن .

خامسا : بالنسبة لمؤلفى المصادر والمراجع فلا أتطرق إلى الترجمة لكل واحد بل أكتفى بذكر اسمه المشهور مع كتابه فى أول وروده وأؤخر ذكر اسمه الكامل مع كتابه فى ثبت المراجع إذا كان المؤلف من المشهورين أو المعاصرين ، وأمّا غيرهم فسوف أضيف إلى ذلك ترجمة موجزة لهم أذكر فيها أسماءهم كاملة وتاريخ ولادتهم ووفاتهم كلما أمكن ذلك .

هذا هو المنهج الذى اتبعته مع النصوص الواردة فى هذا البحث ، وقد جاء مشتملا على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

ففى المقدمة - فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وسبب اختيارى له ، والمنهج الذى اتبعت فى بحثه ، وأهم المشاكل التى واجهتنى وخطة البحث باجمال .

وأمّا فى التمهيد - فقد تحدثت فيه عن تعريف الأدب فى اللغة وفى الاصطلاح وضرورة الالتزام بالتأدّب مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة .

وفي الباب الأول ـ تحدثت فيه عن أسباب قيام الأمة بالأدب مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكرت فيه نسبه الطاهر وتربيته وأهم صفاته قبل النبوة وبعد النبوة ومواقفه من المشركين المعاندين لرسالته من احتمال الأذى وعدم خضوعه لمغرياتهم . وإكمال الدين على يديه .

وفي الباب الثاني ـ وهو أهم الأبواب ـ فقد تحدثت فيه عن أنواع الأدب مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وقد قسّمتها إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : الأدب القلبي ـ وهو ماكان محله القلب كالإيمان بنبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومحبته .

النوع الثاني : الأدب القولي ـ وهو ما كان محله اللسان . مثل الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

النوع الثالث : الأدب العملي ـ وهو ما كان محله الجوارح غير اللسان مثل إتباعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتنفيذ أمره .

وفي الباب الثالث ـ فقد تحدثت فيه عمّا ينافي التأدب مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن كان يقصد فاعله التأدب بعينه عن جهل أو تأويل أو غير ذلك مثل الاحتفال بمولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشد الرحال إلى قبره ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون مسجده وغيرها من البدع الأخرى التي تصحب ذلك أو تفعل في مسجده ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وفى الخاتمة ، فقد ذكرت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها أثناء البحث .

ولا شك أنّ عملا كهذا يتطلب جهدا كبيرا لانجازه حتى يخرج إلى حيز الوجود فى أكمل صورته .

وقد بذلت جهدا متواصلا تجاه هذا البحث مع أنّى لاقيت صعوبات كثيرة وأهمها ما هو متعلق بمراجع الموضوع من بحث وتنقيب فى الكتب المطبوعة وغير المطبوعة ومن تنسيق وترتيب واستنباط وغير ذلك .

وأخيرا : أسجّل هنا أهم الصعوبات التى واجهتنى :-

(أ) لم أجد من تكلم عن هذا الموضوع فى مؤلف واحد مما كلفنى مراجعة بطون الكتب التى لها صلة بهذا الموضوع من قريب ومن بعيد ككتب التفسير وكتب الحديث وشروحها وكتب السيرة والمغازى وكتب الشمائل وغير ذلك من مطبوع ومخطوط .

(ب) الذين تطرقوا إلى موضوع من مواضيع هذه الرسالة ينقسمون إلى فئتين :

الفئة الأولى - تذكر النصوص الواردة فى المسألة من القرآن والسنة سردا دون تعليق . وأمّا الفئة الثانية فهى على نقيض ذلك إذ تخصص كتابا كاملا لموضوع من موضوع رسالتى وتتكلم عنه بالتفصيل ، وحينئذ أجد صعوبة فى إستخلاص

المعلومات التى تتمشى مع حجم رسالتى وخاصة المبحث الذى خصصت لتلك المسألة إذ أنّ كتابا واحدا من تلك المؤلفات يوازى مافى هذه الرسالة أو أكثر ، فما بال المبحث الذى هو جزء من فصل ضمن باب من رسالة مكونة من عدة أبواب .

(جـ) بعض المراجع لهذا الموضوع ما زالت مخطوطة ولم أتمكن من الوصول إليها ، ولذلك إضطررت إلى إقتباس بعض النصوص المعزوة إلى تلك المخطوطات من مراجع فرعية .

(د) بعض المراجع التى رجعت إليها واقتبست منها يعزوا أصحابها بعض النصوص التى لها علاقة وثيقة بالموضوع إلى شخص غير مشهور ويذكرون كنيته أو نسبته إلى قبيلة ، أوبلد دون المؤلف أو الاسم الكامل للشخص والقرن الذى عاش فيه مع أنّ هذه النسبة أو الكنية مشتركة بين عدة أشخاص عاشوا قبل صاحب ذلك المرجع أو من أقرانه ، وحينئذ أجد صعوبة فى الوصول إلى الشخص المقصود به .

تمہید

التمهيـــد :

يحتاج موضوع بحثى هذا " **التأدّب مع الرسول - صلى الله عليه وسلم** " إلى بيان بعض المسائل التى تبيّن المراد منه حتـى تكون الدراسـة محـددة من ناحية الموضوع ومن ناحية الهدف معا .

وهذه المسائل هى :

١ - بيان المراد بالتأدّب مع الرسول - صلى الله عليه وسلـم - .

٢ - ضرورة الالتزام فى التأدّب معه - صلى الله عليه وسلـم - بما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية .

وسوف أتناول بحث هاتين النقطتين فيما يلى :

١ – بيان المراد بالتأدّب مع الرسول – صلى الله عليه وسلم –:

التأدّب مصدر من الفعل الخماسي تأدّب بتشديد الدال ، وله معان متعددة يشترك فيها مع كلمة الأدب مع الزيادة بسبب ما فيها من تضعيف . ولذا حسن أن أبدأ ببيان معنى الأدب أولا ، وبعدها أبيّن معنى التأدّب مع ملاحظة الفرق بين الصيغتين .

أ – الأدب في اللغة :

يقول إبن فارس :(١)

" الهمزة والدال والباء أصل واحد تتفرع مسائله وترجع إليه ، فالأدب أن تجمع الناس إلى طعامك ، ومن هذا القياس . الأدب – أيضا – لأنّه مجمع على استحسانه . . . "(٢)

ولهذا قال ابن منظور :(٣)

" أصل الأدب : الدعاء ".(٤)

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٥هـ
انظر ترجمته في بغية الدعاة للسيوطي ١ /٣٥٢ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ١ /٧٤ – ٧٥ .

(٣) هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل المتوفى سنة ٧١١هـ .
انظر ترجمته في بغية الوعاة ١ /٢٤٨ .

(٤) لسان العرب ١ /٢٠٦ .

هذا أصل كلمة الأدب ، وأمّا عن اشتقاقها ، فيقول الجواليقى : (١)

" واشتقاقه من شيئين يجوز أن يكون من الأدب وهو العجب ومن الأدب مصدر قولك : أدب فلان القوم يأدبهم أدبا بالكسر إذا دعاهم ... ثم قال : فإذا كان من الأدب الذى هو العجب فكأنّه الشيء الذى يعجب منه لحسنه ولأنّ صاحبه هو الرجل الذى يعجب منه لفضله ، وإذا كان من الأدب الذى هو العجب فكأنه الشيء الذى يدعو الناس إلى المحامد والفضل وينهاهم عن المقابح والجهل ". (٢)

وأمّا عن إستعمالاتها فيقول الشيخ أحمد رضا :

" الأدب : ملكة تقصى من قامت به عن كل ما يشينه ، ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان من فضيلة من الفضائل : حسن الخلق ، فعل المكارم ، الظرف ، حسن التناول ، وهذا كله أدب النفس . والأدب : درس العلوم العربية مولد ، وهذا أدب الدرس ". (٣)

ولهذا قال الجوهرى : (٤)

" الأدب : أدب النفس والدرس ، تقول منه : أدب الرجل

---

(١) هو أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ، وقيل غير ذلك .
انظر ترجمته فى بغية الوعاة ٢ / ٣٠٨ .

(٢) شرح أدب الكتب للجواليقى ١٣ .

(٣) معجم متن اللغة ١ / ١٥٣ .

(٤) هو إسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ ،

===

بالضم فهو أديب وأدّبته فتأدّب ". (١)

ومعنى ذلك أنّ لكلمة الأدب إستعمالين : حسن الخلق ودرس العلوم العربية .

وهذا ما عبّر عنه ابن هذيل (٢) بالأدب الطبيعي والأدب الكسبي . حيث قال :

" فالطبيعي ما يفطر عليه الإنسان من الأخلاق الحسنة السنية والاتصاف بالصفات العرضية مثل الحلم والكرم وحسن الخلق والحياء والتواضع والصدق وغير ذلك من الصفات الحميدة .
والكسبي : فهو ما يكتسبه الإنسان بالدرس والقراءة والحفظ والنظر ، وهو عبارة عن ستة أشياء : الكتاب والسنة والنحو ، واللغة والشعر ، وأيام الناس ". (٣)

والاستعمال الأول هو الشائع ولهذا قال الجواليقي :
" والأدب الذى كانت العرب تعرفه هو ما يحسن من الأخلاق وفعل المكارم مثل ترك السفه ، وبذل المجهود وحسن اللقاء ". (٤)
وأمّا الاستعمال الثاني : فهو اصطلاح مولد جاء بعد الإسلام .

=== وقيل : في حدود الأربعمائة . انظر ترجمته في بغية الوعاة ١ /٤٤٦ - ٤٤٧ .

(١) الصحاح : ١ /٨٦ .

(٢) أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل ، من أعيان القرن الثامن .

(٣) عين الأدب : ٩٥ .

(٤) شرح أدب الكاتب : ١٣ .

يقول الجواليقى :

" واصطلح الناس بعد الإسلام بمدة طويلة على أنّ يسمّوا العالم بالنحو والشعر وعلوم العربية أديبا ، ويسمون هذه العلوم أدبا . وذلك كلام مولد ، لأنّ هذه العلوم حدثت فى الإسلام ".(١)

وخلاصة القول أنّ كلمة الأدب كانت تطلق عند العرب على الأخلاق الحسنة ، وأمّا بعد الإسلام فقد أطلق بجانب ذلك على الكلام الحسن والجيد من الأقوال سواء كان نثرا أو شعرا .

والاستعمال الأول هو الذى يتمشى مع مقامنا هذا .

ولهذا نقول :

انّ كلمة الأدب فى بحثى هذا تعنى الأخلاق الحسنة والإتصاف بالصفات الحميدة .

وعلى ضوء معنى الأدب المذكور يمكن فهم المراد من التأدّب لأنّهما من أصل واحد ، ويشتركان فى معان كثيرة مع ملاحظة ما بين الصيغتين تركيبا ومعنى ، لأنّ الأولى من المجرد ،والثانية من المزيد . لأنّه يقال : إنّ الزيادة فى المبنى تفيد الزيادة فى المعنى غالبا .

وكلمة تأدّب وزنها تفعّل ، فى الميزان الصرفى ، وهى تأتى لعدة معان ولكن المعنى الذى يتمشى مع مقامنا هذا هو أنّها مطاوع أدّب على وزن " فعّل " لأنّه يقال : أدّبته فتأدّب أى تلقى الأدب ، والتأدّب مصدرها .

وعلى هذا فمعنى التأدّب : المبالغة فى التخلق بالصفات الحسنة والمكارم الجميلة .

---

(١) شرح أدب الكاتب : ١٣ .

ب - الأدب في اصطلاح الشرع :

وكلمة الأدب في اصطلاح الشرع لا تخرج عن المعنى اللغوي الذي أشرنا اليه آنفا .

ولهذا قال الجرجاني :(١)

" الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ ، وأدب القاضي ، وهو ما ندب إليه الشرع من بسط العدل ورفع الظلم وترك الميل ".(٢)

ويقول صاحب البحر الرائق :(٣)

" كتاب أدب القاضي : أي ما ينبغي للقاضي أن يفعله وما ينبغي أن ينتهي عنه ، والأولى التعبير بالملكة ، لأنها الصفة الراسخة للنفس فما لم يكن كذلك لا يكون أدبا كما لا يخفى "(٤)

وكلمة الأدب في التعريفين السابقين تعني الاتصاف بالأخلاق الجميلة ، والاحتراز عما يقابلها من سفاسف الأمور .

وهذا هو المعنى المتبادر من إطلاقها إلّا أنّها قد تطلق على المظهر الخارجي للخلق .

---

(١) هو علي بن محمد الشريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ. انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢/١٩٦-١٩٧ .

(٢) كتاب التعريفات : ١٤ .

(٣) هو الإمام العلامة زين الدين بن إبراهيم بن محمد الشهير بابن نجيم المتوفى سنة ٩٦٩ هـ .

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق : ٦/٢٧٧ .

يقول محمد جمال الدين رفعت في التفريق بين الأدب والخلق :

" فكلمة الأداب تعني السلوك كما تعني الأسلوب الذي يسير عليه الإنسان في تصرفاته الشخصية أو حين يتعامل مع الناس .. أمّا كلمة الأخلاق فتطلق لغة على الطبع والسجية والعادة بل وعلى غريزة الإنسان العاقلة ". (١)

وخلاصة القول ، أنّ كلمة الأدب تعني المظهر الخارجي للأخلاق الجميلة أو السلوك الذي ينبغي أن يراعي الشخص مع غيره . ولهذا قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – :

" وحقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل ". (٢)

وأمّا كلمة التأدّب في عنوان رسالتنا فنقصد بها استنتاجا مما سبق من معنى كلمة الأدب – ما ينبغي أن يفعله المسلم تجاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سلبا وايجابا مما يدخل في حقوقه على الأمة من احترام وتقدير وطاعة واتباع وغير ذلك والاحتراز مما يخالف ذلك من مخالفة ورفع الصوت وغيرها .

يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى – :

" فرأس الأدب معه – صلى الله عليه وسلم – كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله

---

(١) آداب المجتمع في الإسلام : ٩ – ١٠ .

(٢) مدارج السالكين : ٢ / ٣٨١ .

معارضة خيال باطل يسميه معقولا أو يحمله شبهة أو شكـــا ، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم ، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان ، كما وحد المرسل - سبحانه وتعالى - بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل ، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه ".(١)

---

(١) مدارج السالكين : ٢/ ٣٨٧ .

٢ ـ ضرورة الالتزام في التأدب بما جاء في القرآن والسنة :

إنّ هذا الدين الذى لايقبل عند الله سواه له أصلان هما الكتاب والسنة النبوية الثابتة .

يقول الله تعالى :

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .(١)

وهذان المصدران هما القرآن الكريم والسنة النبوية .

يقول تعالى :

﴿ ياءيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول ... ﴾ .(٢)

والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى رسوله هو الرد إليه في حال حياته وإلى سنته في حال وفاته كما قال المفسرون .

كما أنّهما المصدران اللذان تركهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمرنا بالتمسك بهما لئلا نضل بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

(تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى)(٣)

وعلى هذا الأساس فهذا الدين غنى عن الزيادة والإضافات بعد ما أكمله الله ـ سبحانه وتعالى ـ بنزول آية المائدة وهى قوله

---

(١) آل عمران : ٨٥ .

(٢) النساء : ٥٩

(٣) رواه الإمام مالك بلاغا في الموطأ ٢ / ٨٩٩ وقال الألباني في تعليقاته على مشكاة المصابيح ١ / ٦٦ له شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الحاكم .

تعالى : ﴿ . . . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا . . . ﴾ (١) .

وبعدها لحق الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى بعد نزول هذه الآية بأشهر .

وبناء على هذا ، عندما نتعامل أو نتأدب مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيجب أن نلتزم بما جاء في القرآن وفي السنة النبوية الثابتة دون أن نختلق من تلقاء أنفسنا أمورا لم تثبت عن الشارع بقصد حسن النية ثم التقرب بها إلى الله راجيا منه الثواب والمغفرة لأنّ الأمور التي يتقرب بها المسلم إلى الله لابد أن تجتمع فيها أربعة شروط :

١ - أن تكون مشروعة بنص من الكتاب أو السنة الثابتة أو باجتهاد معتمد عليه .

٢ - أن تقع في الحدود المقرر لها من الزمان والمكان .

٣ - أن تقع بالكيفية التي أمر بها الشارع .

٤ - الإخلاص في القربى إلى الله تعالى .

وإذا انتفى شرط من هذه الشروط فلا تعتبر قربة بل تكون بدعة حينئذ .

ونحن نرى اليوم أناسا يغالون في شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالمدح يرفعونه إلى مرتبة الألوهية أو يصفونه بصفات لا تليق إلا بالله أو يطلبون طلبات لا دخل له في حصولها

---

(١) المائدة : ٣ .

أثناء حياته فضلا عن بعد مماته — صلى الله عليه وسلم — .

وقد حذر النبي — صلى الله عليه وسلم — من هذا الغلو بقوله : (لاتطروني [١] كما أطرت النصارى ابن مريم فإنّما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله) [٢].

وهذا ما نرفض الغلو في شخصية الرسول — صلى الله عليه وسلم — لايعني بالضرورة أن نقصر في توقيره وتعظيمه وحبه ولكن نعني أن نلتزم بما هو مشروع في حقه — صلى الله عليه وسلم — دون إفراط أو تفريط بعيدين عن الغلو والتقصير لنتصف بالوسطية التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ... ﴾ [٣].

ومعنى الوسطية هنا الخيار والأجود ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات [٤].

ومع هذا فلا نضطر بالضرورة عندما نرد على المغالين إلى أن نصف الرسول — صلى الله عليه وسلم — بصفات قد وصفه بها الشارع دون أن

---

(١) من الاطراء : وهو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه . النهاية في غريب الحديث لإبن الاثير ٣/ ١٢٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ... ﴾ ٢/ ٢٥٦ .

(٣) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١/ ١٩٠ .

نبيّن معناها من جميع الجهات .

مثال ذلك : أن نقول ان الرسول بشر ونجتهد في إثباتها مستدلين بقوله تعالى :

﴿ قل إنّما أنا بشر مثلكم ... ﴾ .(١)

والمثلية يقصد بها هنا أنّه يعتريه ما يعترى الإنسان من جوع وظمأ ومرض غير منفر وغير ذلك ولكن هو بشر يوحى إليه كما تدل عليه بقية الآية .

﴿ قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما الهكم إله واحد ... ﴾(٢)

لأنّ المثلية قد يفهم منها أنّه كآحاد الناس اذا لم نبيّن القصد من ذلك ..

وغالبا عندما يريد شخص أن يصحّح انحرافا معينا ويجتهد في تصحيحه قد يقع في انحراف آخر مضاد للأول دون أن يشعر بذلك .

يقول سيد قطب — رحمه الله تعالى — :

" إن استحضار انحراف معين أونقص معين والاستغراق في دفعه ... منهج شديد الخطر ، وله معقباته في انشاء انحراف جديد لدفع إنحراف قديم ، والانحراف انحراف على كل حال "(٣) ثم ضرب مثلا لذلك قائلا :

" يتّعمد بعض الصليبيين والصهيونيين مثلا أن يتهم الإسلام بأنّه

---

(١) سورة الكهف : ١١٠ .

(٢) سورة الكهف : ١١٠ .

(٣) خصائص التصور الإسلامي ص ٢٥ .

دين السيف ، وأنّه انتشر بحد السيف فيقوم منّا مدافعون عن الإسلام يدفعون عنه هذا الاتهام ، وبينما هم مشتطون فى حماسة " الدفاع " يسقطون قيمة " الجهاد " فى الإسلام ، ويضيقون نطاقه ويعتذرون عن كل حركة من حركاته بأنّها كانت لمجرد " الدفاع " ! بمعناه الإصطلاحى الحاضر الضيق ! وينسون أنّ للاسلام بوصفه المنهج الإلهى الأخير للبشرية — حقه الأصيل فى أن يقيم " نظامه " الخاص فى الأرض لتستمتع البشرية كلها بخيرات هذا النظام بحرية العقيدة التى إختارها حيث " لا إكراه فى الدين " من ناحية العقيدة أمّا اقامة "النظام الإسلامى " ليظلل البشرية كلها ممن يعتنقون عقيدة الإسلام وممن لا يعتنقونها فتقتضى الجهاد لانشاء هذا النظام وصيانته ، وترك الناس أحرارا فى عقائدهم الخاصة فى نطاقه ، ولا يتم ذلك إلّا بإقامة سلطان خير وقانون خير ونظام يحسب حسابه كل من يفكر فى الإعتداء على حريتة الدعوة وحرية الاعتقاد فى الأرض ". (١)

وهكذا شأن بعض الذين يردون على المغالين فى شخصية الرسول — صلى الله عليه وسلم — حيث يصفونه بالبشرية دون أن يصفوه بالرسالة ، ويجتهدون فى إثبات ذلك الجانب دون قصد إلى تقليل قيمة الرسول — صلى الله عليه وسلم — بل إلى نفى غلو هؤلاء المغالين منه إلا أن المغالين بدورهم يأخذون عبارات هؤلاء التى ظاهرها الجفاء ومن ثم يكيلون لهم شتائم عدة ويصفونهم بأنهم جفاة وأنّه نزع من قلوبهم حب الرسول — صلى الله عليه وسلم — بينما حبّه

---

(١) خصائص التصور الاسلامى ص ٢٦ .

هو الاتباع لما جاء به — صلى الله عليه وسلم — .

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ... ﴾ .(١)

وعلى هذا يجب على المسلم الغيور على دينه أن يلتزم بما شرعه الله — سبحانه وتعالى — حين يرد على غيره ، وحين يصحح انحرافا معينا حتى لا يقع في إنحراف آخر مقابل تصحيح انحراف قديم .

ويجب على المسلم — أيضا — أن يلتزم بصورة دقيقة بكل ما ثبتت مشروعيته في كل حياته بصورة عامة ، وبما يتصل بالتأدب مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بصورة خاصة لأنّ ذلك حق وهو الصراط المستقيم .

---

(١) سورة آل عمران ، آية (٣١)

الباب الأول

أسباب قيام الأمة بالأدب
مع الرسول - صلى الله عليه وسلم -

أسباب قيام الأمــــــــة بالأدب
مع الرسول — صلى الله عليه وسلم —

الرسول — صلى الله عليه وسلم — صاحب فضل كبير على أمته وعلى البشرية كلها بواسطته ما وصل إلينا الوحي بشقيه القرآن الكريم والسنة النبوية اللذين هما مصدرا الشريعة الإسلامية وأساس الدين كله .

ووصول الوحي إلى الناس لم يتم بسهولة ويسر ، وإنّما تم بجهـــود متواصلة وصبر كبير وتحمّل لمشقات متنوعة من صاحب الرسالة — صلى اللـــه عليه وسلم — .

وقد تحمّل — عليه الصلاة والسلام — كل هذا حتى تحقق منهج الله — سبحانه وتعالى — في الأرض وكمل الدين وتمّت النعمة .

يقول تعالى :

﴿ . . . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا . . . ﴾ (١) .

وبتمام النعمة قامت الأمة وتحقق وعد الله — سبحانه وتعالى — للمؤمنين بالاستخلاف والتمكين في الأرض .

قال تعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكـــم وعملوا الصالحات ليستخلفنهـــم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّنن لهم دينهم الـــذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا . . . ﴾ (٢) .

---

(١) سورة المائدة : (٣) .

(٢) سورة النور : (٥٥) .

وتقديرا لهذه النعمة التى أنعم الله بها على المؤمنين عليهم أن يشكروا الله ويعرفوا حق صاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم - .

ولا يتم الشكر والعرفان إلاّ بالتأدّب معه - صلى الله عليه وسلم حيّا وميّتا ، سرّا وجهرا ، فى المنشط والمكره .

وهناك من الأسباب الأخرى مايدفع إلى ضرورة التأدب مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وذلك ككرم محتذه ، ورفعة نسبه ، وإتصافه بالأخلاق الكريمة وتمتعه بالصفات النبيلة طوال حياته - عليه الصلاة والسلام - .

ومنها أيضا ما اتّصف به - صلى الله عليه وسلم - من صفات ساعدت على نشر الدين ، وتبليغ الأمانة ، . .

وفى هذا الباب سوف أتكلم عن الأسباب التى من أجلها كان التأدّب معه - صلى الله عليه وسلم - وهى فى محملها ترجع الى أمرين :

أولهما :

ما يرجع إلى ذاته - صلى الله عليه وسلم - من ناحية عراقة الأصل ، وكرم الخلق فى تبليغ رسالة الله تعالى .

ثانيهما :

مايرجع إلى عمله - صلى الله عليه وسلم - وحرصه على هداية الناس وإسعادهم بمنهج الله تعالى .

وقد عقدت لكل من الأمرين فصلا مستقلا :

ولذلك اشتمل الباب على الفصلين التاليين :

الفصل الأول : نسبه وصفاته - صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثانى : عمله - صلى الله عليه وسلم - **فى نشر الدعوة وحرصه على هداية الناس** . وسيأتى تفصيل ذلك فيما يلي بمشيئة الله تعالى .

الفصل الأول

نسبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونشأته وصفـــاته

الفصل الأول

نسبه - عليه الصلاة والسلام ونشأته وصفاته

منذ أن خلق الله - سبحانه وتعالى - أبا البشر آدم - عليه السلام - وأهبطه هو وزوجه إلى الأرض لم يترك الناس سدى يتصرفون برؤية عقولهم واتجاهاتهم لأن عقل البشر مهما كانت قدرته قاصر عن إدراك الطريق المستقيم ومعرفة الحق بصورة تامة ، وإن أدرك بعض الجوانب بالفطرة التي فطر الله الناس عليها .

ولكي تستقيم الفطرة وتكمل نحو الأفضل كانت تأتي هداية الله - سبحانه وتعالى - للناس متتابعة على ألسنة الرسل - عليهم السلام - فكلما انحرفت البشرية عن طريق الله القويم جاءها مبعوث من الله سبحانه وتعالى - لهدايتها ، ودعوتها .

يقول الله تعالى :

﴿ ... وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ (١)

فكل أمة جاءها رسول من بينها مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه ، وسراجا مضيئا ينير الطريق . ويهدي للتي هي أقوم . وبذلك تقوم الحجة على الناس .

يقول الله تعالى :

﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ... ﴾ . (٢)

---

(١) سورة فاطر : (٢٤) .

(٢) سورة النساء : (١٦٥) .

يقول ابن كثير — رحمه الله — في تفسير هذه الآية :

(أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة ، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر)(١) .

ومما يؤيد هذا المعنى قوله — صلى الله عليه وسلم — :

(ليس أحد أحب إليه المدح من الله — عز وجل — من أجل ذلك مدح نفسه ، وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرّم الفواحش ، وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل)(٢) .

وكان الرسل قبل رسولنا محمد — صلى الله عليه وسلم — يأتون أقوامهم خاصة ليكون التبليغ مناسبا للناس ، وليديتوا الله بشريعة يستطيعون القيام بتكاليفها .

وقد ختم الله — سبحانه وتعالى — الرسل — عليهم الصلاة والسلام ببعثة نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — إلى الناس كافة رحمة لهم .

يقول الله تعالى :

﴿ وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيرا ونذيرا * ولكنّ أكثر الناس لايعلمون ﴾(٣) .

ويقول الله تعالى :

﴿ وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين ﴾(٤) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٥٨٨ .

(٢) البخاري كتاب التفسير باب قوله :﴿ ولا تقربوا الفواحش ﴾ ٣/١٢٩ .
وسلم كتاب التوبة باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ٤/٢١١٤ .
واللفظ لمسلم .

(٣) سورة سبأ : (٢٨) .

(٤) سورة الأنبياء : (١٠٧) .

وبذلك بعث رسولنا محمد — صلى الله عليه وسلم — للناس جميعا
وختم الله به الرسل وقضى باستمرار رسالته إلى يوم القيامة . وأصبح الرسول
— صلى الله عليه وسلم — اللبنة الأخيرة في البناء العظيم الذى يمثل الأنبياء
— عليهم الصلاة والسلام — لبناته . كما أخبر — صلى الله عليه وسلم — حيث
يقول : " مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأجمله إلا موضع
لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون :
هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين ". (١)

واختيار الرسول — صلى الله عليه وسلم — للرسالة الخاتمة كانت بمشيئة
الله — تعالى — الذى خلق الناس جميعا ، وهو العليم بذواتهم وخصائص كل منهم .
يقول الله تعالى :

﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة ... ﴾ (٢)

ويقول الله تعالى :

﴿ ... الله أعلم حيث يجعل رسالته .. ﴾ (٣)

يقول الألوسي في تفسير هذه الآية :

" إنّ منصب الرسالة ليس مما ينال مما يزعمون من كثرة المال والولد
وتعاضد الأسباب والعدد وإنما ينال بفضائل نفسانية ونفس قدسية أفاضها
الله — تعالى — بمحض الكرم والجود على من كمل استعداده . ونص
بعضهم على أنّه تابع للاستعداد الذاتي وهو لا يستلزم الإيجاب الذى
يقول به الفلاسفة لأنه — سبحانه — ان شاء أعطى وإن شاء أمسك ،

---

(١) البخارى كتاب المناقب — باب خاتم النبيين ٢ / ٢٧٠ .
(٢) سورة القصص : (٦٨) .
(٣) سورة الأنعام : (١٢٤) .

وان استعد المحل " .(١)

ومن ثم اختار الله للدعوة الاسلامية التي ختم الله بها كل الرسالات المكان الملائم واختار لحملها خير أمة أخرجت للناس كما اختار رجلها المتميز — وهو الرسول — صلى الله عليه وسلم — بصفات جملته خير من يتلقى الوحي ويبلغه للناس ويتحمل في سبيل ذلك كل اضطهاد وتحت كما هي سنة الله مع كل رسالاته ورسله .(٢)

وقبل اختيار الرسول للتبليغ صنعه الله ، وهيّأه ، وكفل الله له التنشئة السليمة حتى يكون أهلا للرسالة والتبليغ ، ومن المعلوم أنّ اصطفاء الله للرسل يتم على مرحلتين ، مرحلة تهيئة ، ومرحلة تكليف وإبلاغ . ولولا أن النبوة اصطفاء وإحسان لقلنا أنّ الرسل بصفاتهم يستحقونها كسبا لكنّ جمهور المسلمين أجمعوا على أنّ الرسالة لاتكتسب فلابد أن يخلق الله لها استعدادا خاصا عند صاحبها بحيث يجعله أهلا لحملها وإبلاغها . وبعد ذلك يصطفيه للرسالة .(٣)

وفي هذا الفصل سوف أتحدث فيه عن مرحلة تهيئة الرسول صلى الله عليه وسلم لحمل الرسالة الخاتمة وإبلاغها إلى الناس كافة .

ولذا سيأتي مكونا من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عراقة أصله .

المبحث الثاني : نشأته وتربيته .

المبحث الثالث : اتصافه بصفات طيبة وأخلاق فاضلة .

وذلك فيما يلي :

---

(١) روح المعاني ٨ : ٢١ — ٢٢ .

(٢) انظر الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها للدكتور أحمد غلوش ص/ ١١٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٤ .

المبحث الأول

عراقة أصله

المبحث الأول

مراقبة أصله

يذكر علماء الوراثة أنّ الشخص يتأثر بنسبه سواء من ناحية الجسم والبنية أو من ناحية الذكاء والعقل أو من ناحية الفكر والعقيدة .

يقول د . محمد بيصار :

" ولا تكون الوراثة عاملا هاما في نقل الصفات الحسية فحسب وإنّما كذلك عن طريقها تنتقل الصفات الأدبية كالأمزجة والميول والغرائز ، والصفات العقلية كالذكاء والبلادة وحسن تقدير الأمور أو سوءه أو شدة الانتباه أو ضعفه الى غير ذلك من صفات يكون لها الأثر الأقوى في تكوين أخلاق المرء وتكييفها وطبعها بطابع معيّن خيرا كان ذلك الطابع أو شرا حسنا أو قبيحا " . (١)

ويؤيد هذا علم القيافة الذى أقره الرسول — صلى الله عليه وسلم — فعن عائشة — رضى الله عنها — : أنّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — دخل عليها مسرورا تبرق أسارير وجهه فقال : (ألم تسمعى ما قال المدلجى لزيد وأسامة ورأى أقدامهما فقال : إنّ بعض هذا الأقدام من بعض .) (٢)

وهذا الحديث ينص على أن الولد يتأثر بوالديه من ناحية الجسم والبنية .

وأما من ناحية الفكر والعقيدة أيضا نجد أن للوراثة تأثيرا كبيرا

---

(١) العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ص ٢٤٠ .

(٢) البخارى — كتاب المناقب — باب صفة النبى — صلى الله عليه وسلم — ٢/٢٧٢ .

كما يدل عليه قوله تعالى حاكيا عن نبى الله نوح عليه السلام :

﴿ وقال نوح ربِّ لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفّارا ﴾ (١) .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :

" أى فاجرا في الأعمال كافر القلب وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة الا خمسين عاما " (٢) .

ويدخل في هذا المفهوم قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(مامن مولود إلا يولد على الفطرة (٣) فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء . هل تحسون فيها من جدعاء) (٤)

يقول أبو هريرة راوى الحديث : وأقرأوا إن شئتم : ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله (٥) .. ﴾ (٦) .

---

(١) سورة نوح : (٢٦ ـ ٢٧) .

(٢) تفسير ابن كثير : ٤ / ٤٢٧ .

(٣) على الفطرة : على معرفة الله فلست واجدا أحدا إلا ويقر بأن له صانعا وإن سمّاه بغير اسمه أو عبد غيره .
غريب الحديث لإبن الجوزى ٢ / ١٩٩ .

(٤) جدعاء : أى مقطوعة الأطراف . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١ / ٢٤٧ .

(٥) سورة الروم : (٣٠) .

(٦) صحيح مسلم كتاب القدر باب معنى " كل مولود يولد على الفطرة وحكم أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٤ / ٢٠٤٧ .

وبهذا يثبت أنّ الولد يتأثر بأبويه من ناحية الجسم والبنية ، ومن ناحية العقل والذكاء ، ومن ناحية الفكر والعقيدة ، قليلا أوكثيرا ، سلبا أو إيجابا ، وذلك بإرادة الله وقدرته . إذا عرف هذا ننظر إلى نسب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومدى تأثره به .

يقول الأستاذ الدكتور / أحمد غلوش :

" هيأت عناية الله تعالى سلسلة ممتازة من الآباء والأجداد للنبي — صلى الله عليه وسلم — ليأخذ منها عن طريق الوراثة كثيرا من الخلق والطبائع " . (١)

وقد وردت في هذا المضمار نصوص كثيرة تدل على أنّ نسب النبي — صلى الله عليه وسلم — هو أفضل الناس نسبا .

من ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

(إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) . (٢)

وقد أشار النووي — رحمه الله — إلى أنّ بني هاشم أفضل العرب لا يدانيهم في الأفضلية إلا بنو المطلب مستدلا بهذا الحديث . (٣)

ويقول المباركفوري عند شرحه لهذا الحديث :

قوله : (إن الله اصطفى) أي اختار . يقال استفاه واصطفاه ،

---

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص ١١٤ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي — صلى الله عليه وسلم ١٧٨٢/٤ والترمذي في سننه ، أبواب المناقب عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، باب ما جاء في فضل النبي — صلى الله عليه وسلم — ٢٤٥/٥ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٣٦/١ .

اذا اختاره وأخذ صفوته والصفوة من كل شئ خالصه وخياره ". (١)

• ومن ذلك أيضا ما أخرجه الترمذى عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

(إنّ الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم خير القبائل فجعلنى من خير القبيلة ثم خير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا) . (٢)

أى : أصلا إذ جئت من طيب إلى طيب إلى صلب عبد الله بنكاح لاسفاح (٣)

ومما يدل على أنّ الرسول — صلى الله عليه وسلم — كانت له مكانة عند قومه من جهة النسب شهادة أعدائه كما ورد في قصة أبى سفيان وهو مشرك ومن ألد أعداء صاحب الرسالة آنذاك — مع هرقل ملك الروم عندما وجه إليه أسئلة عديدة تتعلق بشخصية الرسول — صلى الله عليه وسلم — من بينها : كيف نسبه فيكم ؟ قال : أى أبوسفيان : هو فينا ذو نسب . ثم قال هرقل في آخر القصة : سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك تبعث الرسل في أنساب قومها . (٤)

---

(١) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى ٧٤/١٠ .

(٢) أخرجه الترمذى في سننه في أبواب المناقب — باب ما جاء في فضل النبى — صلى الله عليه وسلم — .
انظر ٢٤٤/٥ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٣) انظر : تحفة الأحوذى ٧٦/١٠ .

(٤) صحيح البخارى ، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ٨/١ وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد باب كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ١٣٩٤/٣ .
واللفظ للبخارى .

يقول النووى :

" أى في أفضل أنسابهم " . (١)

ومما يدل على ذلك أيضا ما جاء على لسان مفوض مشركي قريش عتبة بن أبي ربيعة مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حيث قال عند افتتاح كلامه مع الرسول : "يا ابن أخي انك منّا حيث قد علمت من السطه (٢) في العشيرة والمكانة في النسب وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ..." (٣)

وهاتان القصتان تشهدان بما للرسول — صلى الله عليه وسلم — من المكانة في النسب عند قومه لإقرار أعدائه وأعداء رسالته حيث لم يستطيعوا أن يخفوا هذه الحقيقة مع أنّهم كانوا يتهمونه بتهم باطلة ، مرة بالسحر، ومرة بالجنون ، ومرة بالشعر والكهانة . ومع هذا لم ينقل الينا عن أحدهم تهمة واحدة يقدحون بها الرسول — صلى الله عليه وسلم — من جهة النسب ، كما أنّ النصوص الأخرى التى أوردناها تدل على أنّ العرب أفضل الناس من ناحية النسب وأنّ الرسول — صلى الله عليه وسلم — من أفضلها نسبا ، وأنّ هذه سنة الله في إختيار رسله جميعا كما جاء في قول هرقل السابق .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٢ / ١٠٥ .

(٢) السطه : أى من أوساطهم حسبا ونسبا .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٩١ ، وحسّن الألباني هذه القصة في تعليقه على فقه السيرة للغزالي . انظر هامش صفحة ١١٣ .

يقول الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث :

"الظاهر أن أخبار هرقل بذلك بالجزم كان على العلم المقرر في الكتب السالفة" (١).

والحكمة في ذلك كما قال النووي - رحمه الله - أنه أبعد من انتحال الباطل وأقرب إلى انقياد الناس له لأن الناس يأنفون من الانقياد الى رجل وضيع من جهة وكذلك الوضيع لا تسول نفسه له قيادة الناس من جهة أخرى (٢).

ولهذا كان نسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له تأثير على نفسه من ناحية وعلى قومه من ناحية أخرى ، كما ذكر غير واحد من العلماء .

يقول د . محمد قلعت في هذا المقام :

" هذا النسب له أثره في رسول الله وكان له أثره فيمن يبلغهم رسول الله شريعة الله ، أما أثره في رسول الله فقد شب - عليه الصلاة والسلام - مرفوع الرأس رغم يتمه لا يعرف الذل ولا الخنوع . جريئا في إعلان رأيه ، تملأ الثقة نفسه ، أما أثره فيمن دعاهم رسول الله إلى الإيمان والانضواء تحت راية الإسلام فان أكبر شخصية في العرب لا تجد غضاضة من الانضواء تحت راية الإسلام ، وقبول محمد - صلى الله عليه وسلم - رسولا وحاكما لأنهم يعترفون بأن محمدا صلى الله عليه وسلم من أعرق بيوت قريش نسبا ". (٣)

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١ / ٣٦

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢ / ٣٥

(٣) التفسير السياسي للسيرة ص ١١ - ١٢ .

وهذه حقيقة ثابتـــة لاجدال فيها وإن كان هناك من يعارضه من قومه لكن ليس هذا من جهة نسبه ولا رفضا لشخصيته وانما كان رفضا موجها لرسالته — صلى الله عليه وسلم — .

وصدق الله إذ يقول :

﴿ .. فإنّهم لا يكذبونك ولكنّ الظالمين **بآيات** الله يجحدون ﴾ .(١)

وممّا يؤيد ذلك ما جاء على لسان أبي جهل عدو الله وعدو رسوله اذ قال للنبي — صلى الله عليه وسلم — : "قد نعلم يا محمد أنك تصل الرحم وتصدق الحديث ولا نكذبك ولكنّ نكذّب الذى جئت به "(٢) فأنزل اللـــه — عز وجل — : ﴿ قد نعلم إنّه ليحزنك الذى يقولون فإنّهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ .(٣)

أي إنّ رفض قريش كان موجها للدعوة التى دعاهم إليهـــا **الرسول** — صلى الله عليه وسلم — لا لشخصيته كما يفيد منطوق قول أبي جهـــل السابـــق .

ولهذا نرد أنّهم عرضوا عليه الجاه والسيادة والملك وجمع الأموال والمغريات الأخرى مقابل ترك هذه الدعوة كلية أوجزءا منهـــا كحـــل

---

(١) سورة الأنعام : ٣٣ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢ / ٣١٥ وقال : هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، قال الذهبي : ما اخرجا لناجية ، وقال الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير ٥ / ٢٥ : " وهذا صحيح فان الشيخين لم يخرجا لناجية بن كعب الأسدى ولكنه تابعى ثقة ، والحديث صحيح وإن لم يكن على شرطهما " .

(٣) سورة الأنعام : (٣٣) .

وسط [١] ولكنّهم لم ينجحوا فيها لأنّ موقف الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان ثابتا .

وعرض هذه الأمور عليه يدل على سمو مكانة النبي — صلى الله عليه وسلم — من جهة النسب عند قومه قريش الذين كانوا يأنفون أن يخضعوا للوضيع مهما كان الأمر وخاصة إذا جاء بأمر يخالف عاداتهم وتقاليدهم مثل ما جاء به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الدين الحنيف والدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك والأوثان وما كان سائدا في مجتمع مكة من عادات وتقاليد جاهلية .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٩١/٤ .

المبحث الثاني

نشأته وتربيته

المبحث الثاني

نشأته وتربيته

كما هو معروف في كتب السيرة أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- ولد عام الفيل يتيما حيث مات أبوه وهو في بطن أمّه ، وماتت أمّه وهو ابن ست سنوات ، ولهذا لم يتنعم بحنين الأبوين ، وقد كفله جده عبد المطلب حتى مات ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- ابن ثماني سنوات .(١)

وبعد وفاة جده عبد المطلب كفّله عمّه أبو طالب الذي بذل كل مافي وسعه في رعاية الرسول -صلى الله عليه وسلم- في زمن طفولته وشبابه ، وكذلك بعد البعثة حيث دافع عنه تعصّبا وحميّة مع أنّه لم يؤمن به حتى فارق الحياة .

يقول الغزالي :

" فالمجتمع العربي الأول كان يقوم على العصبيات القبلية الحادة ، التي تفنى القبيلة كلها دفاعا عن كرامتها الخاصة وكرامة من يمت اليها بالصلة ، وقد ظل الإسلام حينا من الدهر يعيش في حمى هذه التقاليد المرعية حتى استغنى بنفسه كما تستغنى الشجرة عمّا يحملها بعدما تغلظ وتستوي" .(٢)

ولقد كان أبو طالب عم النبي -صلى الله عليه وسلم- مثالا حيّا لهذه العصبيات لقيامه بالدفاع عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى أنّه جوزي وهو كافر بما جاء به من عند الله بتخفيف العذاب عنه يوم

---

(١) انظر سيرة ابن هشام : ١/١٦٧ وما بعدها .

(٢) فقه السيرة : ص ٥٨ .

القيامة مقابل دفاعه عنه لما ثبت في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب أنّه قال : يارسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فانّه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : (نعم هو في ضحضاح (١) من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) (٢) ، وفي رواية أخرى : (وجدته في غمرات (٣) من النار فأخرجته إلى ضحضاح) (٤) .

ولقد مرّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل البعثة بمراحل عديدة ، وواجه حياة كدح صعبة وشاقة حيث أنّه أصبح يتيما فقيرا إلى أن أغناه الله فاتجه إلى الانعزال والعبادة في غار حراء .

فلقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ في صباه يشتغل برعاية الغنم كما هو سنة الأنبياء ، لأنّه ثبت في الصحيح أنّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يرعى الغنم لأهل مكة على قراريط ، وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ القائل : (ما بعث الله نبيّا الا ورعى الغنم) ، فقال له أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ : وأنت ؟ فقال : (نعم كنت أرعاها على قراريط (٥) لأهل

---

(١) ضحضاح : ما رق من الماء على وجه الأرض ، غريب الحديث لابن الجوزى ٢ / ٦ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب شفاعة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى طالب والتخفيف عنه بسببه ١ / ١٩٥ .

(٣) غمرات : أى المواضع التى تكثر فيها النار .... واحدتها غمرة . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣ / ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبى ـ صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه ١ / ١٩٥ .

(٥) قراريط : مفردها قيراط وهو جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عشر فى أكثر البلاد . وأهل الشام يجعلونه جزءا من أربعة وعشرين . والياء

===

مكة)[1] . وهذا الحديث انما يدل على انه – صلى الله عليه وسلم – كان يعتمد على نفسه في فترة مبكرة من عمره .

وبجانب رعايته للغنم كان – صلى الله عليه وسلم – يذهب إلى الشام مع عمّه أبي طالب للتجارة .

أخرج الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال : " خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي – صلى الله عليه وسلم – في أشياخ من قريش فلمّا أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب ... "[2]

هذا ما ورد في فترة صباه ، وأمّا بعد بلوغه ، فقد ورد أيضا أنه كان – صلى الله عليه وسلم – يذهب إلى الشام للتجارة بأموال خديجة – رضي الله عنها – قبل اقترانه بها .

يقول ابن اسحاق :

" وكانت خديجة بنت خويلد امراة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه بشيء وتجعله لهم وكانت قريش قوما تجارا ، فلما بلغها عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما بلغها من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره

=== فيه بدل الراء فان أصله من قرّاط ، النهاية في غريب الحديث ٤٢/٤ .

(١) اخرجه البخاري في كتاب الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريط : ٣٢/٢ – ٣٣ .

(٢) سنن الترمذي ، أبواب المناقب باب ما جاء في نبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – ٢٥٠/٥ ، وقال : " هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه " .

من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — منها وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام "(١).

فقام — صلى الله عليه وسلم — بواجبه في التجارة خير قيام حتى كانت سببا في زواجه اياها إثر رجوعه من ذلك السفر بعد ما عرضت نفسها عليه بناء على ما رأته فيه من صدق وأمانة ، وما سمعته من ميسرة في شأن الرسول — صلى الله عليه وسلم — من خير طوال مرافقته له في تلك الرحلة الميمونة .

يقول ابن كثير في السيرة :

" فلمّا أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت له فيما يزعمون : يابن عم إنّي قد رغبت فيك لقرابتك ووسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت نفسها عليه ، فلمّا قالت ذلك لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ذكره لأعمامه فخرج معه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها — عليه الصلاة والسلام — "(٢).

وبعد اقترانه — صلى الله عليه وسلم — بخديجة أم المؤمنين — رضى الله عنها — استغنى بمالها عن الكسب والضرب فى الأرض لأنّه لم يرد فى كتب السيرة أنّه زاول نشاطا اقتصاديا بعد ذلك بل ورد أنّه كان يذهب إلى غار حراء ليتعبد فيه فترة يرجع بعدها إلى خديجة ليتزود بمثلها حتى جاءه الملك بأول آيات من القرآن وهى صدر سورة العلق من

---

(١) سيرة ابن هشام : ١/١٧١ — ١٧٢ .
(٢) السيرة النبوية : ١/٢٦٣ .

قوله تعالى :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق — إلى قوله تعالى : .. مالم يعلم ﴾ (١)

عن عائشة — رضى الله عنها — أنها قالت : " أول ما بدىء رسول الله من الوحى الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالى ذات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك (٢) فقال : اقرأ .. إلى قوله : ﴿ علم الإنسان مالم يعلم ﴾ (٣) .

وهذه هى المراحل التى مر بها الرسول — صلى الله عليه وسلم — قبل النبوة وقد أشار القران الكريم إليها في أيات من سورة الضحى وهى قوله تعالى :

﴿ ألم يجدك يتيما فأوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى ﴾ (٤) .

قال قتادة في هذه الآيات :

" كانت هذه هى منازل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل أن يبعثه الله — عز وجل — " (٥) .

---

(١) سورة العلق : (١ — ٥) .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه ، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ١/٦ .

(٣) سورة العلق : (١ — ٥) .

(٤) سورة الضحى : (٦ — ٨) .

(٥) تفسير ابن كثير : ٤/٥٢٣ .

وقد ذكر أكثر المفسرين هذه المراحل التى مرّ بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند تفسيرهم هذه الآيات من سورة الضحى الّا أنّهم يذكرون في كل مرحلة عدة أقوال محتملة ومعان متقاربة لا يتسع لذكرها هذا المقام لأنّ القصد هنا ليس ذكر أقوال المفسرين قاطبة وإنّما ذكر ما يشير إلى هذه المراحل ٠

وقد لخّص الشهيد سيد قطب معنى هذه الآيات فيقول :

" لقد ولدت يتيما فآواك اليه وعطف عليك القلوب ٠٠٠٠٠

ولقد كنت فقيرا فأغنى الله نفسك بالقناعة كما أغناك بكسبك ومال أهل بيتك خديجة ـ رضى الله عنها ـ عن أن تحس الفقر أو تتطلع إلى ما حولك من ثراء ٠ ثم لقد نشأت في جاهلية مضطربة التصورات والعقائد منحرفة السلوك والأوضاع فلم تطمئن روحك إليها ولكنّك لم تكن تجد لك طريقا واضحا مطمئنا لا فيما عند الجاهلية ولا فيما عند أتباع موسى وعيسى الذين حرّفوا وبدّلوا وانحرفوا وتاهوا ثم هداك الله بالأمر الذى أوحي به اليك وبالمنهج الذى يصلك به "٠ (١)

ويفهم من تفسير سيد قطب للآيات الثلاث من سورة الضحى كغيره من المفسرين أنّ المراحل الثلاثة ليست على ترتيب الآيات من المصحف حيث انّ مرحلة الإغناء مقدمة على مرحلة الهداية ٠

يقول الدكتور محمد عزت دروزة ملخصا ما ذكره المفسرون في هذا الصدد :

" إنّ الآية تحتوى إشارة إلى حادث تيهان وقع للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى طفولته أو فى احدى رحلاته ورووا فى ذلك روايات

---

(١) في ظلال القرآن : ٦/٣٩٢٧ ٠

كما قالوا انّهـا تعني أنّه كان غافلا عن الشريعة التي لا تتقرر إلا بالوحي الربّاني أو أنّه كان حائرا في أسلوب العبادة لله ونفوا عنه أي حال أن يكون ضالا أي مندمجا في العقائد والتقاليد الشركية والنفس لا تطمئن إلى رواية تيهان النبي — صلى الله عليه وسلم — مضمونا وسندا بل أنّهـا ليست متسقة مع ما تضمنته الآية من منّ الله على النبي — صلى الله عليه وسلم — بأعظم إفضاله عليه . وتفسير ضال بحائر يحمل معنى الآية على أنّه المقصود الحيرة في الطريق التي يجب أن يسار فيها إلى الله وعباداته على أفضل وجه . وهو المعنى الذي نراه". (١)

والحكمة في تلك المراحل التي مرّ بهـا الرسول — صلى الله عليه وسلم — هو أنّ الله — سبحانه وتعالى — كان يدربه حتى يكون مهيأ ومؤهلا لحمل عبء الرسالة الخاتمة وإبلاغها إلى الناس المنغمسين في بحر من الفساد في كل ناحية من نواحي الحياة حتى يصدق عليهم قوله تعالى : ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس .. ﴾ . (٢)

يقول صاحب كتاب " دراسة في السيرة " مشيرا إلى الحكمة من تلك المراحل :

" ومن مرارة اليتم ووحشية العزلة وانقطاع معين العطف والحنان قبس الرسول — صلى الله عليه وسلم — الصلابة والاستقلال والقدرة على التحمل ... وبالفقر والحرمان تربى ونما بعيدا عن ترف الغنى وميوعة الدلال ... وعبر رحلته إلى الشام في رعاية عمّه فتح الرسول — صلى الله عليه وسلم — عينيه ووعيه تجاه العالم الذي يتجاوز حدود الصحراء

---

(١) سيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — : ٣٢/١ .

(٢) سورة الروم : (٤١) .

وسكونها إلى حيث المجتمعات المدنية التي تضطرب نشاطا وقلقا ...
وفي رحلته الثانية الى الشام مسؤولا عن تجارة للسيدة خديجة تعلّم الرسول الكثير الكثير عمّق في حسّه معطيات المرحلة الأولى وزاد عليها إدراكا أكثر لما يحدث في أطراف عالمه العربي من علاقات بين الغالب والمغلوب ... كما علمه الانشقاق الأخلاقي عن الوضع المكي القدرة على مجابهة الأحداث.(١)

(١) دراسة في السيرة للدكتور عماد الدين خليل ص ٤٧ — ٤٩ مع تصرف يسير.

المبحث الثالث

سمو صفاته - صلى الله عليه وسلم - وأخلاقه

المبحث الثالث

سمو صفاته – صلى الله عليه وسلم – وأخلاقه

نشأ الرسول – صلى الله عليه وسلم – في بيئة وثنية يعبد أهلها الأصنام والأوثان ، ويستعبد القوى منهم الضعيف حتى أصبح الظلم شيئا معروفا كما تنبئ به أشعارهم المأثورة كقول زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم (١)

اضافة الى ما كانوا عليه من فساد في العادات والسلوك مثل وأد البنات خوفا من العار والفقر ، وأكل أموال اليتامى بحجة أنهم ضعفاء لا يستطيعون حمل السلاح والدفاع عن القبيلة ، وأكل الربا واستحلاله راضين بذلك حتى اشتهر فيهم تعريف البيع به كما حكى لنا القرآن الكريم : ﴿ ... انما البيع مثل الربا ... ﴾ (٢) .

ولقد وصف جعفر بن أبي طالب – رضى الله عنه – للنجاشي ملك الحبشة أثناء الهجرة الثانية إلى الحبشة أحوال المجتمع المكي آنذاك وصفا دقيقا فقال :

" أيها الملك ، كنّا أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منّا الضعيف ، حتى بعث الله الينا رسولا منّا نعرف نسبه وأمانته وعفافه ، فدعا إلى توحيد الله وأن لانشرك به شيئا ونخلع ما كنّا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل

---

(١) في ديوانه : ص ٨٨ .

(٢) سورة البقرة : (٢٧٥) .

أموال اليتيم ... ". (١)

هكذا كانت حالة المجتمع المكى أنذاك ولكنّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — برعاية من الله لم يتأثر ببيئته مع إشتراكه فى بعض الأعمال مع قومه لأنها كانت أعمالا لاتخدش نبله أولا تسىء إلى سمعته ، وأخلاقه الطيبة .

نذكر في هذا الصدد ما روى من الأعمال التى إشترك فيها الرسول — صلى الله عليه وسلم مع قومه .

فلقد اشترك الرسول — صلى الله عليه وسلم — قبل البعثة فى حلف الفضول الذى وقع بين بطون من قريش لرد المظالم إلى أهلها . يروى ابن هشام بسنده عن ابن اسحاق قال : (٢)

" تداعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له فى دار عبد الله ابن جدعان لشرفه وسنه ... فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا فى مكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممّن دخلها من سائر الناس إلّا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ". (٣)

---

(١) الفتح الربانى فى ترتيب مسند الإمام أحمد مع شرحه بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربّانى ٢٠/٢٢٦ كلاهما لأحمد البنا " وقال البنا عقب هذا الحديث : " الحديث صحيح ورواه ابن هشام في سيرته بطوله عن ابن اسحاق ، وأورده الهيثمى وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، غير ابن اسحاق وقد صرّح بالسماع " .

(٢) سيرة ابن هشام : ١/١٢٢ — ١٢٣ .

(٣) سمى هذا الحلف بالفضول اما نسبة إلى الأشخاص المتحالفين الثلاث الذين سمى كل واحد منهم بالفضل أو اما السبب الذى من أجله تحالفوا وهو أن ترد الفضول على أهلها .
السيرة النبوية لابن كثير ١ / ٢٥٨ - ٢٦١ مع التصرف .

ويقول ابن كثير — رحمه الله — بعد إيراده ذلك الحلف :

" وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب وكان أول من تكلم به ودعا اليه الزبير بن عبد المطلب ". (١)

وعلى هذا فكان اشتراكه — صلى الله عليه وسلم — في ذلك الحلف أمرا ذا أهمية كبيرة لأنّ ردّ المظالم الى أهلها أمر هام وقد جاء به الإسلام فيما بعد ولهذا أثنى الرسول — صلى الله عليه وسلم على ذلك الحلف بعد البعثة ، لما روى أنّه — صلى الله عليه وسلم — قال :

(لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدّعان حلفا ما أحب لي له حمر النعم ولو دعيت اليه في الإسلام لأجبت). (٢)

ومن الأعمال التي اشترك فيها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع قومه قبل البعثة ، حرب الفِجار التي وقعت، وعمره — صلى الله عليه وسلم — عشرون سنة كما ذكر ابن اسحاق صاحب السيرة . (٣)

وسبب ذلك الحرب (٤) كما ذكر ابن هشام في سيرته أنّ عروة الرحال ابن عتبة من هوازن أجار لطيمة (٥) للنعمان بن المنذر فقال له البراض بن قيس أحد بني ضمرة : اتجيرها في كنانة ؟ قال : نعم وعلى الخلق

---

(١) السيرة النبوية ١/٢٥٩ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/١٢٣ — ١٢٤ .

(٣) المصدر السابق ١/١٧٠ .

(٤) في حرب الفجار التي وقعت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان . انظر سيرة ابن هشام ١/١٦٨ .

(٥) اللطيمة : الجمال التي تحمل العطر والبزّ غير الميرة . النهاية في غريب الحديث ٤/٢٥١ .

فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلتـــه حتى إذا كان بتيمن ذى طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله فى الشهـــــر الحرام فلذلك سمى حرب الفجار (١) .

وكان دوره — صلى الله عليه وسلم — فى تلك الحرب أن يرد علـى أعمامه نبل عدوهم إذا رموهم بها ، لأنه روى أنه — صلى الله عليـه وسلم — قال :

(كنت أنبل على أعمامى) (٢) .

وفى اشتراكه — صلى الله عليه وسلم — فى تلك الحرب ما يبرره وهو أن القتال لم يكن جائزا فى الأشهر الحرم زمن الجاهلية حتى أنهم إذا أرادوا القتال فى الأشهر الحرم أخروها إلى شهر آخر لكى يستحـلوا فيهـا القتال كما بينه الله — سبحانه وتعالى — فى القرآن معيبا عليهـم :

﴿ إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامـــا ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ... ﴾ (٣) .

وعلى هذا فمادامت تلك الحرب دفاعا عن إنتهاك حرمة الأشهر الحرم فلا بأس فى اشتراكه — صلى الله عليه وسلم — فيهـا .

وقد أقر الله ذلك فى قوله تعالى :

﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يـوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلمـــوا فيهن أنفسكم ... ﴾ (٤) .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١٦٩/١ بتصرف .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٢٥٦/١ .

(٣) سورة التوبة : (٣٧) .

(٤) سورة التوبة : (٣٦) .

ومن الأعمال التي اشترك فيها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع قومه قبل البعثة وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة حين بناء قريش لها بعد ما اختلفت بطونها في ذلك حيث كانت كل قبيلة تريد أن تنفرد بمزية وضع الحجر الأسود في مكانه وكادوا أن يقتتلوا لولا مجيء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحكمه فيهم حكما يرضى كل الأطراف المتنازعة على ذلك.

عن عبد الله بن السائب قال : كنت فيمن بنى البيت وأخذت حجرا فسويته ووضعته الى جنب البيت .. وإن قريشا إختلفوا في الحجر حيث أرادوا أن يضعوه حتى كاد أن يكون بينهم قتال بالسيوف فقال : اجعلوا بينكم أول رجل يدخل من الباب فدخل رسول الله — صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذا الأمين وكانوا يسمونه في الجاهلية الأمين ، فقالوا : يا محمد قد رضينا بك فدعا بثوب فبسطه ووضع الحجر فيه ثم قال لهذا البطن ، ولهذا البطن ، غير أنه سمى بطونا : (ليأخذ كل بطن منكم بناحية من الثوب) ففعلوا ثم رفعوه وأخذه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوضعه بيده .(١)

واشتراكه — صلى الله عليه وسلم — في هذا العمل يظهر مدى فطانته ورجاحة عقله حيث حل المشكلة بسهولة ويسر بعدما كادت أن تؤدي إلى إسالة الدماء والحرب كما أنه يدل على مكانته — صلى الله عليه وسلم — عند قومه بحيث إنهم رضوا بحكمه دون تردد ..

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ١/٤٥٨ وقال : صحيح على شرط مسلم وله شاهد صحيح على شرطه . ووافقه الذهبي .

هذه هي أهم الأعمال التي وردت أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — قد إشترك فيها قبل البعثة مع قومه ، وكلها كما ذكرت سابقا من أعالي الأمور ومن مكارم الأخلاق التي من شأنها أن ترفع مكانته وشأنه وبخاصة إذا علم أن بيئته قد عم فيها الفساد وانتشرت فيها الرذائل التي عصمه الله — سبحانه وتعالى — منها وأبعده عنها لينشأ خاليا من الدنايا والشوائب .

يؤيد ذلك ما رواه أبو نعيم بسنده عن علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول :

(ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون بها إلا مرتين الدهر كلتاهما يعصمني الله — عز وجل — منها ، قلت ليلة لفتى من قريش بأعلى مكة في أغنام لأهلنا نرعاها : انظر غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال : نعم ، فخرجت فجئت أدنى دار من دور مكة فسمعت غناء وضرب دفوف وزمرا فقلت ما هذا ؟ قالوا : فلان تزوج فلانة الرجل من قريش فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا مس الشمس ثم رجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فأخبرته ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ففعل فخرجت فسمعت مثل ذلك ، فقيل لي مثل ما قيل لي ، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني فما أيقظني إلا مس الشمس ثم رجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئا ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوالله ما هممت بعدهما بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته) (١) .

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ص٥٤ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٢٦ رواه البزار ورجاله ثقات .

وهذا الحديث دليل واضح على بعده — صلى الله عليه وسلم — ونزاهته عن أمور الجاهلية التي كانت سائدة آنذاك في المجتمع المكي ومن حوله بعناية من الله — سبحانه وتعالى — وبجانب ذلك كان صلى الله عليه وسلم — متصفا بصفات فاضلة وأخلاق حميدة أقر له بها الموئيدون والمعاندون على السواء .

وقد أوجزت لنا خديجة أم المؤمنين — رضي الله عنها — صفاته وأخلاقه بقولها بعد فزعه إليها من شدة بدء الوحي :

" كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا فوالله إنك تصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل (١) وتكسب المعدوم (٢) وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق .. " (٣) .

وخديجة — رضي الله عنها — أقرب شخصية لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — تصفه بهذه الصفات بناء على تجربة دقيقة وممارسة طويلة ابتداء من ائتمانها له أن يتاجر في مالها ثم اقترانها به ومعاشرته فترة تبلغ خمس عشرة سنة .

وهذه شهادة من جانب أحد المؤمنين بدعوته — صلى الله عليه

---

(١) الكل : العيال والثقل . غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٢٩٣ .

(٢) وتكسب المعدوم — يقال : فلان يكسب المعدوم إذا كان مجدودا محظوظا أي يكسب ما يحرمه غيره ، وقيل أرادت — أي خديجة — رضي الله عنها — تكسب الشيء المعدوم الذي لا يجدونه مما يحتاجون إليه ، وقيل أرادت بالمعدوم الفقير الذي صار من شدة حاجته كالمعدوم نفسه .

النهاية في غريب الحديث ٣/١٩١ — ١٩٢ .

(٣) صحيح البخاري في كتاب التفسير باب تفسير سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق ٣/٢١٨ .

وسلم — وهى شهادة حق وصدق أقربها وبحقيقتها من لم يتبعوا الرسول — صلى الله عليه وسلم — ويؤمنوا بدعوته .

من ذلك ما أخرجه الشيخان بسندهما عن إبن عباس — رضى الله عنها — قال : " لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين ..﴾ (١) خرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه ، فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا إليه ، فقال : (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟) قالوا : ما جربنا عليك كذبا ، قال : (فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد) قال أبو لهب : تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام : فنزلت : ﴿ تبّت يدا أبى لهب وتب ﴾ (٢) . (٣)

ففى قولهم : ما جربنا عليك كذبا دليل واضح على إتصافه — صلى الله عليه وسلم — بالصدق التام قبل الرسالة بشهادة أعدائه الذين وقفوا فى وجه نشر الدعوة الإسلامية .

وهذه الشهادة قد صدرت من مجموع المشركين ومثلهم صدر من أفرادهم ، وقد قالها أبو سفيان — رضى الله عنه — وهو مشرك — عند

---

(١) سورة الشعراء : (٢١٤) .

(٢) سورة المسد : (١) .

(٣) صحيح البخارى فى كتاب التفسير باب تفسير سورة ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ ، ٢٢٢/٣ .

وصحيح مسلم فى كتاب الإيمان ، باب ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ١٩٤/١ .

هرقل ملك الروم الذى وجه اليه عدة أسئلة تتعلق بأحوال الرسول — صلى الله عليه وسلم — من بينها قول هرقل : " فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ " قلت : لا ، ثم قال هرقل فى آخر القصة لأبى سفيان : وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فعرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب ويكذب على الله "(١) .

تلك شهادة الخصوم والمؤمنين تنطق صريحة فى أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — لم يكذب أبدا قبل البعثة ، بل كان صادقا دائما .

والصدق أساس الفضائل الأخلاقية وعنوان الإنسانية الكريمة ، وقد إنطبع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بفضل الله تعالى .

وكما إتصف — صلى الله عليه وسلم عليه بالصدق اتصف بكل مكارم الأخلاق ومنها الأمانة .

وخير ما يدل على ذلك قصة وضع الحجر الأسود فى مكانه من الكعبة أثناء تجديد بناءها حينما إختلفت قريش فى ذلك حيث اتفقوا على تحكيم أول رجل يدخل من الباب فدخل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكانوا يسمونه فى الجاهلية الأمين فقالوا :" قد دخل الامين ،

---

(١) جزء من الحديث الطويل المتفق عليه ، أنظر صحيح البخارى باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ٦٨/١ ، وصحيح مسلم فى كتاب الجهاد باب كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — إلى هرقل يدعوه إلى الاسلام ١٣٩٤/٣ — ١٣٩٥ هـ ، واللفظ له .

فقالوا يا محمد رضينا بك ..(١)

وهذه شهادة صدرت من مجموع المشركين وإن لم يكن بينه وبينهم عداوة حين نطقوا بذلك القول لأنّ ذلك كان قبل البعثة إلّا أنّها تشهد على إتصافه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأمانة حتى أصبحت لقبا له .

وعلى هذا نجزم أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان متصفا بصفات فاضلة وأخلاق حميدة قبل البعثة إعترف بها أعداؤه وأمن بها أصحابه مع شيوع الظلم والعدوان وسوء الأخلاق في المجتمع المكي يومذاك. وذلك بفضل الله وعنايته ورعايته .

وأمّا بعد البعثة فقد كان خلقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن كما ورد في حديث عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ حيث قالت : " كان خلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن " .(٢)

وهذه الأخلاق الكريمة كانت سببا في تقريب قلوب أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ له ولولا اتصافه بها لما تمكن من تأثير دعوته عليهم وخاصة في أيامها الأولى في مكة .

وقد أشار الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى تأثير إتصافه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأخلاق الفاضلة على اصحابه ـ رضوان الله عليهم بقوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب

---

(١) جزء من الحديث الذى أخرجه الحاكم في مستدركه ١/٤٥٨ ..
وقد تقدم تخريجه في صفحة ٤٧ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢/٣٤٢ وصححه ووافقه الذهبي .

لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم ... ﴾ (١)

وكما أن الأخلاق الفاضلة لها تأثير كبير على الاصحاب كذلك أيضا لها تأثير كبير على الاعداء كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ . (٢)

وقد شهد الله سبحانه وتعالى لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالخلق العظيم بقوله :

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ . (٣)

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٩ .
(٢) سورة فصلت : ٣٣ ـ ٣٤ .
(٣) سورة القلم : ٤ .

الفصل الثاني

عمله — صلى الله عليه وسلم — في نشر الدعوة وحرصه على هداية النـــاس

الفصل الثاني

عمله – صلى الله عليه وسلم – في نشر الدعوة وحرصه على هداية الناس

إن نزول الوحي الإلهي للناس يحتاج إلى رسول يتلقاه ويبلغه للمدعوين ، ولذلك اختار الله رسله – عليهم السلام – قادرين على تحمل المسؤولية مهيئين بفضل الله – للقيام بواجب الدعوة خير قيام .

ومن هنا كان إرسال الرسل مسقطا لحجة الناس بأن الدعوة لم تبلغهم . يقول الله تعالى :

﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ... ﴾ (١) .

وعمل الرسل مع الدعوة يحتاج إلى جهد كبير وصبر واضح ، ومثابرة شاقة بالإضافة إلى تحمل أذى القوم وعنتهم وعدوانهم القولي والفعلي على الرسول والذين معه .

وتلك سنة عامة مع كل الرسل وسائر الدعوات من لدن نوح – عليه السلام – إلى خاتم الأنبياء – صلى الله عليه وسلم – .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن الرسل السابقة – عليهم الصلاة والسلام – وبين ما لقوا من أقوامهم من أذى وتعنت أو قتل أو تشريد ، ولكن لا يتسع المقام لأن أسرد كل قصصهم إلا أنني أذكر ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة على وجه الإجمال .

---

(١) سورة النساء : ١٦٥ .

فمن الكتاب قوله تعالى :

﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴾ . (١)

يقول الشهيد سيد قطب ــ رحمه الله ــ في تفسير هذه الآية :

" ويستطرد من تطييب خاطر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبيان الأسباب الحقيقية لموقف المكذبين منه ومن دعوته ، ومن آيات الله الناطقة بصدقه وصدق ما جاء به ... يستطرد من هذا إلى تذكيره بما وقع لإخوانه الرسل قبله ، وقد جاءه من أخبارهم في هذا القرآن ثم ما كان منهم من الصبر والمضى في الطريق حتى جاءهم نصر الله ليقرر أن هذه سنة الدعوات التي لا تبديل ولا يغير منها إقتراحات المقترحين كما أنها لا تستعجل مهما ينزل بالدعاة من الأذى والتكذيب والضيق " . (٢)

وأما السنة فمنها ماجاء على لسان ورقة بن نوفل حينما ذهبت خديجة أم المؤمنين ــ رضى الله عنها ــ بالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ إليه بعد فزع الرسول من رؤية الملك جبريل ــ عليه السلام ــ في بداية الوحي كما رواه البخاري عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ : وفيه : ... فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان إمرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة : يا ابن عم ، إسمع من

---

(١) سورة الأنعام : ٣٤ .

(٢) في ظلال القرآن ٢ / ١٠٧٧ .

ابن أخيك ؟ فقال ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله -صلى الله عليه وسلم - خبر ما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس (١) الذى نزّل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا (٢) ليتنى أكون حيّا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم : (أمخرجيّ هم ؟) قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب (٣) ورقة أن توفى وفتر الوحى ." (٤)

وهذا الحديث نص صريح فى الموضوع الذى نحن بصدده إذ أنّه يعطينا صورة واضحة عن معاداة الأمم السابقة لرسلهم من غير استثناء رسول واحد من الرسل -عليهم السلام - ابتداء من نبى الله نوح - عليه السلام - وانتهاء بخاتم النبيين -صلى الله عليه وسلم- كما هى سنة الله تعالى فى إرسال الرسل .

---

(١) الناموس : صاحب سر الملك ، وقيل صاحب سر الخير ، وأراد به جبريل -عليه السلام - لأنّ الله تعالى خصّه بالوحى والغيب اللذين لا يطلع عليهما غيره .
النهاية فى غريب الحديث ٥/١١٩ .

(٢) ياليتنى كنت جذعا : أى ياليتنى كنت شابا عند ظهورها حتى أبالغ فى نصرتها وحمايتها . . . وأصل الجذع من أسنان الدواب وهو ما كان شابا فتيا . النهاية فى غريب الحديث ١ / ٢٥٠ .

(٣) لم ينشب : من نشب . يقال نشب فى الشىء إذا وقع فيما لا مخلص له منه ، ولم ينشب أن فعل كذا أى لم يلبث ، وحقيقته لم يتعلق بشىء غيره ولا اشتغل بسواه . وهنا لم يلبث حتى مات . النهاية فى غريب الحديث ٥ / ٥٢ .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب بدء الوحى ، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ١ / ٧ .

ومادامت سنة الله في كل دعوة من دعوات الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أن تواجه الإبتلاء والاختبار فلا بد لدعوة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تواجه أيضا ذلك من قبل المعاندين من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم .

وفي هذا الفصل أتحدث عن مالاقاه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قبل أعداء الدعوة الإسلامية وكيف قاومهم ومدى ما تحمل من المتاعب في سبيل نشر الدعوة الإسلامية مع مراعاة ظروف ذلك الزمان .

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تحمل مشاق نشر الدعوة .

المبحث الثاني : الصبر على الأذى والعدوان من قبل الخصوم .

المبحث الثالث : إكمال الله تعالى الدين على يده ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وذلك على النحو التالي :

المبحث الأول

تحمل مشاق نشر الدعـــــــوة

المبحث الأول
تحمل مشاق نشر الدعوة

من المعلوم أنّ الإسلام بدأ غريبا كما ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم عن ابي هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

(بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء) (١) .

وتلك الغربة قد زالت بفضل الله تعالى ثم بفضل جهود رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في نشر الدعوة الإسلامية في مراحلها الخمسة وتحمله المشاق في سبيل إنجاحها .

وقد ذكر ابن القيم — رحمه الله — تلك المراحل الخمس وهى على النحو التالي :

المرحلة الأولى : النبوة .

المرحلة الثانية : إنذار عشيرته الأقربين .

المرحلة الثالثة : إنذار قومه .

المرحلة الرابعة : إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة .

المرحلة الخامسة : إنذار جميع من بلغته الدعوة من الجن والإنس الى آخر الدهر (٢) .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أنّ الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ١/١٣٠ .

(٢) انظر زاد المعاد ١/٨٦ .

ويمكن تقسيم هذه المراحل التى أشرت آنفا إلى مرحلتين : المرحلة المكية ، والمرحلة المدنية أى بعد الهجرة .

أولا : المرحلة المكية :

وهذه المرحلة هى أصعب المرحلتين لقلة المؤمنين وضعفهم وقوة المعاندين وكثرتهم ، ولكن الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان على ثقة بالله — سبحانه وتعالى — فى أن يتم هذا الأمر فلم يتزحزح عن طريق الحق قيد شبر طيلة المدة التى كان يدعو الناس إلى الله .

وفى السنوات الثلاث الأولى من هذه المرحلة كان الرسول — صلى الله عليه وسلم — يسر دعوته ولا يدعو الناس إلا فرادى ، ويأمر من آمن به أن لا يظهر إسلامه خوفا على نفسه .

ويؤيد هذا ما أخرجه الحاكم عن عمر بن عبسة — رضى الله عنه — قال : أتيت النبى — صلى الله عليه وسلم — أول ما بعث وهو يومئذ مستخف فقلت أنت ما أنت ؟ قال : (أنا نبى) قلت : وما نبى ؟ قال : (رسول الله) قلت : أرسلك الله ؟ قال : (نعم) قلت : بم أرسلك ؟ قال : (بأن تعبدوا الله وتكسروا الأوثان وتصلوا الرحم) قلت : نعما أرسلت فمن تبعك على هذا ؟ قال : (حر وعبد) يعنى أبا بكر وبلالا ، فكان عمر بن عبسة يقول : لقد رأيتنى وأنا ربع الإسلام فأسلمت فقلت : أتبعك يا رسول الله ؟ قال : (لا ، ولكن الحق بأرض قومك فإذا ظهرت فأتنى) .(١)

(١) مستدرك الحاكم ٣/ ٦١٧ ، وقال الحاكم : صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

ويشير ابن القيم ـ رحمه الله إلى هذه المرحلة قائلا :

" وأقام ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذلك[1] ثلاث سنين يدعو الى الله ـ سبحانه وتعالى ـ مستخفيا ثم نزل عليه : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾[2] . فأعلن ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن الله لهم بالهجرتين "[3] .

ولا يخفى ما لهذه الفترة من مشقة نفسية بالنسبة لصاحب الرسالة ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللمؤمنين على السواء بحيث انهم كانوا لا يقدرون أن ينطقوا بالحق الذى آمنوا به أمام الناس فضلا عن دعوة الناس إليه جهرا خائفين على أنفسهم لأنه من المحتمل وأد الدعوة فى مهدها إذا أعلنوها آنذاك إما بقتل صاحبها أو معتنقيها أو إفتتانهم عن دينهم والفتنة أشد من القتل .

إضافة إلى ذلك فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعانى مشقة أخرى ينفرد بها عن أصحابه وهى شدة تلقى الوحى وخاصة فى أيامه الأولى التى لم يتعودها بعد حتى انه كان يفزع من روئية الملك جبريل ـ عليه السلام ـ أمين الوحى .

ويدل على هذا قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(بينما أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فإذا الملك

---

(١) بعد بدء نزول الوحى عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

(٢) سورة الحجر : ٩٤ .

(٣) زاد المعاد ١/٨٦ .

الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت : زملوني فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر .. إلى قوله والرجز فاهجر ﴾ [(١)] فحمى الوحي وتتابع . " [(٢)]

ومن شدائد الوحي أيضا ما لقيه الرسول — صلى الله عليه وسلم — من حفظه وقراءته حتى أنه كان يسابق الملك في القراءة إلى أن نزل قوله تعالى : ﴿ لاتحرك به لسانك لتعجل به إنّ علينا جمعه وقرآنه ﴾ [(٣)].

يقول ابن عباس — رضي الله عنهما في هاتين الآيتين المذكورتين :

" كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فأنزل الله تعالى : ﴿ لاتحرك به لسانك لتعجل به إنّ علينا جمعه وقرآنه ﴾ [(٤)] فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد ذلك إذا أتاه جبريل إستمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي — صلى الله عليه وسلم — كما قرأه " [(٥)].

يقول إبن كثير في تفسير هاتين الآيتين :

" هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله — صلى الله عليه وسلم — في كيفية تلقيه الوحي من الملك فإنّه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته ، فأمره الله عز وجل — إذا جاءه الملك أن يستمع له ، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الذي القاه إليه وأن يبينه له.

---

(١) سورة المدثر : ١ — ٥ .

(٢) صحيح البخاري ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ١/٧ .

(٣ ، ٤) سورة القيامة : ١٦ — ١٧ .

(٥) صحيح البخاري ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ١/٧ .

ويفسره ويوضحه ، فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته ، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه "(١) .

وقد أخبر — صلى الله عليه وسلم — أنّه كان يعانى من الوحى شدة طوال فترة بعثته غير أنّه تعود وتحمل دون رعب وفزع منه ومن الملك بخلاف ما كان يعانى وقت بدايته .

ويؤيد هذا ما روته عائشة — رضى الله عنها — أنّ الحارث بن هشام سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : يارسول الله ، كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس(٢) وهو أشده علىّ حتى يفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول) ، قالت عائشة — رضى الله عنها — : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا "(٣) .

وأما بعد أن أمر الله — سبحانه وتعالى — رسوله — صلى الله عليه وسلم — بالجهر بالدعوة إلى الله — فقد إزدادت الشدة عليه وعلى المؤمنين بسبب معاداة قومه دعوته وإيذائه هو وأصحابه بكل ما أوتى لهم من قوة حسيّا ومعنويا . ولكن الرسول — صلى الله عليه وسلم — قد بذل أقصى جهده في إبلاغ الدعوة إلى الناس وهو لا يخاف لومة لائم

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٤٩/٤ .

(٢) الصلصلة : صوت الحديد إذا حرك . انظر النهاية فى غريب الحديث ٤٦/٣ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الوحى ، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ٦/١ .

مهما كانت قوته وسلطته وتحمل المشاق فى سبيل انجاحها ،

وقد سلك الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى إبلاغ قومه فى هذه المرحلة طرقا شتى وهى إمّا أن يطلب الناس إلى التجمع ليبلغ رسالة ربّه أو أن يذهب إلى أماكن تجمعهم كالمواسم والأسواق ، أو أن يذهب إلى مواطنهم ومكان إقامتهم .

وأذكر هنا ما يؤيد ذلك من النصوص الصحيحة :

الطريقة الأولى : تجميع الناس لدعوتهم :

ومما يدل على ذلك ما رواه ابن عباس — رضى الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١) خرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا : من هذا فاجتمعوا إليه فقال : (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟) قالوا : نعم ما جربنا عليك كذبا . قال : (فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد) قال أبو لهب: تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟ (٢) .

وهذا الحديث يدل على مدى إهتمام الرسول — صلى الله عليه

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٤ .

(٢) صحيح البخارى فى كتاب التفسير ، باب تفسير سورة ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ ٢٢٢/٣ ، ومسلم فى كتاب الإيمان باب ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ١٩٤/١ واللفظ للبخارى .

وسلم إبلاغ الدعوة إلى قومه بحيث وقف على جبل الصفا في الصباح الباكر قائلا بأعلى صوته : ياصباحاه لينبه هؤلاء حتى يجتمعوا له ومن ثم يبلغهم ما كلف به من قبل الله — سبحانه وتعالى — كما أنه يدل على ما عاني الرسول — صلى الله عليه وسلم — من قومه من استهزاء واستكبار والإعراض عنه والدعاء عليه وخاصة من أقرب شخص إليه وهو عمه أبو لهب الخاسر •

ولا يخفى ما لهذه الواقعة من المشقة إذ أنها تؤدي إلى اليأس بالنسبة لصاحب الرسالة وللمؤمنين من هؤلاء لولا لطف الله وعنايته المستمرين عليهم وكذلك إخبار الله تعالى عن الامم السابقة وموقفهم من الرسل — عليهم الصلاة والسلام — من تكذيب وتعنت تسلية له — صلى الله عليه وسلم — ولأصحابه •

الطريقة الثانية : وهي الذهاب الى أماكن تجمعهم كالمواسم :

ومما يدل على ذلك ما أخرجه الحاكم عن جابر بن عبد الله قال :

" كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : (هل من رجل يحملني إلى قومه فان قريشا قد منعوني ان أبلغ كلام ربي) فأتاه رجل من همدان فقال : أنا فقال : (وهل عند قومك منعة ؟) قال : نعم وسأله من أين هو ؟ فقال : من همدان ثم إن الرجل الهمداني خشي أن يحقره قومه فأتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : آتي قومي فأخبرهم ثم ألقاك من عام قابل قال : نعم ، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب " • (١)

---

(١) مستدرك الحاكم ٢/٦١٢ — ٦١٣ وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٥ رواه أحمد ورجاله ثقات •

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على ما قام به مشركو قريش في وقف الدعوة الإسلامية حتى اضطر صاحب الرسالة — صلى الله عليه وسلم — أن يبحث عن قوم آخرين يوجه إليهم الدعوة وإن كلفه ذلك أن يخرج من مكة مسقط رأسه مقابل إنجاح الدعوة التي كلف بتبليغها .

وفي ترك وطنه مشقة كبرى لا يشعرها إلا من مارس ذلك بالفعل لأنه يقال ليس الخبر كالمعاينة مع الالتفات إلى الأسباب الداعية إلى ذلك، وهي مالقي من مشركي قريش من الأذى حسيا كان أو معنويا .

ومن ذلك أيضا ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة — رضي الله عنها أنها قالت للنبي — صلى الله عليه وسلم — : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : (لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة (١) اذ عرضت نفسي ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب (٢) فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال : يامحمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت

---

(١) يوم العقبة : هو اليوم الذي وقف — صلى الله عليه وسلم — على العقبة التي بمنى داعيا الناس إلى الاسلام .

(٢) قرن الثعالب : قرن المنازل ميقات أهل نجد — النهاية في غريب الحديث ٤ / ٥٤ .

أن أطبق عليهم الأخشبين .(١) فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : (بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا) .(٢)

من هذه النصوص التي نقلتها آنفا يتبين لنا مدى إهتمام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنشر الدعوة الإسلامية وإستفادته من كل فرصة متاحة في إبلاغ الدعوة الى قومه وتحمله المشاق في سبيل ذلك من سفر وترحال مع مراعاة وسائل النقل المتاحة له في ذلك الزمان إضافة إلى ما يلقاه من أعدائه المشركين الذين بذلوا كل الجهد واستعملوا كل الوسائل المتاحة لهم بإيقاف الدعوة الإسلامية .

ثانيا : المرحلة المدنية :

بعد ما أذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذين معه بالهجرة إلى المدينة ووصلوا هناك نشأت الدولة الإسلامية الأولى قائدها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودستورها القرآن الكريم .

---

(١) الأخشبين ـ الجبلان المطيفان بمكة وهما أبو قبيس والأحمر وهو جبل مشرف على قيقعان ـ والأخشب كل جبل غليظ الحجارة . النهاية في غريب الحديث ٢ / ٣٢ .

(٢) صحيح البخاري ، في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٢ / ٢١٤ ، وصحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أذى المشركين والمنافقين ٣ / ١٤٢٠ ، واللفظ لمسلم .

وقد سلك الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى الدعوة إلى الله طرقا أخرى غير الذى ذكرت فى المرحلة السابقة حسب ما يقتضيه المقام

من تلك الطرق إرسال الرسل ينوبون عنه ويعلمون الدين الأقوام الذين أرسل إليهم مثل اليمن ٠

ويؤيد هذا ما أخرجه البخارى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : (إنك ستأتى قوما من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب) (١)

ومن ذلك أيضا ما أخرجه البخارى بسنده عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه قال : " بعث النبى — صلى الله عليه وسلم — جده أبا موسى ومعاذا إلى اليمن فقال : (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا) (٢) ٠

من تلك الطرق التى سلك الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى نشر الدعوة إلى الله إرسال الرسائل إلى ملوك الأمم فى ذلك الزمان مثل هرقل عظيم الروم وكسرى ملك الفرس، وغيرهم ٠

وقد أخرج الإمام مسلم عن أنس : أن النبى — صلى الله عليه وسلم —

(١ ، ٢) صحيح البخارى فى كتاب المغازى ، باب بعث أبى موسى ومعاذا إلى اليمن ٣/٧٢ — ٧٣ ٠

كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي (١) وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى وليس بالنجاشي الذى صلى عليه النبى — صلى الله عليه وسلم —. (٢)

وأذكر هنا رسالة واحدة من تلك الرسائل الى ملوك الكفار آنذاك نموذجا يشهد لما نحن بصدده .

والرسالة التي نختارها لهذا المقام هي التي وجهها الرسول صلى الله عليه وسلم — الى هرقل ملك الروم ونصها كما يرويها الشيخان عن ابن عباس — رضى الله عنهما على النحو الآتي :

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى . أما بعد — فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فان عليك إثم الأريسيين (٣) ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (٤)

وبجانب هاتين الطريقتين في الفترة المدنية فقد سلك الرسول

---

(١) لقب لكل من ملك الحبشة .

(٢) صحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب كتب النبى — صلى الله عليه وسلم — إلى ملوك الكفار ودعوتهم إلى الله عز وجل . ٣/ ١٣٩٧ .

(٣) الأريسيون : هم الخدم والخول وقيل هم الأكارون — النهاية في غريب الحديث ١ / ٣٨ .

(٤) صحيح البخاري ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله

===

ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسلكا آخر في نشر الدعوة الإسلامية ، وهو مسلك الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته تنفيذا لأمر الله تعالى :
﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ... ﴾ (١) .
ويؤيد هذا قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ...) (٢) .

وقد نفذ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك الأمر بواسطة إرسال سرايا وبواسطة غزوات اشترك فيها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنفسه حتى أنّه جرح في بعضها مثل غزوة أحد .

ولا شك أن هذا الأمر يحتاج إلى جهد كبير وصبر على الأذى وثبات في المعركة وتحمل مشقة السفر والترحال إلى مكان العدو الذى يبعد عن المدينة عاصمة الدولة في أكثر الأوقات مع مراعاة الظروف في ذلك الزمان ووسائل النقل المتاحة له ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ .

== ـ صلى الله عليه وسلم ـ ١/ ٩ .
وصحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ٣/ ١٣٩٦ واللفظ لمسلم .

(١) سورة الأنفال : ٣٩ .

(٢) صحيح البخاري في كتاب الإيمان ، باب : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ١/ ١٣ ، وصحيح مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ١/ ٥٣ . واللفظ لمسلم .

وبالاضافة إلى ذلك هناك معارضة داخلية وهى المتمثلة فـــى اليهود وأعوانهم المنافقين الذين وقفوا فى وجه نشر الدعوة الإسلاميـة بكل ما لديهم من قوة من غدر وتشكيك وتثبيط المؤمنين عن القتـــال وموالاة المشركين والتآلب مع أعداء الإسلام بغية القضاء على الإسلام ومعتنقيـه .

ولا يتسع هذا المقام لأن أذكر بالتفصيل كل المؤامرات التـى قام بها كلا المعسكرين اليهود والمنافقين فى سبيل إيقاف نشــــر الدعوة الإسلامية إلى الآفاق إلا أن الحقيقة لابد من ذكرها هى أنهم كانوا حجر عثرة على طريق الدعوة إلى الله طوال الفترة المدنية .

وأذكر هنا على سبيل الإجمال بعض جرائم معسكرى اليهـــود والمنافقين :

أولا — أهم جرائم اليهود :

(أ) الكفر بآيات الله كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ﴾ (١) .

(ب) تضليل الناس — كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ... ﴾ (٢) .

(جـ) تلبيس الحق بالباطل وكتمان الحق كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحـــق وأنتم تعلمون ﴾ (٣) .

---

(١) سورة آل عمران : ٧٠ .

(٢) سورة آل عمران : ٦٩ .

(٣) سورة آل عمران : ٧١ .

(د) تحريف الكلم عن مواضعه كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ..﴾ (١)

(هـ) الحسد على صاحب الرسالة وعلى المؤمنين — كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ...﴾ (٢) .

وأما جرائم المنافقين فهي الآتي :

(أ) تثبيطهم المسلمين عن القتال — كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر ...﴾ (٣)

(ب) السعي في التفريق بين المؤمنين كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ (٤) .

(جـ) القدح في أعراض المسلمين كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو

---

(١) سورة النساء : ٤٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٠٥ .

(٣) سورة التوبة : ٨١ .

(٤) سورة التوبة : ١٠٧ .

خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ (١)

(د) مظاهرة أعداء الله كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ﴾ (٢) .

وبفضل الله — سبحانه وتعالى — فقد تغلب الرسول — صلى الله عليه وسلم — على هذين الفريقين اليهود والمنافقين .

أمّا اليهود فقد قضى عليهم بواسطة إجلاء فريق منهم وهم بنو النضير وغيرهم وبقتل رجال الفريق الآخر وسبى نساءهم وذريتهم وأموالهم كما هو معروف فى كتب السيرة .

ويؤيد هذا ما أخرجه البخارى عن ابن عمر — رضى الله عنهما — قال : " حاربت قريظة والنضير فأجلى بنى النضير وأقر قريظة ومنّ عليهم حتى حاربت قريظة ، فقتل رجالهم ، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبى — صلى الله عليه وسلم — وآمنوا وأسلموا ، وأجلى يهود المدينة كلهم ، بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ، ويهود بنى حارثة ، وكل يهود المدينة " (٣) .

وأمّا بالنسبة للمنافقين فقد إكتفى الرسول — صلى الله عليه وسلم —

---

(١) سورة النور : ١١ .

(٢) سورة النساء : ١٣٨ — ١٣٩ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب حديث بنى النضير ٣/ ١٥ .

بالجهاد معهم باللسان دون السنان والغلظة عليهم لإظهارهم الاسلام دون الاعتقاد به حقيقة .

يقول تعالى :

﴿ ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ (١) .

يقول الشهيد سيد قطب في تفسير هذه الآية :

" وقد اختلف في الجهاد والغلظة على المنافقين ، أتكون بالسيف .. أم تكون في المعاملة والمواجهة وكشف خبيئاتهم للأنظار .. والذي وقع أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — لم يقتل المنافقين " (٢) .

وهذه الأمور التي ذكرتها كلها تدل على اهتمام الرسول — صلى الله عليه وسلم — بنشر الدعوة الإسلامية طيلة ثلاثة وعشرين عاما في مكة والمدينة .

---

(١) سورة التوبة : ٧٣ .

(٢) في ظلال القرآن : ٣/١٦٧٧ .

المبحث الثاني

الصبر على الأذى في سبيل الدعوة

المبحث الثاني

الصبر على الأذى في سبيل الدعـــوة

لقى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صنوفا من الأذى من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين وغيرهم محاولين إيقاف الدعوة أو إضعافها على الأقـل •

وسوف أتحدث في هذا المبحث عما لقى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هؤلاء الأعداء وأثر ذلك عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقتصر هنا على بيان موقف المشركين لأن اليهود والمنافقين قد ظهر أذاهم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ما قويت شوكة الإسلام وقامت دولته في المدينة بعد الهجرة على يدي رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ •

وقد سلك المشركون من قريش سبلا شتى في إضعاف الدعـوة الاسلامية وإيقافها ومحاولة وأدها في مهدها بعد ظهورها في مكة وذلك بإيذاء صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام بمنع الناس من الإيمان به وبالتحذير منه تارة وبتعذيب المؤمنين تارة أخرى •

ولقد اتخذ العدوان الجاهلي على رسول الله وأصحابه صورا شتى وألوانا عديدة •

ومنه ما كان يتمثل في الدعايات الكلامية الموجهة إلى شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإلى التهجم على الوحي بقسميه القرآن الكريم والسنة النبوية •

فلقد وجه كفار قريش اتهامات باطلة إلى الرسول ـ صلى الله عليه

وسلم ـ حيث وصفوه بالجنون وبالسحر ، وبقول الشعر مع إيمانهم وتيقنهم بأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ برئ من كل هذا .

ومما يؤيد ذلك ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : ياعم إنّ قومك يرون أن يجمعوا لك مالا . فقال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، وإنّك آتيت محمدا لتعرض لما قبله قال : قد علمت قريش انّى من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك منكر له أو إنّك كاره له . قال : وماذا أقول ؟ ، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منّى ولا أعلم برجز ولا بقصيدة منّى ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا والله إنّ قوله الذى يقول لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة (١) وإنّه لمثمر أعلاه مغدق (٢) أسفله ، وإنّه ليعلوا وما يعلى وإنّه ليحطم ما تحته ، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدعنى حتى افكر ، ففكر ، فلمّا فكر قال : هذا سحر يؤثره عن غيره ، فنزلت : ﴿ ذرنى ومن خلقت وحيدا (٣) ﴾ (٤) .

---

(١) طلاوة : رونقا وحسنا ، وقد تفتح الطاء . النهاية فى غريب الحديث ٣/١٣٧ .

(٢) مغدق : من غدق ، والغدق بفتح الدال المطر الكبير القطر ، يقول : أغدق المطر يغدق إغداقا فهو مغدق . النهاية فى غريب الحديث ٣/٣٤٥ .

(٣) سورة المدثر : ٢٤ .

(٤) مستدرك الحاكم ٢/٥٠٧ وقال الحاكم : حديث صحيح الإسناد على شرط البخارى ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

هكذا كان شأنهم مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرون بالحق في ضميرهم دون النطق به ، بل ينكرونه ويجحدونه مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ... ﴾ (١) ، ومصداقا لقوله تعالى أيضا :

﴿ ... فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون .. ﴾ (٢)

وقد صور الله تعالى بعض أقاويلهم في شأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال تعالى حاكيا عن أقوالهم حيث قالوا .

﴿ ... ياأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ . (٣)

وقالوا :

﴿ ... هذا ساحر كذاب ﴾ (٤)

وقالوا :

﴿ ... إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ﴾ (٥)

وقالوا :

﴿ ... أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ . (٦)

وقالوا :

﴿ ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ﴾ . (٧)

---

(١) سورة النمل : ١٤ .
(٢) سورة الأنعام : ٣٣ .
(٣) سورة الحجر : ٦ .
(٤) سورة ص : ٤ .
(٥) سورة الفرقان : ٨ .
(٦) سورة الصافات : ٣٦ .
(٧) سورة ص : ٧ .

وقالـوا :

﴿ ... معلم مجنون ﴾ (١)

وأمّا تهجمهم على القرآن فكثير أذكر طرفا منه على سبيـــل المثال لا الحصر كما يحكى ربّنا عنهم .

من ذلك قولهم :

﴿ ... أساطير الأولين اكتتبهـا فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾ (٢)

ومنها قولهم :

﴿ ... لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ (٣)

ومنها قولهم :

﴿... إن هذا إلا سحـر يؤثر ﴾ . (٤)

ومنها قولهم :

﴿ ... لولا نزل هذا القرآن جملة واحـدة ... ﴾ (٥)

ومنها قولهم :

﴿ ... لولا نزل هذا القرآن على رجـل من القريتين عظيم ﴾ (٦)

وكان هذا دأب كل قوم مع رسولهـم كما يدل عليه قوله تعالى حاكيا عن موقف الأمم السابقة من رسلهم :

---

(١) سورة الدخان : ١٤ .
(٢) سورة الفرقان : ٥ .
(٣) سورة فصلت : ٢٦ .
(٤) سورة المدثر : ٢٤ .
(٥) سورة الفرقان : ٣٢ .
(٦) سورة الزخرف : ٣١ .

﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحرأومجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴾ (١)

يقول الشوكاني عند تفسيره هاتين الآيتين :

" في هذا تسلية لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ببيان أن هذا شأن الأمم المتقدمة وأن ما وقع من العرب من التكذيب لرسول الله ووصفه بالسحر والجنون قد كان ممن قبلهم لرسلهم" (٢)

ويقول الشهيد سيد قطب في هذا الصدد :

" فهي جبلة واحدة وطبيعة واحدة للمكذبين وهو استقبال واحد للحق وللرسل يستقبلهم به المنحرفون " . (٣)

وهذه الاتهامات التي ذكرتها يعتبر قطرة من بحر بالنسبة لما وجه إلى صاحب الرسالة ورسالته من اتهامات وافتراءات إلا أنها تدل دلالة واضحة على تعنت هؤلاء المشركين وموقفهم المتزمت تجاه الدعوة وصاحبها — صلى الله عليه وسلم — طيلة المدة التي أقام المصطفى بين أظهرهم .

وقد رد الله — سبحانه وتعالى — عن رسوله وعن دينه هذه التهم في كثير من الآيات :

منها قوله تعالى :

﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ . (٤)

---

(١) سورة الذاريات : ٥٢ — ٥٣ .

(٢) تفسير فتح القدير : ٥/٩١ — ٩٢ .

(٣) في ظلال القرآن الكريم : ٦/٣٣٨٦ .

(٤) سورة القلم : ٢ .

ومنها قوله تعالى :

﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ .(١)

ومنها قوله تعالى :

﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾ .(٢)

ومنها قوله تعالى :

﴿ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ﴾(٣)

ومن العدوان الذى قام به المشركون أيضا ما كان يتمثل في إيذائه صلى الله عليه وسلم ـ جسديا بغية أن يعدل عن دعوته كلية أو جزءا منها .

من ذلك إيذاؤه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالخنق بواسطة ثوبه كما فعل عقبة بن أبى معيط .

يدل على ذلك ما أخرجه البخارى بسنده عن عمرو بن العاص لما سأله عروة بن الزبير عن اشد ما صنع المشركون برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " بينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبوبكر حتى أخذ بمنكبه ودفع عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال :
﴿ أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ﴾ .(٤) (٥)

---

(١) سورة يس : ٦٩ .
(٢) سورة النجم : ٢ ـ ٤ .
(٣) سورة الحاقة : ٤١ ـ ٤٢ .
(٤) سورة غافر : ٢٨ .
(٥) كتاب المناقب باب مالقى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه من المشركين بمكة ٢/ ٣٢١ .

ومن ذلك إلقاء القاذورات عليه -صلى الله عليه وسلم- كما فعل عقبة بن أبي معيط أيضا .

أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : " بينما النبي -صلى الله عليه وسلم- ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة ابن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة -عليها السلام- فأخذته من ظهره ودعت على من صنع فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : (اللهم عليك بالملأ من قريش أبا جهل بن هشام بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف أو أبي بن خلف) (١) " شعبة الشاك " فرأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر غير أمية أو أبي تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر " (٢).

ومن ذلك أيضا المقاطعة العامة التي فرضت عليه -صلى الله عليه وسلم- وعلى المؤمنين من أقربائه وغير المؤمنين الذين وقفوا بجانبه تعصبا وحمية .

وقد ذكر أصحاب السير هذه المقاطعة العامة ومن بينهم الإمام ابن كثير -رحمه الله- في كتابه السيرة النبوية يروي ذلك :

---

(١) والصحيح أمية لأن أبي قد قتله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أحد كما هو مشهور في كتب السيرة . انظر زاد المعاد ١٩٩/٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، مالقي النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه من المشركين بمكة ٣٢١/٢ .

تعليقا عن ابن إسحاق صاحب المغازي قال :

" فلما رأت قريش أنّ أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد نزلوا بلدا أصابوا منه أمنا وقرارا ، وأنّ النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه وجعل الإسلام يفشوا في القبائل فاجتمعوا وأتمروا على أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على ألا ينكحوا إليهم ولا يناكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم ". (١)

ويقول ابن إسحاق أيضا :

" فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلا سرا مستخفيا من أراد صلتهم من قريش ". (٢)

وقد ظل الحصار مفروضا عليهم في تلك المدة حين كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع . (٣)

ومن ذلك محاولة إغرائه – صلى الله عليه وسلم – بواسطة ما عرضوا عليه من مغريات مادية عساه أن يجنح لبعضها حسب ما تقتضى عقولهم وأهواءهم وحسب ما تقتضى الموازين الأرضية .

يروى أنّ عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادي

---

(١) السيرة النبوية : ٢ / ٤٧ – ٤٨ .

(٢) المصدر السابق : ٢ / ٥٠ .

(٣) انظر المصدر السابق : ٢ / ٤٧ .

قريش ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد وحده يامعشر قريش الا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فيعطيه أيها شاء ويكف عنّا وذلك حين أسلم حمزة - رضى الله عنه - ورأوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزيدون ويكثرون ، فقالوا ياأبا الوليد فقم إليه فكلمه فقام اليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا ابن أخي إنّك منّا حيث علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال : فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (قل يا أبا الوليد أسمع) قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لاتستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانّه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أوكما قال له ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يستمع منه قال : (أفرغت يا أبا الوليد ؟) قال : نعم ، قال : (فاستمع مني) قال : أفعل ، فقرأ - صلى الله عليه وسلم - صدر سورة فصلت إلى السجدة منها ثم قال : (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك) .[1]

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٩١ ويروى البغوى هذه
===

ومن إيذائهم أيضا التآمر على قتله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ويؤيد هذا ما روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن الملأ من قريش إجتمعوا فى الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف (١) لوقد رأينا محمدا لقمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله . فأقبلت إبنته فاطمة تبكى حتى دخلت على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : هؤلاء الملأ من قومك قد تعاقدوا عليك لوقد رأوك لقاموا إليك فقتلوك فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك (٢) .

وقد أشار القرآن إلى تلك الحادثة بقوله تعالى :

﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ (٣) .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يواجههم بالصبر على أذاهم والثبات على مبدئه طيلة الفترة المكية إيمانا بأنّ الله ـ عز وجل ـ سوف ينصره وينصر دينه وإن تأثر بإيذائهم له ـ صلى الله عليه وسلم ـ تأثرا

== القصة في تفسيره (١٠٧/٦) عن جابر ـ رضى الله عنه ـ وحسن الألبانى سندها فى تعليقاته على فقه السيرة للغزالى . انظر هامش ص ١١٣ من فقه السيرة .

(١) الخمسة أسماء لآلهة المشركين .

(٢) اخرجه الإمام أحمد في مسنده ١ / ٣٠٣ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٢٢٨ رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ، وقال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٤ / ٢٧٦٣ كلا الإسنادين صحيح .

(٣) سورة الأنفال : ٣٠ .

حتى نبهه الله ـ سبحانه وتعالى ـ بذلك في عدة مواضع من القرآن على سبيل التسلية والتوجيه .

يقول تعالى :

﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾ (١) .

ويقول تعالى :

﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل ﴾ (٢) .

ويقول تعالى :

﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾ (٣) .

ويقول تعالى :

﴿ . . فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الحجر : ٩٧ - ٩٨ .

(٢) سورة هود : ١٢ .

(٣) سورة الكهف : ٦ .

(٤) سورة فاطر : ٨ .

المبحث الثالث

تكميل الدين وإتمام النعمة

المبحث الثالث

تكميل الدين وإتمام النعمة

لقد جعل الله – سبحانه وتعالى – نبينا – صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين والمرسلين .

يقول تعالى : ﴿ ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ... ﴾ (١) .

ويقول – صلى الله عليه وسلم :

(إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين) (٢)

وقال – صلى الله عليه وسلم – لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – :

(ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي) (٣) .

فهذه النصوص من القرآن والسنة كلها تدل على ان الرسول – صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين وإن ادعى المدعون النبوة قديما وحديثا .

يقول ابن كثير عند تفسيره الآية السابقة :

" فهذه الآية نص في أنه لانبي بعده وإذا كان لانبي بعده

---

(١) سورة الأحزاب : ٤٠ .

(٢) صحيح البخاري .كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين ٢ / ٢٧٠ .

(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي ،باب غزوة تبوك ٣/٨٦ .

فلا رسول بالطريق الأولى والاحرى لأنّ مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإنّ كل رسول نبي ولا ينعكس ، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من حديث جماعة من الصحابة — رضوان الله عليهم — " .(١)

وعلى هذا فان رسالته ختمت بها الرسالات السابقة كلها ومن ثم لا يقبل الله أن يدين أحد بسواها بعد نزولها لنسخها ماقبلها سواء كان يدين برسالة سماوية سابقة كاليهودية والنصرانية أو لا كعبدة الأوثان والأصنام .

يقول تعالى :

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ... ﴾(٢)

ويقول — صلى الله عليه وسلم — مؤكدا ذلك :

(لوكان موسى حيّا ما وسعه إلّا أن يتبعني) .(٣)

وقوله — صلى الله عليه وسلم — :

(والذى نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار).(٤)

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٤٩٣ .

(٢) سورة آل عمران : ٨٥ .

(٣) رواه الدارمى ١/ ١١٥ — ١١٦ وحسنه الألبانى فى **تعليقه على مشكاة** المصابيح ١/ ٦٣ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ١/ ١٣٤ .

يؤيد هذا قوله تعالى :

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ (١)

يقول ابن عباس — رضي الله عنهما — في هذه الآية التي نحن بصددها :

" ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ". (٢)

ويروى مثل هذا القول عن علي بن أبي طالب — رضي الله عنه —. (٣)

وقد تميزت رسالته — صلى الله عليه وسلم — بأمور ثلاثة تفوق بها على الرسالات التي قبلها وتؤهلها لأن تكون خاتمة :

أولا : العموم : بمعنى أن رسالة الإسلام ليست محددة بزمن من الأزمان ولا بمكان من الأمكنة ولا بأمة دون الأمم منذ نزولها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

يقول تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾. (٤)

ويقول تعالى أيضا :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾. (٥)

---

(١) سورة آل عمران : ٨١ .

(٢، ٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٣٧٨ .

(٤) سورة سبأ : ٢٨ .

(٥) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

ويقول تعالى أيضا آمرا رسوله إعلان هذا الأمر :

﴿ قل ياأيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعا ... ﴾ .(١)

وهذه النصوص كلها تدل على عمومية رسالة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي من إحدى خصائصه كما يدل عليه قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ... ـ ثم ذكر من بينها ـ وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة) .(٢)

ويؤيد خصوصية الرسالات السابقة قوله تعالى :

﴿ ... وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ .(٣)

ثانيا : الحفظ : حيث تكفل الله بحفظها باقية كما نزلت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها دون تغيير شيء منها بالنقص منها أو الزيادة عليها .

يقول تعالى :

﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ .(٤)

وهذا أمر مشاهد اليوم لاينكره أحد بحيث لم يتغير منها شيء بعد أربعة عشر قرنا وستبقى كذلك إلى حين يشاء الله تعالى ،

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التيمم ١/٧٠ .

(٣) سورة فاطر : ٢٤ .

(٤) سورة الحجر : ٩ .

بخلاف الكتب السابقة التي تعرضت للتحـريف والتبديل من قبل أصحابها كالتوراة والإنجيل .

ثالثا : الكمال والتمام : ولقد أكملها سبحانه وتعالى لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم . كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ ... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكـم الإسلام دينا ... ﴾ (١) .

وقد نزلت هذه الآية في حجة الوداع في العام العاشـر مـن الهجرة النبوية على صاحبهـا أفضل الصلاة والتسليم كما ورد في الحديث الصحيـح .

روى البخاري بسنده من طارق بن شهاب قال : قالت اليهـود لعمر : إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا فقال عمـر :

" إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ حين أنزلت يوم عرفة ، وإنّا والله بعرفة " (٢) .

ومن هنا أقول إنّ هذه الآية نزلت بعد جهاد طويل دام ثلاثة وعشرين عاما وفي وقت أظهر الله دينه وفي حجة الوداع الذي لـم يحج فيه مشرك لما ورد في الصحيح .

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال :

" بعثني أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ في تلك الحجـة في المؤذنين بعثهـم يوم النحـر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعـد العام

---

(١) سورة المائدة : ٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ ١٢٣/٣ .

مشرك ولا يطوف بالبيت عريان "(١)

وكان ذلك في العام التاسع من الهجرة . ولهذا لم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مشرك .

كما أني أقول أيضا إن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد أبلغ الأمة ما كلف به دون كتمان شيء تنفيذا لأمر الله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ... ﴾(٢) .

وتقول عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – في هذا الصدد :

" من حدثك أن محمدا قد كتم شيئا مما أنزل عليه ، فقد كذب والله يقول : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ...(٣) ﴾ (٤)

وقد شهد له بذلك جموع من أصحابه – رضوان الله عليهم – في حجة الوداع حينما قال لهم أثناء خطبته بوادي عرنة في يوم عرفة :

(... أنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : " نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت " فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها(٥) إلى الناس : (اللهم اشهد اللهم اشهد) ثلاث

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج ... ﴾ ٣ / ١٣٤ .

(٢ ، ٣) سورة المائدة : ٦٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ ٣ / ١٢٥ .

(٥) قال القاضي عياض : كذا الرواية فيه بالتاء المثناه فوق وهو بعيد المعنى ، قيل صوابه ينكبها ، ومعناه يقلبها ويرددها إلى الناس مشيرا إليهم ، ومنه نكب كنانته إذا قلبها . شرح النووي على صحيح مسلم ٨/١٨٤ وانظر مقدمة هذا البحث صفحة (ح) .

مـرات ... ".(١)

ولا يخفى أن مثل هذا الامر يتطلب جهدا وتحملا للمشقة كما أنـه يتطلب الصبر على الأذى والثبات أمام المغريات .

وقد تحمل ـ صلى الله عليه وسلم مشقة كبيرة في سبيل نشـر الدعوة وإبلاغهـا إلى الناس كما أنه تحمل أذى المشركين والمنافقيـن واليهود ومن في حكمهم بالصبر تارة وبالجهـاد معهم تارة اخرى طيلـة ربع قرن من الزمن تقريبا .

وقد ذكر محمد رشيد رضا خلاصة عمله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مكة والمدينة حيث قال :

" أقام ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مكة بعد بدء التبليغ عشـر سنين ، يدعو إلى أصول الإيمان وكليات الدين ، من التوحيد الخالص ، والعمل الصالح ، وتزكية النفس بتطهيرها من أدران الرذائل ، وتحليتها بأحاسن الأخـلاق وعقائل الفضائل ، واستعمال نعم الله تعالى مـن بدنية وعقلية ، وسماوية وأرضية ، فيما تظهر به حكمه وتشاهد اياتـه في الخلق ، وتتسع بهـا العلوم التي يعـرف بهـا الحـق وتكثر موارد الرزق ، صابرا مع السابقين من المؤمنين ، على الإضطهـاد والأذى مـن المشركين ، على أنهم عرضوا عليه الملك والمال والدثر ، على أن يترك هـذا الامر ، ولو كان يطلب الرياسة لآثر ذلك على الضعـف والفقـر ، ثـم دخل الإسلام بالهجرة في عهد الحرية ، وتكونت له قوة العصبية ، وجاء الوحي فيه مفصلا لما اجمل في السور المكية من الأحكام ، وبيان الحلال

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب : حجة النبي ـ صلى الله عليـه وسلم ـ ٢/٨٩٠ .

والحرام ، وفيه فرضت الزكاة والحج والصيام ، وكانت الصلاة فرضت بمكة في أول الإسلام وبينت السنة النبوية جميع فروع العبادات ، وكل ما يحتاج إليه من النصوص والقواعد السياسية وأنواع المعاملات ، فبذلك كله أكمل الله الدين وأتم نعمته على المؤمنين وقد تربى على ذلك الألوف من المهاجرين والأنصار". (١)

وهذه الأمور التي ذكرها تمت كلها في فترة وجيزة للغاية لا تتجاوز ربع قرن من الزمن بل أقل من ذلك . بحيث تقتضي هنا الإعجاب والتقدير معا لمن قام بها وحققها في واقع الحياة وهو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بفضل من الله سبحانه وتعالى .

يقول أبو الحسن الندوي معربا إعجابه بذلك :

"لقد كان الانقلاب (٢) الذي أحدثه - صلى الله عليه وسلم - في نفوس المسلمين وبواسطتهم في المجتمع الإنساني أغرب ما في تاريخ البشر ، وقد كان هذا الانقلاب غريبا في كل شيء ، كان غريبا في سرعته ، وكان غريبا في عمقه ، وكان غريبا في سعته وشموله ، وكان غريبا في وضوحه وقربه إلى الفهم . فلم يكن غامضا ككثير من الحوادث الخارقة للعادة ولم يكن لغزا من الألغاز". (٣)

وقد نتج عن عمله - صلى الله عليه وسلم - الأمور التالية :

١ - القضاء على الوثنية وإحلال محلها الإيمان بالله واليوم الآخر .
٢ - القضاء على الرذائل الجاهلية وأقام مقامها الفضائل ومكارم الأخلاق
٣ - إقامة الدين الحق الذي يصل بالإنسان الى أقصى ما قدر له .

---

(١) ذكرى المولد النبوي ص ٤١ - ٤٢ .
(٢) الانقلاب مصطلح حديث يستعمل للخير والشر معا وخاصة للشر في هذا العصر لذلك من الأفضل والأولى وصف الإسلام بالتغيير الكلي أو الإصلاح الجذري .
(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٨٨ - ٨٩ .

٤ ـ احداث انقلاب[1] وتغيير شامل للأوضاع ونظام الحياة الذى درج عليه أهل الجاهلية .

٥ ـ توحيد الأمة العربية تحت راية القرآن فى فترة وجيزة .[2]

يقول سيد سابق بعد ذكره النقاط السابقة :

" هذه هى الأعمال التى تمثل نجاح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مهمته وهى كما تبدو كلها أمور كبيرة وإقامتها بل إقامة واحد منها من الخطورة بمكان وأنّه لا يمكن أن يتأتى النجاح لفرد فى بعض هذه الأعمال فضلا عن توفر النجاح فى كل ناحية من هذه النواحى ".[3]

وعلى هذا فعلى المسلم أن يتأدب مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تقديرا لما قام به من أعمال جليلة فى سبيل وصول الإسلام إلى الناس فى زمانه وإلى الذين من بعده حتى يرث الله الأرض ومن عليها ولما أثر عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من صفات حميدة من ناحية الخلقية والخلقية والتى بينتها فى الفصل الأول من هذا الباب مع ما أنعم الله عليه من النبوة والرسالة التى ختم الله بها الرسالات كلها .

---

(١) انظر هامش رقم (٢) في الصفحة السابقة .
(٢) المقائد الإسلامية ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ مع التصرف .
(٣) المصدر السابق ص ٢٠١ .

الباب الثانى

أنواع الأدب مع الرسول
– صلى الله عليه وسلم –

الباب الثاني
أنواع الأدب مع الرســـول
ـ صلى الله عليه وسلــم ـ

الأدب مفهوم يتعلق بأعمال الانسان بصورة عامة ، وأنواع الأعمال تبعا للتقسيم الواقعي لا تتعدى ثلاثة أنواع لأنهـا إمّا أن يكون مصدرها القلب وهي الأعمال القلبية كالحب والألفة والسرور ، وإمّا أن يكـــون مصدرها اللسان وهي الأقوال والألفاظ ، وإمّا أن يكون مصدرهـــا الجوارح وهي الحركة والمشي وهكذا .

والأدب متصل بهذه الأنواع الثلاثة ، ولذلك كان على المسلم أن يلتزم بكل منها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا بد من حب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعظيمه وتوقيره ولا بد من الصلاة والسلام عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولا بد من اتباعه وطاعته واتخاذه أسوة وقدوة .

وقد عقدت هذا الباب للحديث عن أنواع الأدب مع الرســـــول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولذلك جاء في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الأدب القلبي .

الفصل الثاني : " القولي .

الفصل الثالث : " العملي .

وسوف أبحثها بعون الله بنفس الترتيب فيما يلي :

الفصل الأول

الأدب القلبي

الفصل الأول
الأدب القلبي

الأدب القلبى هو ماكان مصدره القلب مثل التصديق ، والحب ، والإخلاص وهكذا . .

والآداب القلبية لها شأن عظيم تبعا لأهمية مصدرها ، لأنّ القلب سيد أعضاء الجسد يقودها ويوجهها ، ويصبغها بصبغته ومحتواه . لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(. . . ألا أن فى الجسد مضغة (١) فإذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) . (٢)

ولهذا يعتبر القلب طاقة ذات أهمية كبيرة بالنسبة لحياة الإنسان فى الدنيا والآخرة .

فهو أساس الأعمال الظاهرة لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى إمرأة ينكحها أو لدنيا يصيبها فهجرته إلى ما هاجر إليه) . (٣)

---

(١) المضغة : القطعة من اللحم ، قدر ما يمضغ ، وجمعها مضغ ، وهنا تعنى القلب ، لأنّه قطعة لحم من الجسد . أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٤/٣٣٩ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الإيمان ، باب من استبرأ لدينه ١/١٩ – ٢٠ .

(٣) صحيح البخارى ، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ١/٦ .

وبه يكون قبول الأعمال عند الله تعالى لقوله سبحانه :

﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بمـــا كسبت قلوبكم . . . ﴾ (١)

وهو محل الإيمان لقوله تعالى :

﴿ . . . ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم . . . ﴾ (٢)

ولقوله تعالى :

﴿ . . . أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه . . . ﴾ (٣)

وهو أيضا محل الهداية لقوله تعالى :

﴿ . . . ومن يؤمن بالله يهد قلبه . . . ﴾ (٤) . كما أنّه محـــل للتقوى . لقوله تعالى :

(ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب) (٥)

والقلب كما يوجه صاحبه للإيمان والهداية إذا استقام علـــى الفطرة ، وتدبر آيات الله واستفاد منها ، يوجه صاحبه كذلك إلـــى المعصية والضلال إن بعد عن فطرته . وانشغل بالهوى والشهوات وحينئذ يكون مصدر الكفر . لقوله تعالى :

﴿ . . . وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم . . . ﴾ (٦) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٥ .
(٢) " الحجرات : ٧ .
(٣) " المجادلة : ٢٢ .
(٤) " التغابن : ١١ .
(٥) " الحج : ٣٢ .
(٦) " البقرة : ٩٣ .

ومحل الشك والريب لقوله تعالى :

﴿ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم ... ﴾ (١).

ومحل التعصب وحمية الجاهلية لقوله تعالى :

﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ... ﴾ (٢).

يقول النيسابوري :

" القلب صالح لأن يميل إلى الإيمان وصالح لأن يميل إلى الكفر وكل منهما يتوقف على داعية ينشئها الله تعالى فيه ، إذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب إثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والإزاغة والصد والختم والطبع والريبة وغيرها مما ورد في القرآن ، وإن كانت داعية الإيمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها ". (٣) ثم إستشهد بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء) . (٤)

---

(١) سورة التوبة : ٤٥ .

(٢) " الفتح : ٢٦ .

(٣) غرائب القرآن : ٣/١٣١ - ١٣٢ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب تصريف الله القلب كيف شاء ٤/٢٠٤٥ .

ومن هنا قيل سمي القلب قلبا لتقلبه وتغايره .

وعلى هذا سأل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربّه ـ عز وجل ـ أن يثبت قلبه على طاعته قائلا :

(اللهم مصرف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك) . (١)

وفي هذا الفصل سوف نتحدث عن الآداب التي محلها القلب وسيأتي مكونا من مبحثين هما :

المبحث الأول : الإيمان بنبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

المبحث الثاني : محبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وذلك فيما يلي :

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب تصريف الله القلب كيف شاء ٤/٢٠٤٥ .

المبحث الأول

الإيمان بنبوته – صلى الله عليه وسلم –

المبحث الأول

الإيمان بنبوته صلى الله عليه وسلم

من الآداب القلبية المتصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان بنبوته صلى الله عليه وسلم بل هو رأس الآداب كلها لأن الإيمان به صلى الله عليه وسلم ركن من أركان العقيدة وأساس من أسس الدين وأما غيره من الآداب فتابعة له بحيث إذا اختل هذا الركن يختل معه الآداب الأخرى .

وعلى هذا ، فأول ما يطلب من الأنام تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان به صلى الله عليه وسلم بعد الإيمان بالله عز وجل بل إنهما متلازمان لقوله تعالى :

﴿ إنّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما ﴾ (١)

ولأهمية الإيمان به صلى الله عليه وسلم جعلت الكلام عنه في صدارة الباب المتعلق بالآداب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة النساء : ١٥٠ - ١٥٢ .

وسوف نتطرق في هذا المبحث للمسائل المتعلقة بهـــــذا الموضوع وهي على النحو التالي :

١ - تعريف الإيمان لغة واصطلاحا .

٢ - حكم الإيمان به - صلى الله عليه وسلم - .

٣ - أصناف الناس في الإيمان به - صلى الله عليه وسلم - .

٤ - ثمرة الإيمان به - صلى الله عليه وسلم - .

وسوف أبحثها بمشيئة الله وفق هذا الترتيب .

١ - تعريف الايمان :

يعد التعريف اللغوي مدخلا للتعريف الاصطلاحـــــي ولذلك سأبدأ بتعريف الإيمان لغة وبعده أعرّفه بما قال علمـــــاء الاصطلاح . وذلك فيما يلي :

أ - تعريف الإيمان في اللغة :

يقول الأزهري (١) :

" الإيمان : مصدر آمن يؤمن إيمانا ، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم على أنّ الإيمان معناه التصديق " . (٢)

ويقول ابن فارس (٣) :

" الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب ، والآخر التصديق ، والمعنيان

---

(١) هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٩٢ - ٣٧٠ هـ) .

(٢) تهذيب اللغة مادة آمن ١٥/٥١٣ .

(٣) تقدمت ترجمته في صفحة " ٣ " .

كما قلنا متدانيان ". [(١)]

ويقول الفيروزأبادى [(٢)] فى مادة "آمن" :

"آمن به إيمانا صدقه ". [(٣)]

ويقول ابن منظور [(٤)] فى مادة "آمن" :

" والإيمان بمعنى التصديق ، وضده التكذيب ، ويقال آمن به قوم وكذب به قوم ". [(٥)] أى : صدقه بعضهم دون بعض .

وهذه التعاريف التى نقلتها عن أهل اللغة تدور حول معنى واحد وهو التصديق ومنه قوله تعالى حكاية عن قول إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ لأبيهم يعقوب ـ عليه السلام ـ .

﴿ ... وما أنت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين ﴾ [(٦)] أى بمصدق لنا .

يقول الأزهرى بعد ذكر هذه الآية :

" لم يختلف أهل التفسير أنّ معناه وما أنت بمصدق لنا ". [(٧)]

ولهذا نقول : اتفق أهل التفسير مع أهل اللغة على أنّ الإيمان

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١ / ١٣٣ .

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادى المتوفى سنة ٨١٧ هـ . انظر ترجمته فى بغية الوعاة ٢ / ٢٧٣ ـ ٢٧٥ .

(٣) القاموس المحيط ٤ / ١٩٩ .

(٤) تقدمت ترجمته فى صفحة "٣" .

(٥) لسان العرب ١٣ / ٢١ .

(٦) سورة يوسف : ١٧ .

(٧) تهذيب اللغة : ١٥ / ٥١٤ .

فى اللغة هو التصديق .

(ب) **الإيمان فى الشرع :**

الإيمان عند جمهور أهل السنة هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان،أى عقد وقول وعمل .

يقول إبن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ حكاية عن أقوال السلف فى تفسير الإيمان :

" فتارة يقولون : قول وعمل ؛

وتارة يقولون : قول وعمل ونية .

وتارة يقولون : قول وعمل ونية وإتباع سنة .

وتارة يقولون : قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، وكل هذا صحيح " . (١)

وكل هذه الأقوال المنقولة عن السلف والمتعلقة فى تفسير الإيمان توءول إلى معنى واحد وإن اختلفت ألفاظها كمّا وكيفا كما أوضح ذلك شيخ الإسلام حيث قال :

"إنّ من قال من السلف : الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، ومن أراد الاعتقاد رأى أنّ لفظ القول لا يفهم منه إلاّ القول الظاهر أوخاف ذلك نزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال : قول وعمل ونية ، قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأمّا العمل فقد لا يفهم منه نزاد ذلك ، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلاّ باتباع السنة ". (٢)

---

(١) الايمان : ١٤٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٤٦ ـ ١٤٧ .

وإذا نظرنا إلى التعاريف الاصطلاحية التى ذكرناها لتفسير الإيمان نجد أنّه لا يوجد تعريف خال عن عمل القلب أو ما يفيد معناه .

ولهذا السبب تكلمت عن الإيمان بنبوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى هذا الفصل الذى عقدته للأدب القلبى وإن كان يشمل الأعمال الظاهرة على قول أهل السنة إلاّ أنّ النيّة عمود الأعمال الظاهرة وأساسها وبها الثواب والعقاب وإن لم يصاحبها عمل أحيانا ، والنيّة محلها القلب كما هو معلوم .

يقول ابن القيم - رحمه الله - :

" الإيمان له ظاهر وباطن ، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح ، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته ، فلا ينفع ظاهر لا باطن له ، وإن حقن به الدماء وعصم به الأموال والذرية ، ولا يجزىء باطن لا ظاهر له ، إلاّ إذا تعذر بعجز أو إكراه أو ضعف وإكراه " . (١)

هذا هو تعريف الإيمان بصورة عامة ، وأمّا تعريف الإيمان بنبوته - صلى الله عليه وسلم - فهو الإقرار بنبوته - صلى الله عليه وسلم - ظاهرا وباطنا والتسليم له بما جاء به - صلى الله عليه وسلم - جملة وتفصيلا عند العلم به .

يقول القاضى عياض :

" والإيمان به - صلى الله عليه وسلم - هو تصديق بنبوته ورسالة الله تعالى له وتصديقه فى جميع ما جاء به وما قاله ، ومطابقة تصديق القلب بذلك بشهادة اللسان بأنّه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) الفوائد : ٨٥ .

فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان ، تم الإيمان به - عليه الصلاة والسلام - والتصديق له صلى الله عليه وسلم.(١)

ومن هذا يتبيّن أنّ الإيمان به - صلى الله عليه وسلم - يستلزم ثلاثة أمور هى :-

١ - الإيمان به - صلى الله عليه وسلم - باطنا جازما بذلك دون شك.

٢ - شهادة اللسان بذلك إظهارا لما فى قلبه مالم يكن صاحبه عاجزا عن ذلك .

٣ - العمل بمقتضى ما جاء به النبى - صلى الله عليه وسلم - دون اعتراض أو ترك .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

" فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو تحقيق شهادة أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمدا رسول الله ، فمن شهد أنّه رسول الله شهد أنّه صادق فيما يخبر به عن الله - تعالى - ، فإنّ هذا حقيقة الشهادة بالرسالة . . وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام لا يحتاج إلى دليل ، وهو الإقرار بما جاء به النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو نفس ما جاء به القرآن وجاءت به السنة ".(٢)

ويقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - :

"والإيمان هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - علما والتصديق به عقدا ، والإقرار به نطقا ، والانقياد به محبة وخضوعا ، والعمل به باطنا وظاهرا ، وتنفيذه والدعوة إليه

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضي عياض ٢/ ٥٣٩ .
(٢) القاعدة المراكشية : ٢٤ - ٢٥ .

بحسب الإمكان ". (١)

هذا هو الإيمان المعتد به عند الله - سبحانه وتعالى - في الدنيا والآخرة ، وأمّا إذا فقد أمر من الأمور الثلاثة التي ذكرناها فلكل حكمه الخاص كما سوف نبينه عند كلامنا عن أصناف الناس في الإيمان به - صلى الله عليه وسلم - .

٢ - حكم الإيمان به - صلى الله عليه وسلم - :

الإيمان به - صلى الله عليه وسلم - واجب على كل مكلف بلغته الدعوة الإسلامية على وجهها الصحيح ، والأدلة على ذلك كثيرة في القرآن وفي السنة .

أمّا أدلة القرآن الكريم فانّها تنقسم إلى قسمين : قسم يشهد له ولغيره من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وقسم يشهد له - صلى الله عليه وسلم - خاصة .

أمّا ما يشهد له ولغيره من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام :-

فمنه قوله تعالى : * آمن الرسول بما أنزل اليه من ربّه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله . . . * (٢)
وقوله تعالى : * إنّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا * . (٣)

---

(١) الفوائد : ١٠٧ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٣) سورة النساء : ١٥٠ - ١٥١ .

وأمّا ما يشهد له ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة فكثيرة :

منها قوله تعالى : ﴿ ... فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ . (١)

ومنها قوله تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير ﴾ . (٢)

ومنها قوله تعالى : ﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا ﴾ . (٣)

وأمّا أدلة السنة فإنّها تنقسم إلى قسمين على نمط أدلة القرآن الكريم ولذلك ترى في السنة ما يشهد لرسول الله ولغيره من الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، وما يشهد له ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة .

أمّا ما يشهد له ولغيره من الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ جميعا : فمنه إجابة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لجبريل ـ عليه السلام ـ بعد ما سأله عن الإيمان حيث قال :

(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث) . (٤)

وأمّا ما يشهد له ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكثيرة منها ما أخرجه

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .
(٢) سورة التغابن : ٨ .
(٣) سورة الفتح : ١٣ .
(٤) البخاري في كتاب الايمان في باب سؤال جبريل ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الايمان والاسلام والاحسان وعلم الساعة ١ / ١٨ .

الشيخان عن إبن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلاّ الله وأنّ محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويوءتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الاّ بحق الإسلام وحسابهم على الله .) (١)

ومنها ما أخرجه الإمام مسلم عن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنّه قال : (والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يوءمن بالذى أرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار) . (٢)

والنصوص السابقة تفيد وجوب الإيمان به ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عدة وجوه :

الأول : الأمر بالإيمان به ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يفيده قوله تعالى ﴿ ... فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يوءمن بالله وكلماته ... ﴾ . (٣)

---

(١) البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : (فان أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ١ / ١٣ . واللفظ له ،
وسلم فى كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الاّ الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويوءتوا الزكاة . ١ / ٥٣ .

(٢) مسلم فى كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ١٣٤٨ .

(٣) سورة الأعراف : ١٥٨ .

وقوله تعالى أيضا :

﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا . . . ﴾ . (١)

الثاني : تسمية من لم يؤمن به كافرا كما يفيد قوله تعالى : ﴿ انّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ﴾ أولئك هم الكافرون حقا . . . ﴾ . (٢)

الثالث : الوعيد لمن لم يؤمن به – صلى الله عليه وسلم – باد خال العذاب . كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانّا أعتدنا للكافرين سعيرا ﴾ . (٣)

الرابع : الأمر بقتال من لم يؤمن به – صلى الله عليه وسلم – كما يدل عليه قوله – صلى الله عليه وسلم – :

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منّى دماءهم وأموالهم إلاّ بحق الإسلام وحسابهم على الله) . (٤)

الحاصل أنّ الإيمان به – صلى الله عليه وسلم – يستلزم الإيمان بالرسل السابقين جميعا – عليهم الصلاة والسلام – وأنّ الكفر بأحد منهم كفر بهم جميعا كما يدل عليه قوله تعالى :

---

(١) سورة التغابن : ٨ .

(٢) سورة النساء : ١٥٠ – ١٥١ .

(٣) سورة الفتح : ١٣ .

(٤) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا ... ﴾ (١).

وكل هذه الأمور التي استنبطت من الأدلة السابقة في القرآن وفي السنة تدل على وجوب الإيمان به - صلى الله عليه وسلم - لورود الأمر به والأمر يقتضي الوجوب مالم يعارض ولا معارض له هنا ، ولورود الوعيد على عدم الإيمان به - صلى الله عليه وسلم - ، ومن المعلوم أنّ الوعيد لا يتأتى إلاّ على ترك أمر واجب أو فعل محرم ، ووصف من لم يؤمن به - صلى الله عليه وسلم - بالكفر ، ولا يوصف بالكفر إلاّ من ترك واجبا متعمدا ، ولورود الأمر بقتال من لم يؤمن به - صلى الله عليه وسلم - ، ولا يقاتل إلا على ترك واجب .

٣ - أصناف الناس في الإيمان برسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

الناس في الإيمان برسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ثلاثة أصناف :

الأول : صنف آمن بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ظاهرا وباطنا وعمل بمقتضى ذلك .

الثاني : صنف آمن به - صلى الله عليه وسلم - ظاهرا دون الباطن .

الثالث : من آمن به - صلى الله عليه وسلم - ولم يظهر ما يؤيد ذلك أو يخالفه .

---

(١) سورة النساء : ١٥٠ - ١٥١ .

أمّا الصنف الأول فهو المسلم الذى يقبل الله إيمانه ويجازيه عليه فى الدنيا والآخرة ، **وأمّا الصنف الثانى** فهو المنافق الذى لا يقبل إيمانه عند الله ، وأمّا عند الناس فيقبل بناء على ما أظهره لنا كالنطق بالشهادتين إذ أنّه لا سبيل لأحد إلى معرفة ما فى قلبه إلاّ الله ومن ثم يحقن دمه ويعصم ماله وذريته ويجرى عليه ما يجرى على المسلمين فى الظاهر بالنسبة للأمور الدنيوية فى معاشه وعند موته ، أمّا فى الآخرة فسوف يجد جزاءه العادل عند الله تعالى .

يقول القاضى عياض :

" وأمّا الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق ، فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم إيمان ، والحقوا بالكافرين فى الدرك الأسفل من النار ، وبقى عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان فى أحكام الدنيا المتعلقة بالأعمال وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة الإسلام إذ لم يجعل الله للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا بالبحث عنها بل نهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن التحكم عليها وذم ذلك (١) وقال : (. . . هلا شققت قلبه . . .) . (٢)

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢ / ٥٤٠ .

(٢) جزء من حديث أسامه ، وتمامه : بعثنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سرية فصبحنا فى الخرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال : لا إله إلاّ الله فطعنته فوقع فى نفسى من

===

وأمّا الصنف الثالث فقد فصّل القاضي عياض - رحمه الله - في شأنه حيث قال بعد ذكر الصنفين السابقين :

" بقيت حالتان أخريان بين هذين الصنفين :

احداهما : أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل أن يتسع الوقت للشهادة بلسانه فأختلف فيه ، فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة ، ورآه بعضهم مؤمنا موجبا للجنة لقوله - صلى الله عليه وسلم - (. . . يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)[1] فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره . وهذا هو الصحيح في هذا الوجه .

= = = ذلك فذكرته للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أقال : لا إله إلاّ الله وقتلته ؟) قال : قلت : يارسول الله ، إنما قالها خوفا من السلاح . قال : (أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟) فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أنّي أسلمت يومئذ .

انظر صحيح مسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلاّ الله ١ / ٩٦ .

(١) الحديث في صحيح البخاري ، في كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان ١ / ١٣ بلفظ : (يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان) .

الثانية : أن يصدق بقلبه ويطول مهلة ، وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد بها في عمره مرة ، فهذا أختلف فيه أيضا ، فقيل : هو مؤمن لأنّه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخل ، وقيل : ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اللسان ، إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح ". (١)

٤ - **ثمرة الإيمان بنبوته - صلى الله عليه وسلم - :**

إذا أطلق الايمان في لسان الشرع فانّه يفيد الإيمان بالله ورسوله وما يتبع ذلك من شعب الايمان لقوله تعالى :

﴿ إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه . . . ﴾ (٢).

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - في تأويل هذه الآية :

" جعل الله كمال الإيمان الذي ماسواه تبع له الإيمان بالله ثم برسوله فلو آمن عبد بالله ولم يؤمن برسوله لم يقع عليه إسم كمال الإيمان أبدا حتى يؤمن برسوله معه ". (٣)

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢ / ٥٤١

(٢) سورة النور : ٦٢

(٣) موسوعة سماحة الإسلام لمحمد صادق عرجون ٢/١ ٨

وثمرة الايمان كثيرة نذكر طرفا منها :

١ - الاستخلاف والتمكين فى الأرض والاستقرار فيها كما يقول تعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا . . . ﴾ (١)

٢ - البشرى فى الدنيا والآخرة . كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ الا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ . (٢)

والمراد بالبشرى فى الدنيا الرؤيا الصالحة ، وأما فى الآخرة فهى الجنة . (٣)

٣ - الهداية إلى الصراط المستقيم . كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ ... وإنّ الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾ (٤)

٤ - الحياة الطيبة والجزاء الحسن . كما يفيد قوله تعالى :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ . (٥)

---

(١) سورة النور : ٥٥ .

(٢) سورة يونس : ٦٢ - ٦٤ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢ / ٤٢٢ .

(٤) سورة الحج : ٥٤ .

(٥) سورة النحل : ٩٧ .

٥ - النصر في الدنيا وفي الآخرة . كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ . (١)

وقوله تعالى أيضا :

﴿ ... وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ . (٢)

٦ - قبول الأعمال . كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه .. ﴾ (٣)

٧ - دخول الجنة . كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ... ﴾ (٤)

وهذه أهم الثمرات الحاصلة بالإيمان بنبوته - صلى الله عليه وسلم - وما يتبع ذلك من شعب الإيمان الأخرى الواردة في قوله - صلى الله عليه وسلم - :

الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق...». (٥)

---

(١) سورة غافر : ٥١ .

(٢) سورة الروم : ٤٧ .

(٣) سورة الأنبياء : ٩٤ .

(٤) سورة التوبة : ٧٢ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ١/٦٣

المبحث الثاني

محبته - صلى الله عليه وسلم -

المبحث الثاني
محبته - صلى الله عليه وسلم -

من الآداب القلبية محبته - صلى الله عليه وسلم - وهي من الأمور الخفية التي لا يطلع عليها إلا الله سبحانه وتعالى - ويمكن معرفتها بالعلامات الظاهرة مثل الاتباع والطاعة . ولهذا قال تعالى في شأن من ادعى محبة الله اختبارا لهم :

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ . (١)

ويفهم من هذه الآية أنّ محبة العبد لله تستلزم اتباعه باتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - واتباع الرسول يستلزم محبة الله للعبد .

ومحبته - صلى الله عليه وسلم - من موجبات الإيمان بل من الإيمان نفسه كما يدل عليه قوله - صلى الله عليه وسلم - :

(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين) . (٢)

وفي هذا الحديث جمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم أقسام المحبة التي تكون بين الناس وهي ثلاثة :

١ - محبة إجلال وإعظام كمحبة الولد والده .

---

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الإيمان ١/ ١٢ .

٢ - محبة إشفاق ورحمة كمحبة الوالد ولده .

٣ - محبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس .

ومحبته - صلى الله عليه وسلم - فوق هذا كله كما يفيد أفعل التفضيل في قوله : (أحب اليه) .

وفي هذا المبحث سوف نتحدث عن المسائل المتعلقة بهذا الموضوع وهي على النحو التالي :

١ - معنى المحبة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

٢ - أنواعها .

٣ - علاماتها .

٤ - ثمرتها .

٥ - صور من حب السلف للرسول - صلى الله عليه وسلم - .

وسوف أبحثها - إن شاء الله تعالى - وفق هذا الترتيب .

٦ - معنى المحبة :

ذكر العلماء في أصل اشتقاق المحبة عدة أقوال .
وانّي هنا أذكر أهم ما قيل فيها :
يقول الفيروزأبادى :

" وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء :

أحدها : الصفاء والبياض ـ ومنه قيل : حبب الأسنان لبياضها ونضارتها .

الثاني : العلو والظهور ـ ومنه حبب الماء وحبابه وهو ما يعلو من النفحات عند المطر وحبب الكأس منه .

الثالث : اللزوم والثبات ـ ومنه حب البعير وأحب إذا برك ولم يقم .

الرابع : اللباب والخلوص ـ ومنه حبة القلب للبه وداخله ، ومنه الحبة الواحدة الحبوب إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه .

الخامس : الإمساك والحفظ ـ ومنه حبب الماء للوعاء الذى يحفظ فيه ويمسكه . وفيه معنى الثبوت . ثم قال : ولا ريب أنّ هذه الخمسة من لوازم المحبة ". (١)

هذه أصل اشتقاق المحبة ، وأمّا معناها اللغوى فيقول الفيروزأبادى في مادة " الحب " :

" الحب : الوداد كالحباب والحب بكسرها والمحبة والحباب بالضم ". (٢)

---

(١) بصائر ذوى التمييز : ٢ / ٤١٦ - ٤١٧ .

(٢) القاموس المحيط : ١ / ٥٢ .

ويقول ابن منظور في مادة " حبب " مايلي :

" الحب نقيض البغض ، والحب الوداد والمحبة وكذلك الحب بالكسر ". (١)

وهذا هو المعنى اللغوي للمحبة وهو يدور حول الود أو نقيض الكراهية والبغض .

وأمّا علماء الاصطلاح فقد ذهبوا إلى أنّ لفظها يدل عليها وتحديد معناها بألفاظ أخرى لا يحقق الغرض من اتضاحها .

ولهذا قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

" لا تحد المحبة بحد أوضح منها ، فالحدود لا تزيدها إلاّ خفاء وجفاء ، فحدها وجودها ، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة ، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها ، وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها ، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة ". (٢)

وبذلك فمن الصعب أن نجد لها حدا جامعا ، ومع ذلك فإنّي أحاول أن أجليها بذكر آراء العلماء فيها .

يقول القاضي عياض مبينا ذلك :

" اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف

---

(١) لسان العرب : ١ / ٢٨٥ .

(٢) مدارج السالكين : ٣ / ١٠ .

مقال ولكنّها اختلاف أحوال ، فقال سفيان (١) : المحبة اتباع الرسول كأنّه التفت إلى قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله . . . ﴾ (٢) ،وقال بعضهم : محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته ، وقال بعضهم : المحبة دوام الذكر للمحبوب ، وقال آخر : إيثار المحبوب وقال بعضهم : المحبة الشوق إلى المحبوب ، وقال بعضهم : المحبة مواطأة القلب لمراد الرب بحب ما أحب ويكره ما كره ، وقال آخر : المحبة ميل القلب إلى موافق له ، ثم قال : وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها ، وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الانسان ". (٣)

وكذلك الراغب الأصفهاني حدّها بتعريف مماثل لقول الأخير قائلا :

" المحبة ميل النفس إلى ما تراه أو تظنّه خيرا ، وذلك ضربان

أحدهما طبيعي وذلك في الإنسان والحيوان وقيل قد يكون بين الجمادات كالألفة بين الحديد وحجر المغناطيس .

والثاني : اختياري ـ وذلك يختص به الإنسان ". (٤)

والذي يهمنا في هذا المقام المحبة الاختيارية التي بين الناس وهي لا تكون إلاّ لأسباب مثل اللذة والنفع والفضل . وسيأتي تفصيلها عند حديثي عن أنواع المحبة وأقسامها .

---

(١) يحتمل أنّه ابن عيينة أو الثوري كما ذكر الخفاجي في شرح الشفا ٣/٣٧١ .

(٢) سورة آل عمران : ٣١ .

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ٢/٥٧٨ - ٥٧٩ .

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة : ١٩٠ .

وأمّا المحبة التى أقرها الشرع فتكون في ثلاثة : محبة الله ومحبة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومحبة المؤمنين .

يقول أبو عبد الله المحاسبى :

" والمحبة فى ثلاثة أشياء لا يسمى محبا لله عز وجل إلاّ بها :

١ - محبة المؤمنين فى الله عز وجل .

٢ - محبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لله عز وجل .

٣ - محبة الله ـ عز وجل ـ فى إيثار الطاعة على المعصية ". (١)

وعلى هذا فمحبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هى ميل القلب المؤمن إليه مودة لسبب من الأسباب الموجبة على ذلك لله ـ عز وجل ـ ثم الإنتفاع برسالته والفضل الذى أوثر عنه مثل مكارم الأخلاق والاتصاف بصفات حميدة .

---

(١) رسالة المسترشدين : ١٧٧ - ١٧٩ .

٢ - أنواع المحبة :

قسّم العلماء المحبة إلى عدة أنواع : فمنهم من قسّمها الى طبيعية واختيارية ، ومنهم من قسّمها الى حسيّة ومعنوية ، ومنهم من قسّمها حسب الأسباب الموجبة لها مثل اللذة والنفع والفضل ، ومنهم من قسّمها بحسب الرتب والدرجات .

وقد قسّم الراغب الأصفهاني المحبة إلى قسمين حيث قال :

أحدهما : طبيعي - وذلك في الانسان والحيوان ، وقيل : قد يكون بين الجمادات كألفة بين الحديد وحجر المغناطيس .

الثاني : اختياري - وذلك يختص به الإنسان فأما ما يكون بين الحيوانين فألفة ، وهذا الثاني أربعة أضرب :

الأول : للشهوة - وأكثر ما يكون ذلك بين الأحداث .

والثاني : للمنفعة - ومن جهة ما يكون بين التجار وأرباب الصناعات المهنية .

والثالث : مايكون مركبا من ضربين كمن يحب آخر للنفع وذلك يحبه للشهوة .

والرابع : للفضيلة - كمحبة المتعلم للعالم . ثم قال : وهذه المحبة - أي الأخيرة - باقية على مرور الأوقات وهي المستثناة بقوله تعالى : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴾ (١) ، وأما الضروب الأخر فقد تطول مدتها وتقصر بحسب دوام أسبابها" (٢)

---

(١) سورة الزخرف : ٦٧ .

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة : ١٩٠ .

وقال الراغب الأصفهاني أيضا في مكان آخر :

"وهي على ثلاثة أوجه :

محبة للذة - كمحبة الرجل المرأة ومنه ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا . . . ﴾ (١) ومحبة النفع كمحبة شيء ينتفع به ومنه ﴿ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ﴾ (٢) ، ومحبة للفضل كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم " . (٣)

وهذه الأنواع التي نقلناها مبنية غالبا على الأسباب الموجبة للمحبة الاختيارية سواء كانت حسية أو معنوية وخاصة التقسيم الأخير وهو الذي يتمشى مع هذا المقام الذي نحن بصدده .

وقد ذكر القاضي عياض - رحمه الله تعالى - هذه الأقسام الثلاثة المسببة للمحبة حيث قال :

" وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته إمّا لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له ، أو لإستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف المأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فان طبع الانسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين

---

(١) سورة الإنسان : ٨ .

(٢) سورة الصف : ١٣ .

(٣) مفردات في غريب القرآن : ١٠٥ .

بما يؤدى إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس أو يكون حبه إيّاه لموافقته له من جهة إحسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها ". (١)

ثم ذكر بعد ذلك أنّ هذه الأنواع المسببة للمحبة كلها مجتمعة فى شخصيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أتم وجه حيث قال : " فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها فى حقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعلمت أنّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة . فقد تميّز بجمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن ، كما تميّز بإحسانه وإنعامه على أمته . وقد ذكر الله تعالى فى أوصافه رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إيّاهم وشفقته عليهم واستنقاذهم من النار وأنّه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه ، ويتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم ، فأى إحسان أجلّ قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين ، وأى إفضال أعمّ منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين ، إذ كان ذريعتهم إلى الهداية ، ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة ، ووسيلتهم إلى ربّهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمدى فقد استبان لك أنّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا . . . إلى أن قال : فإذا كان الإنسان يحب من

---

(١) الشفا : ٢/٥٧٩ .

منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه مالا يبيد من النعيم ووقاه مالا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب ، وإذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته أو قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه أوكرم شيمته فمن جمع هذه الخصال كلها على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل ". (١)

---

(١) الشفا : ٢/٥٨٠-٥٨١ .

٣ - علامات محبته - صلى الله عليه وسلم - :

المحبة من الأمور القلبية التي لا يطلع عليها أحد إلاّ من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . ولذلك جعل الله لها دليلا عمليا وعلامات كثيرة .

ونذكر هنا طرفا من علاماتها :

منها الإيثار - أي إيثار النبي - صلى الله عليه وسلم - على النفس كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (١) .

والآية وان كانت عامة في إيثار المهاجرين إلاّ أنّه - صلى الله عليه وسلم - هو رئيس المهاجرين وقائدهم ، وهو المحبوب الأول من الخلق أساسا ، وأمّا غيره فتبع له بحسب قربهم إليه - صلى الله عليه وسلم - ومتابعتهم إيّاه .

ومنها : بغض من أبغض الله ورسوله مهما كانت صلته ورتبته لقوله تعالى :

﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه . . . ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الحشر : ٩ .

(٢) سورة المجادلة : ٢٢ .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :

" قيل في قوله تعالى : ﴿ ولو كانوا آباءهم ﴾ : نزلت في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ﴿ أو أبناءهم ﴾ : في الصديق همّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ﴿ أو اخوانهم ﴾ : في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ ، ﴿ أو عشيرتهم ﴾ : في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا . . " (١)

وهؤلاء قاموا بقتل أقرب أقربائهم في معركة بدر لأنّ حب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - يقتضي قتل من حاد الله ورسوله وبغض من أبغض الله ورسوله .

ومنها : حب من أحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي عكس الصورة السابقة لقوله - صلى الله عليه وسلم - :

(الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه) (٢)

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٣٢٩ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، أبواب المناقب ، باب فيمن سب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ٥ / ٣٥٨ وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه .

٤ - ثمرة محبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

وثمرة محبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرة ولكن نذكر هنا أهمها وشواهدها :

من ذلك : أنّ محبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ تؤدى إلى مرافقته فى الجنة .

ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ عن أنس بن مالك قال : "بينما أنا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خارجين من المسجد فلقينا رجلا عند سدة (١) المسجد فقال : يارسول الله : متى الساعة ؟ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ما أعددت لها ؟) قال : فكأنّ الرجل استكان ثم قال : ماأعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكنّى أحب الله ورسوله ، قال : (فأنت مع من أحببت) . (٢)

ومن ثمرة محبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنّها من الخصال الموجبة لحلاوة الإيمان لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه ممّا سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن

---

(١) سدة المسجد : يعنى الظلال التى حوله . النهاية فى غريب الحديث : ٢/ ٣٥٣ .

(٢) صحيح مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحب ٤/ ٢٠٣٢ .

يقذف في النار) . (١)

ومن ثمرة محبته - صلى الله عليه وسلم - مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لحديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : " جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يارسول الله : إنّك لأحبّ إليّ من نفسي وإنّك لأحبّ إليّ من ولدي وإنّي لأكون في البيت فأذكرك ، فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتك عرفت إنّك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإنّي إذا دخلت خشيت أن لا أراك فأنزل الله تعالى : (٢) ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ (٣)

ومن ثمرة محبته - صلى الله عليه وسلم - إتمام إيمان من اتصف بها لقوله - صلى الله عليه وسلم - :

(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين ﴾ . (٤)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ١ / ١٢ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١ / ٦٦ واللفظ له .

(٢) مجمع الزوائد ٧ / ٧ وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العامدي وهو ثقة .

(٣) سورة النساء : ٦٩ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الإيمان ١ / ١٢ .

٥ - صور من حب السلف للرسول - صلى الله عليه وسلم - :

هناك صور متعددة من حب السلف للرسول - صلى الله عليه وسلم - نذكر طرفا منها فى هذا المقام وخاصة ماروى فى حب الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - للرسول - صلى الله عليه وسلم - :

من ذلك ما أخرجه الحاكم عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : لمّا فرض عمر لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وفرض لى ألفين وخمسمائة فقلت له : يا أبت لم تفرض لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وتفرض لى ألفين وخمسمائة والله ما شهد أسامة مشهدا غبت عنه ولا شهد أبوه مشهدا غاب عنه أبى قال : صدقت يابنى ، ولكنّى أشهد لأبوه كان أحبّ الناس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أبيك ولهو أحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منك ". (١)

ومنها ما أخرجه البخارى عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : أنّ خياطا دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لطعام صنعه ، قال أنس : فذهبت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرأيته يتتبع الدباء - (٢) من حوالى القصعة قال : فلم أزل أحب الدباء من يومئذ ". (٣)

---

(١) مستدرك الحاكم ٣/٥٥٩ ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

(٢) الدباء : القرع واحدتها دباءة . النهاية فى غريب الحديث ٢/٩٦ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الأطعمة ، باب من تتبع حوالى القصعة مع صاحبه إذا لم يعرف منه كراهية ٣/٢٩١ .

ومنها ما روى أنه لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه ، قال له أبو سفيان بن حرب : أنشدك بالله يازيد : أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك لضرب عنقه وإنك في أهلك ؟ فقال زيد : والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي ، فقال أبو سفيان : ما رأيت الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ". (١)

ومنها ما أخرجه الإمام مسلم عن أنس بن مالك أن أعرابيا قال لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – : متى الساعة ؟ قال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (ما أعددت لها ؟) قال : حب الله ورسوله ، قال : (أنت مع من أحببت) . (٢)

ومنها ما روى أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها فأخبروها بذلك فقالت : مافعل الله برسول الله ؟ قالوا : بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظره ، فلما رأت قالت: كل مصيبة بعدك جلل (٣)" (٤)

---

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٣ / ٩٥ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحب ٤ / ٢٠٣٢ .

(٣) جلل – هين يسير ، والجلل من الأضداد ، يكون للحقير والعظيم . النهاية في غريب الحديث ١٠ / ٢٨٩ .

(٤) انظر سيرة ابن هشام ٣ / ٤٣ .

الفصل الثاني

الأدب القـــــــــولي

الفصل الثاني
الأدب القـــولي

التأدّب مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ متعدد الجوانب متنوع الصور ، وقد تحدثت عن التأدّب القلبي في الفصل السابق وأتبعه ـ بعون الله تعالى ـ بالحديث عن التأدّب القولي . ونقصد بالتأدّب القولي ماكان متلفظا به ـ وهو عمل اللسان .

والآداب ـ سواء كانت قلبية أو قولية أو فعلية ـ مترابطة إلاّ أنّ التقسيم منهجي للتوضيح والدراسة لأنّ من استقام قلبه استقام لسانه واستقامت جوارحه .

والأدب اللساني له أهميته لأنّ اللسان هو دليل القلب وهو الوسيلة الرئيسية التي تساعد الإنسان على الاتصال بالآخرين . وبواسطته تتضح معالم شخصية صاحبه ، وبه تقوم الدعوة ويتم البلاغ .

ولهذا السبب سأل موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ربّه عز وجل ـ حل العقدة من لسانه حتى يقوم بتبليغ الدعوة على وجهها خير قيام ، وذلك حين كلفه ربّه بالرسالة وأمره بدعوة فرعون وقومه . يقول تعالى :

﴿ واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾ . (١)

كما أنّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ طلب من ربّه أن يرسل معه أخاه هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ لفصاحة لسانه ووضوح بيانه يقول تعالى :

﴿ وأخي هارون هو أفصح منّي لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني ... ﴾ . (٢)

---

(١) سورة طه : ٢٧ - ٢٨ .

(٢) سورة القصص : ٣٤ .

يقول الفخر الرازى فى تفسير هذه الآية :

" ليس الغرض بتصديق هارون أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى ، وإنّما هو أن يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار ، فهذا هو التصديق المفيد " (١)

والبيان ميزة الإنسان عن سائر المخلوقات ، وبه يستطيع الانسان أن يعبر عن مراده بأسلوب واضح وبطريقة مفهومة .

وقد ذكر الله — سبحانه وتعالى — هذه الميزة على وجه الإمتنان فقال تعالى :

﴿ الرحمن علّم القرآن * خلق الإنسان * علّمه البيان ﴾ . (٢)

يقول الفخر الرازى فى تفسيره :

" لم يقل وعلمه البيان لأنّه لو عطفه عليه لكان مغايرا له ، أمّا إذا ترك الحرف العاطف صار قوله : ﴿ علمه البيان ﴾ كالتفسير لقوله : ﴿ خلق الإنسان ﴾ كأنّه انما يكون خالقا للإنسان إذ علمه البيان ، وذلك يرجع إلى الكلام المشهور من أنّ ماهية الإنسان هو الحيوان الناطق " . (٣)

ولهذا أعتبر اللسان نصف الإنسان لأنّه يقال : المرء بأصغريه قلبه ولسانه .

---

(١) تفسير الفخر الرازى : ٢٤/ ٢٤٩ .

(٢) سورة الرحمن : ١ — ٤ .

(٣) تفسير الفخر الرازى : ٢٢/ ٤٦ .

يقول زهير بن أبي سلمى مشيراإلى ذلك :

" لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الآ صورة اللحم والدم " (١)

واللسان مع أهميته آله ذو حدين حيث يستعمل للخير كالصدق في القول والإرشاد والتعليم والذكر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدفاع عن الحق ، كما أنّه يستعمل للشر من إيذاء الناس بالشتم أو بالنميمة والدفاع عن الباطل ومساندته لأنّ البيان قوة مؤثرة في تحريك النفوس وتوجيه الناس . "

يقول – صلى الله عليه وسلم – :

(إنّ من البيان لسحرا) . (٢)

ويقول ابن حبان البستي معلقا على هذا الحديث :

" وشبه النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا البيان بالسحر إذ الساحر يستميل قلب الناظر إليه بسحره وشعوذته ، والفصيح الذرب اللسان يستميل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه ، فالأنفس تكون إليه تائقة والأعين إليه رامقه " . (٣)

ولذا كان مجال اللسان واسعا سواء في الخير أو في الشر . يقول الفخر الرازي مبينا ذلك :

" مامن موجود أو معدوم خالق أو مخلوق معلوم أو موهوم إلاّ واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات أو نفي ، فان كل ما يتناوله

---

(١) في ديوانه : ٨٩ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب من البيان سحرا ٢١/٤ .

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : ٢١٩ .

الضمير يعبر عنه بحق أو باطل ، وهذه خاصية لاتوجد في سائر الأعضاء فانّ العين لاتصل إلى غير الالوان والصور والآذان لاتصل إلى غير الاصوات والحروف واليد لاتصل إلى غير الأجسام وكذلك سائر الأعضاء بخلاف اللسان فانّه رحب الميدان ليس له نهاية ولا حد له فله في الخير مجال رحب وله في الشر بحر سحب ...". (١)

وفي هذا الفصل نبين مجاله في التأدب مع النبي — صلى الله عليه وسلم — من حيث مخاطبته — صلى الله عليه وسلم — والصلاة عليه وما يتبع ذلك .

لذا يتكون هذا الفصل من مبحثين :

المبحث الأول : مخاطبته — صلى الله عليه وسلم — .

المبحث الثاني : الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — .

---

(١) تفسير الفخر الرازي : ٤٧/٢٢ .

المبحث الأول

مخاطبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

المبحث الأول

مخاطبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

الخطاب توجيه الكلام إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على وجه السؤال أو الجواب أو المحادثة ، وقد يكون نداء مباشرا له ـ عليه الصلاة والسلام ـ أثناء حياته .

ولذلك تضمن هذا المبحث دراسة مسألتين :

الأولى : غض الصوت وقت مخاطبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

الثانية : استخدام النداء اللائق بمقامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وذلك فيما يلي :

١ ـ غض الصوت وقت مخاطبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

من المعلوم أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المصدر الوحيد الذي يتلقى عنه المسلمون تعاليم الله ـ سبحانه وتعالى ـ سواء كان قرآنا أو سنة أو حديثا قدسيا ، لذلك يجب عليهم أن يتأدبوا معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثناء كلامه معهم أو كلامهم معه ، وذلك بخفض الصوت وترك الجهر العالي كما يكون بين الإنسان وصديقه لقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ .(١)

---

(١) سورة الحجرات : ٢ .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :

" هذا أدب ثان أدّب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدى النبي — صلى الله عليه وسلم — فوق صوته ". (١)

والأدب هنا يحصل بمجانبة أمرين اثنين :

أولاهما : رفع الصوت فوق صوته — صلى الله عليه وسلم — أخذا من النهي الوارد في قوله :

﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ... ﴾. (٢)

ثانيهما : الجهر بالقول له — صلى الله عليه وسلم — كالجهر بعضهم بعضا أخذا من النهي الوارد في قوله تعالى :

﴿ ... ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ... ﴾ (٣)

وقد فرّق المفسرون بين النهيين الواردين في الآية حيث قالوا : إنّ الأول يتعلق برفع الصوت فوق صوته — صلى الله عليه وسلم — أثناء كلامه معهم . وأمّا الثاني يتعلق بالجهر له — صلى الله عليه وسلم — وقت صمته .

ومنهم من يقول : إنّ النهي الأول يتعلق وقت خطابه معهم أو خطابهم معه أو صمته ، وأنّ الثاني يتعلق بندائه — صلى الله عليه وسلم — باسمه المجرد أو بكنيته ، مثل : يامحمد ، ويا أبا القاسم .

وأكثر المفسرين ذهبوا إلى القول الأول الذى مفاده أنّ النهي الأول يتعلق وقت خطابه — صلى الله عليه وسلم — معهم ، وأمّا الثاني

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٢٠٥ .

(٢ — ٣) سورة الحجرات : ٢ .

فيتعلق وقت خطابهم معه ، وصمته ، وهو الأرجح لأنّ النهي عن النداء غير اللائق به — صلى الله عليه وسلم — ورد في آية أخرى بعد هذه الآية بآية واحدة وهي قوله تعالى :

﴿ إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ (١).

وقد أجمل النيسابوري — رحمه الله — ما ورد في التفريق بين هذين النهيين قائلا :

" والجمهور على أنّ بين النهيين فرقا ثم اختلفوا فقيل :

الأول : فيما إذا نطق ونطقتم أو أنصت ونطقوا في أثناء كلامه فنهوا أن يكون جهرهم باهر الجهر .

والثاني : فيما إذا سكت ونطقوا ونهوا عن جهر مقيد بما اعتادوه فيما بينهم وهو الخالي عن مراعاة أبهة النبوة .

وقيل : النهي الأول أعم مما إذا نطق ونطقوا أو أنصت ونطقوا والمراد بالنهي الثاني أن لا ينادى وقت الخطاب باسمه أو كنيته كنداء بعضكم لبعض فلا يقال : يا أحمد يا محمد يا أبا القاسم ، ولكن يا نبي الله يا رسول الله " (٢).

نستنتج من النهيين السابقين وجوب غض الصوت عند النبي صلى الله عليه وسلم — ولزوم الأدب في مخاطبته سواء كان ذلك أثناء كلامه او صمته لأنّ رفع الصوت والجهر عنده يؤدي إلى سوء الأدب معه وقلة الاحتشام منه ومجانبة توقيره ومعاملته معاملة الأقران بعضهم

---

(١) سورة الحجرات : ٤ .

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٢٦/٥٧ .

لبعض ومن ثم يترتب إحباط عمل المؤمن — والعياذ بالله — وهو لا يشعر .

يقول الشهيد سيد قطب — رحمه الله — في تفسير هذه الآية :

والأدب الثاني هو أدبهم مع نبيهم في الحديث والخطاب وتوقيرهم له في قلوبهم توقيرا ينعكس على نبراتهم وأصواتهم ، ويميز شخص رسول الله — بينهم ، ويميز مجلسه فيهم ، والله يدعوهم إليه ذلك النداء الحبيب ويحذرهم من مخالفة ذلك التحذير الرهيب .(١)

والتحذير والترهيب هو إحباط العمل الصالح بدون شعور صاحبه أخذا من قوله تعالى : ﴿ ... أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾(٢) بمعنى أن عمل المؤمن يحبط بالذنوب والمعاصي دون الشرك لأن الآية خطاب للمؤمنين بدليل ابتدائها بالنداء الموجه للمؤمنين .

وعلى هذا استشكل المفسرون في توجيه هذه الآية التي ظاهرها يفيد بطلان العمل الصالح بالذنوب والمعاصي مع أن القاعدة هي أن الأعمال لا تبطل إلا بالشرك بدليل قوله تعالى : ﴿ ... لئن أشركت ليحبطن عملك ... ﴾ . ومن ثم اختلفت آراؤهم :

فمنهم من يقول إن الذنوب تحبط العمل الصالح ومن ثم يكفر صاحبها .

ومنهم من يقول : أن الإحباط يقصد به نقص المنزلة دون إحباط أصلها .

ومنهم من يقول : إن قلة الأدب معه — صلى الله عليه وسلم — تحبط

---

(١) في ظلال القرآن : ٣٣٣٩/٦ .

(٢) سورة الحجرات : ٢ .

العمل الصالح وان كان لا يكفر صاحبها .

وممّن قال بالقول الأول شيخ الإسلام ابن تيمية قائلا :

" ومن ذلك أنّه حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن ، وحرم رفع الصوت فوق صوته ، وأن يجهر له بالقول كما يجهر الرجل للرجل ، وأخبر أن ذلك سبب حبوط العمل ، فهذا يدل على أنّه يقتضى الكفر لأنّ العمل لا يحبط إلا به " .(١)

وممّن قال بالقول الثانى أبو سليمان الدمشقى : حيث ذهب إلى أنّ معنى الإحباط هاهنا نقص المنزلة لا إسقاط العمل من أصله كما يسقط بالكفر " .(٢)

وممّن قال بالقول الثالث ابن جزى الكلبى :

وهذا الإحباط ، لأنّ قلة الأدب معه — صلى الله عليه وسلم — والتقصير فى توقيره يحبط الحسنات ، وإن فعله موءمن لعظيم ما وقع فيه من ذلك " .(٣)

ومع الاختلاف الموجود بين هذه الآراء فانّها مجمعة على أنّ الذنوب توءثر فى العمل الصالح وتنقصه غير أن شيخ الإسلام ابن تيمية يرى أنّه يترتب على ذلك أمر اخر وهو الكفر أخذا من ظاهر الآية .

وأحسن ما قيل فى تأويل هذه الآية ما ذكره ابن المنير — رحمه

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٤٢٣ .
(٢) زاد المسير ٨/٤٥٧ .
(٣) التسهيل ٤/١٠٤ .

الله — حيث يقول :

" والقاعدة المختارة أن إيذاءه — عليه الصلاة والسلام — يبلغ مبلغ الكفر المحبط للعمل باتفاق ، فورد النهى عما هو مظنة لأذى النبى — صلى الله عليه وسلم — سواء وجد هذا المعنى أو لا حماية للذريعة وحسما للمادة ، ثم لما كان هذا المنهى عنه وهو رفع الصوت منقسما إلى ما يبلغ ذلك المبلغ أولا ، ولا دليل عليه يميز أحد القسمين عن الآخر لزم المكلف أن يكف عن ذلك مطلقا وخوف أن يقع فيما هو محبط للعمل وهو البالغ حد الإيذاء إذ لا دليل ظاهر يميزه ، وإن كان فلا يتفق تمييزه فى كثير من الأحيان ، وإلى التباس أحد القسمين بالآخر وقعت الإشارة بقوله سبحانه (١) .

﴿ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ (٢) .

ومن هذا الكلام الذى نقلناه عن ابن المنير يتبين لنا أن النهى فى الآية يحتمل ما يؤدى إلى الكفر وهو ما يترتب عليه إيذاء النبى — صلى الله عليه وسلم — أو الاستخفاف به ويحتمل ما دون ذلك ، فإن كان الأول فلا غبار أن من فعل هذا يكفر ومن ثم يحبط عمله وعليه يتنزل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية السابق ، وإن كان الثانى فأقل ما يقال فيه : أن صاحبه يأثم إثما كبيرا قد يؤدى إلى منزلق خطير دون أن يترتب عليه كفر ، إلا أن عمله ينقص أو يحبط وعليه

---

(١) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال الذى بهامش الكشاف ٣/٥٥٦ .

(٢) سورة الحجرات : ٢ .

يتنزل قولا أبي سليمان الدمشقي وابن جزي الكلبي لأن الحسنات يذهبن السيئات لقوله تعالى : ﴿ ... إن الحسنات يذهبن السيئات ... ﴾ (١) وكذلك العكس أي أن الذنوب تحبط العمل أو تنقصه ولكن هنا بدون علم صاحبه أو حسه .

وهذا على غرار قوله تعالى في قضية الإفك :

﴿ ... وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ﴾ (٢) .

وقوله — صلى الله عليه وسلم — :

(إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه إليه بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم) (٣) .

وقد التزم الصحابة — رضوان الله عليهم — بهذا الأدب مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في عهده كما ورد في الآثار .

منها قول أبي بكر — رضي الله عنه — لرسول الله — صلى الله عليه وسلم : " والذي أنزل عليك الكتاب يارسول الله لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله — عز وجل — " (٤) .

---

(١) سورة هود : ١١٤ .

(٢) سورة النور : ١٥ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ١٢٦/٤ .

(٤) الحاكم في مستدركه ٤٦٢/٢ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

ومنها ما أخرجه البخارى عن ابن الزبير — رضى الله عنهما — قال :

" فما كان عمر يسمع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد هذه الآية حتى يستفهمه ". (١)

وهذان النموذجان من أبى بكر وعمر — رضى الله عنهما — يمثلان سائر الصحابة — رضى الله عنهم أجمعين — الذين شاهدوا التنزيل وتأدّبوا بآدابه ووقفوا عند حدوده ينفذون أوامره ويتركون نواهيه دون ابطاء أو تأخير .

وفى هذا المقام يقول الشهيد سيد قطب — رحمه الله — :

" فهكذا ارتعشت قلوبهم وارتجفت تحت وقع ذلك النداء الحبيب ، وذلك التحذير الرهيب ، وهكذا تأدّبوا فى حضرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خشية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون ولو كانوا يشعرون لتداركوا أمرهم ولكنّ هذا المنزلق الخافى عليهم كان أخوف عليهم فخافوه واتقوه ". (٢)

ولأجل هذا الامتثال السريع من قبل الصحابة — رضوان الله عليهم أجمعين — مدحهم الله سبحانه وتعالى بقوله :

﴿ إنّ الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ . (٣)

هكذا كان الأمر فى حياته — صلى الله عليه وسلم — ، وأمّا بعد

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الحجرات ٣/١٩١ .
(٢) في ظلال القرآن : ٦/٣٣٣٩ .
(٣) سورة الحجرات : ٣ .

مماتـه فكذلك يجب على المسلم أن يتأدب مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بحيث لا يرفع صوته عند سماع أحاديثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأن حرمته ميتا كحرمته حيا سواء بسواء وأن أحاديثه تقوم مقامه .

يقول ابن العربي ــ رحمه الله ــ :

" حرمة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ميتا كحرمته حيا وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه ، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به ، وقد نبّه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ... ﴾ (١) وكلام النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الوحي وله الحرمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناه بيانها في كتب الفقه . والله أعلم " (٢) .

ويراعى هذا الأدب وهو عدم رفع الصوت أيضا في مسجده ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما أخرجه البخاري بسنده عن السائب بن يزيد قال : كنت قائما في المسجد فحصبني رجل ، فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب فقال : اذهب فأتني بهذين فجئته بهما ، قال : من أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم (٣) .

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠٤ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي : ٤/١٧٠٢ ــ ١٧٠٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب رفع الصوت في المسجد ١/٩٣ .

هذا في المسجد وكذلك الحال عند قبره — صلى الله عليه وسلم — .

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عند تفسيره هذه الآيــة :

" ومعلوم أن حرمة النبي — صلى الله عليه وسلم — بعد وفاتــه كحرمته في أيام حياته وبه تعلم أن ما جرت به العادة من اجتمــاع الناس قرب قبر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهم في صخب ولغــط وأصواتهم مرتفعة ارتفاعا مزعجــا كله لا يجوز ولا يليق وإقرارهم عليه مــن المنكــر "(١) .

ومما سبق ذكره يتبين لنا أن حرمة النبي — صلى الله عليه وسلم — ميتا كحرمته في حياته على الوجــه الذي شرحناه آنفــا وأنه يجــب التأدب معه في الصوت بعد وفاته كما كان الحــال وقت حياته للآيــة الكريمة التي نحن بصددها لأن حكمها يستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليهــا ولا ينقطع بموته — صلى الله عليه وسلم — .

كما أن هذا الأدب المستفاد من الآية يكون مع العلمـــاء لأنهم ورثة الأنبياء وكذلك مع الأبوين وغيرهما لمن له فضل على الإنسان المسلــم .

يقول الجصاص في هذا المقام :

" وهذه الآيات وإن كانت نازلة في تعظيم النبي — صلى اللــه عليه وسلم — وإيجــاب الفرق بينه وبين الأمة فيه فإنه تأديب لنــا فيمن يلزمنا تعظيمه من والد وعالم وناسك وقائم بأمر الدين وذي سن وصلاح ونحو ذلك إذ تعظيمه بهذا الضرب من التعظيم في ترك رفــع

---

(١) أضواء البيان : ٦١٧/٧ .

الصوت عليه وترك الجهر عليه والتمييز بينه وبين غيره ممن ليس في مثل حـاله ." (١)

قلت : لا شك أنّ هوءلاء الأشخاص يأخـذون هذا الحكم وينبغي التأدب معهم وتوقيرهم بالشكل اللائق بهم مع مراعاة الفـرق بينهم وبين رسـول الله — صلى الله عليه وسلم — لأنّ مقامه أرفع من هوءلاء جميعا وهـو — صلى الله عليه وسلم — المعنى بالآية أصلا وهوءلاء تبعـــا وليس الفرع كالأصل وان إشتركا في أمور ،والله تعالى يقول :

﴿ النبي أولى بالموءمنين من أنفسهم ... ﴾ (٢) بل ينبغـي أن يحترم العبد النبي — صلى الله عليه وسلم — أكثر من سيده .

يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية :

" إن هذا أفاد أنّه لا ينبغي أن يتكلم الموءمن عند النبي — صلى الله عليه وسلم — كمـا يتكلم العبد عند سيده لأنّ العبد داخل تحـت قوله : ﴿ ... كجهر بعضكم لبعض ... ﴾ . (٣) لأنّه للعموم فلا ينبغي أن يجهر الموءمن للنبي — صلى الله عليه وسلم — كمـا يجهـر العبـد للسيد وإلّا لكان قد جهر له كمـا يجهر بعضهم لبعض ... ويوءيـد ما ذكرنا قوله تعالى : ﴿ النبي أولى بالموءمنين ... ﴾ (٤) والسيد ليس أولى عند عبده من نفسه حتى لو كان في مخمصة ووجـد العبـد

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣٩٨/٣ .

(٢) سورة الأحزاب : ٦ .

(٣) سورة الحجرات : ٢ .

(٤) سورة الاحزاب : ٦ .

ما لو لم يأكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبي — صلى الله عليه وسلم — ... وأن الحكمة تقتضي ذلك كما أن العضو الرئيسي أولى بالرعاية من غيره ، لأن عند خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين استقامة ، فلو حفظ الإنسان وترك النبي — عليه الصلاة والسلام — لهلك هو أيضا بخلاف العبد والسيد ".[1]

---

(١) تفسير الفخر الرازي : ٢٨/١١٣ .

٢ — النداء اللائق به — صلى الله عليه وسلم — :

النداء لون من ألوان الخطاب إلّا أنّه يتميز عنه بتوجيهه إلى شخص المنادى مباشرة ، الأمر الذى يجعل له أثرا عند من ينادى عليه .

وفى مجال التأدّب مع الرسول — صلى الله عليه وسلم — جاء التنبيه فى القرآن الكريم على ضرورة عدم مناداته بطريقة جافة ومزعجة بل لابد من مراعاة مقامه وقدره وبالأخص عندما يكون فى بيته مع نسائه وأولاده .

يقول تعالى :

﴿ إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنّهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم ﴾ (١) .

عن الأقرع بن حابس — رضى الله عنه — أنّه أتى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : يامحمد أخرج إلينا ، فلم يجبه ، فقال : يا محمد إنّ حمدى زين وإنّ ذمى شين ، فقال : فأنزل الله : ﴿ إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ (٢) .

ويقول ابن كثير :

" وقد ذكر أنّها نزلت فى الأقرع بن حابس التميمى — رضى الله عنه — فيما أورده غير واحد " (٣) .

---

(١) سورة الحجرات : ٤ — ٥ .

(٢) الدر المنثور بالتفسير بالمأثور للسيوطى ٧/٥٥٢ ، وقال السيوطى : رواه أحمد والطبرانى وغيرهما بسند صحيح .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٤/٢٠٨ .

وقد ذكر المفسّرون عدّة أسباب لنزول هذه الآية التي نحن بصددها ولكنّ الذي يهمنا في هذا المقام هو ما يستفاد من الآية سواء نزلت في الأقرع بن حابس — رضي الله عنه — أو في غيره لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وقد تضمنت الآية أمرين : أولهما عدم إزعاج الرسول — صلى الله عليه وسلم — في وقت خلوته في بيته مع نسائه بالنداء غير اللائق به . وثانيهما : الإرشاد إلى ما ينبغي أن يفعل في هذه الحالة وهو الانتظار إلى أن يحين وقت خروجه .

يقول ابن كثير في تفسيره هذه الآية :

" ثم إنّه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب فقال : ﴿ ... أكثرهم لا يعقلون ﴾ ثم أرشد إلى الأدب في ذلك فقال عز وجل : ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم ﴾ أي : لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة ".(١)

وهذا لا يعني أنّه لا يجوز مناداته — صلى الله عليه وسلم — بتاتا ، وإنّما المحظور مناداته في وقت خلوته مع نسائه في بيته كما في هذه الحالة ، وكذلك مناداته بصوت مرتفع خال من الاحترام والتقدير بل ينبغي أن ينادى له بصوت منخفض وبصيغ معينة تتناسب مع قدره وعظمته ووقاره مثل : يارسول الله ، ويانبي الله ، لا مجرد اسمه مثل : يا محمد ، ويا أحمد ، ويا أبا القاسم . كما يفعل بعضهم لبعض .

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٢٠٨/٤ .

وهذا ما أشار إليه قوله تعالى :

﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ... ﴾ .(١)

وهذه الآية تشير إلى أحد المعاني الآتية :

الأول : أنّه نهى عن التعرض لإسخاطه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنّه إذا دعا على شخص فدعوته مستجابة .

الثاني : أنّهم أمروا أن يقولوا : يارسول الله ونهوا أن يقولوا : يامحمد وما يساويهـا .

الثالث : أنّه نهى لهم عن الإبطاء إذا أمرهم والتأخر إذا دعاهم .(٢)

وقد ذكر أكثر المفسرين هذه التأويلات مع ترجيح واحد منهـا والسكوت عن المعنيين الآخريين إلا أنّ ابن عطية(٣) رد معنى الأول حيث قال :

" ولفظ الآية يدفع هذا المعنى ".(٤)

وهناك من ذكر التأويلات الثلاثة دون ترجيح إيذانا بأنّ الآية تحتمل المعاني الثلاثة .

وقد أيّد كل مفسّر ما ذهب إليه بترجيحـات مقبولة ونذكـر بعضها هنا .

---

(١) سورة النور : ٦٣ .

(٢) انظر زاد المسير : ٦/٦٨ .

(٣) هو عبد الحـق بن غالب المعروف بابن عطية المتوفى سنة ٥٤١هـ انظر ترجمته في طبقات المفسرين للداودي ١/٢٦٠ ـ ٢٦١ .

(٤) انظر البحر المحيط : ٦/٤٧٦ .

فمن الذين رجحوا التأويل الثاني الفخر الرازي بعد إيراده التأويل المذكور حيث قال :

" والذي يدل على هذا قوله عقب هذا (١) : ﴿ ... فليحذر الذين يخالفون عن أمره ... ﴾ (٢) وذهب إلى ذلك أيضا أبو حيان الأندلسي حيث قال بعد إيراده هذا التأويل :

" وهذا موافق لسياق الآية ونظامها ". (٣)

وأمّا من الذين رجحوا القول الثالث فمنهم الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ حيث قال :

" وهذا قول وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ... ﴾ (٤) إلى آخر الآية .

وقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ... ﴾ (٥)

إلى قوله : ﴿ ... إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنّهم صبروا حتى تخرج ... ﴾ (٦) إلى آخر الآية ،

ثم قال : فهذا كله من باب الأدب في مخاطبته ـ صلى الله عليه

---

(١) تفسير الفخر الرازي : ٢٤/٤٠ .

(٢) سورة النور : ٦٣ .

(٣) البحر المحيط : ٦/٤٧٦ .

(٤) سورة البقرة : ١٠٤ .

(٥) سورة الحجرات : ٢ .

(٦) سورة الحجرات : ٤ ـ ٥ .

وسلم ــ والكلام معه كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته " .(١)

يقول الاستاذ أبو الأعلى المودودى بعد ذكره الأقوال الثلاثة :

" وهذه الوجوه الثلاثة وإن كان كل واحد منها صحيحا حسب الألفاظ القرآنية ، ولكن الوجه الأول (٢) هو أقرب إلى نظم الآية عندنا وهو الذى يؤيده قوله تعالى :

﴿ ... فليحذر الذين يخالفون عن أمره ... ﴾ (٣) بعد هذه الآية (٤) .

والذى ينبغى فى هذا المقام عدم ترجيح أحد الأقوال على آخر مادامت ألفاظ الآية تحتمل المعانى المذكورة كلها ولا تعارض بينها وخاصة إذا كان هناك مرجحات مباشرة وغير مباشرة لكل من القولين اللذين أخذ بهما المفسرون .

وأحسن ما قيل فى معنى هذه الآية التى نحن بصددها قول ابن قيم الجوزية ــ رحمه الله ــ والذى يقول فيه :

" إنّ المصدر هنا لم يضف إضافته إلى فاعل ولا مفعول وإنّما أضيف إضافة الأسماء المحضة ، ويكون المعنى لاتجعلوا الدعاء المتعلق بالرسول المضاف إليه كدعاء بعضكم بعضا ، وعلى هذا فيعم الأمرين معا ويكون النهى عن دعائهم له باسمه كما يدعو بعضهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٠٦/٣ ــ ٣٠٧ .

(٢) الثاني عندنا

(٣) سورة النور : ٦٣

(٤) تفسير سورة النور ص ٢٣١ .

بعضا وعن تأخير إجابته — صلى الله عليه وسلم — ، وعلى كل تقدير أمر الله سبحانه بأن يميز عن غيره فى خطابه ودعائه إياهم ، قياما للأمة بما يجب عليهم من تعظيمه وإجلاله ".(١)

وخلاصة القول أن الغرض الذى من أجله أوردنا هذه الآية هو بيان ما يجب على المسلم أن يتحلى به فى ندائه — صلى الله عليه وسلم — حيث يخفض صوته ويتخير ألفاظ التقدير والتعظيم لندائه بيارسول الله ، ويانبى الله ، ياخير خلق الله . ويدع هذه النداءات السوقية فى لفظها وكيفيتها مثل : يا محمد ، ويا أحمد ، أو كنيته مثل : يا أبا القاسم كما كانوا يفعلونه من قبل ، بل بندائه — صلى الله عليه وسلم — نداء يتناسب مع مقامه ومكانته مثل : يارسول الله ويانبى الله اقتداء بما فى القرآن من نداء الله سبحانه وتعالى له — صلى الله عليه وسلم — بحيث أن الله سبحانه وتعالى — لم يناد رسوله فى القرآن بمجرد اسمه ولو مرة واحدة وإنما ناداه بصفة النبوة والرسالة وغيرهما من الصفات الثابتة له فى القرآن .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — عند كلامه عن حقوق الرسول الزائدة على مجرد التصديق والإيمان :(٢)

" ومن ذلك حضه فى المخاطبة بما يليق به فقال : ﴿ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ... ﴾ .(٣) فنهى أن يقولوا

---

(١) جلاء الأفهام : ص ٢٣٥ .

(٢) الصارم المسلول ص ٤٢٢ — ٤٢٣ بتصرف .

(٣) سورة النور : ٦٣ .

، يامحمد أو يا أحمد أو يا أبا القاسم ولكن يقولوا : يارسول الله ، يانبي الله ، وكيف لا يخاطبونه بذلك والله سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته إياه مما لم يكرم به أحدا من الأنبياء فلم يناد باسمه في القرآن قط بل يقول : ﴿ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا ...﴾ (١) .

و ﴿ ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك ...﴾ (٢) .

و ﴿ ياأيها المزمل قم الليل الآ قليلا ...﴾ (٣) .

و ﴿ ياأيها المدثر قم فأنذر ﴾ (٤) .

مع انّه سبحانه قد قال :

﴿ وقلنا يا آدم اسكن آنت وزوجك الجنة ...﴾ (٥) .

﴿ يا نوح انّه ليس من أهلك ...﴾ (٦) .

﴿ يا إبراهيم أعرض عن هذا ...﴾ (٧) .

﴿ يا موسى إنّي اصطفيتك على الناس ...﴾ (٨) .

﴿ ياداود إنّا جعلناك خليفة في الأرض ...﴾ (٩) .

---

(١) سورة الأحزاب : ٢٨ .
(٢) سورة المائدة : ٦٧ .
(٣) سورة المزمل : ١ – ٢ .
(٤) سورة المدثر : ١ – ٢ .
(٥) سورة البقرة : ٣٥ .
(٦) سورة هود : ٤٦ .
(٧) سورة هود : ٧٦ .
(٨) سورة الأعراف : ١٤٤ .
(٩) سورة ص : ٢٦ .

﴿ يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ...﴾ (١) .

وعلى هذا دلت الآية التى نحن بصددها الغرض الذى من أجله أوردناها وهو الذى يهمنا هنا لإحتمالهـا إحتمالا قويا أو المتبادر إلى الفهم كما ذكر ابن القيم — رحمه الله — ولوجـود مرجحات غيـر مجاورة ترجح هذا المعنى كما ذكر ابن كثير فى تفسيره ، ومرجحـا آخـر متقدم ومجاور لهذه الآية يرجح هذا المعنى وهو قوله تعالى :

﴿ ... وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ... ﴾ .

كما أفاد الشهيد سيد قطب فى تفسيره المسمى فى ظلال القـرآن إذ أن مناسبة الآية لما بعدها ليست أولى من مناسبتهـا لمـا قبلها إن وجدت . وهنا وجدت .

يقول الشهيد سيد قطب :

" ويلتفت إلى ضرورة توقير الرسول — صلى الله عليه وسلـم — عند الاستئذان وفى كل الأحوال فلا يدعى باسمه يامحمد أو كنيتـه يا أبا القاسم كما يدعو المسلمون بعضهم بعضا إنما يدعى بتشريف الله له وتكريمه يانبى الله ، يارسول الله " (٢) .

---

(١) سورة المائدة : ١١٠ .

(٢) فى ظلال القرآن : ٢٥٣٥/٤ .

المبحث الثاني

الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

المبحث الثاني

الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم -

شرع الله تعالى الصلاة والسلام على النبى - صلى الله عليه وسلم - بقوله سبحانه وتعالى :

﴿ إنّ الله وملائكته يصلون على النبى ياءيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليما ﴾ (١) .

وقد شمل موضوع الصلاة والسلام على النبى - صلى الله عليه وسلم - حيزا واسعا فى فكر العلماء وحياة المسلمين مما جعلنى أعقد هذا المبحث للوصول الى الحق فيه .

والأمر هنا يحتاج إلى بيان عدد من النقاط المتصلة بالصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهى :

١ - مفهوم الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - لغة واصطلاحا .

٢ - حكم الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - .

٣ - صيغ الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - .

٤ - مواطن الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - .

٥ - ثواب الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - .

وسوف تأتى هذه المسائل وفق الترتيب المذكور فيمايلي :

١ - تعريف الصلاة لغة واصطلاحا :

الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غير

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦ .

الصلاة المفروضة التي هي الأقوال والأفعال المفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم ، ولذلك كان تعريفها ضروريا لتتضح حقيقتها المرادة من هذا البحث .

وكما هو منهجي فإنني أبدأ بالتعريف اللغوى وبعده يكون التعريف الاصطلاحي .

تعريف الصلاة لغة :

يقول الجوهرى :

" الصلاة : الدعاء " .(١)

ويقول الفيروزآبادى :

" الصلاة : الدعاء والرحمة والاستغفار " .(٢)

ويقول صاحب مصباح المنير (*) :

" الصلاة في اللغة مشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة "(٣)

وإذا نظرنا إلى التعريفات السابقة للصلاة في اللغة نرى أن لها عدة معان ، فهى الدعاء وبمعنى التعظيم وبمعنى الرحمة وبمعنى البركة .

وأما الصلاة في الاصطلاح الشرعي فلا تخرج عن معانى اللغة المذكورة إذا قيدت الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – وبالتالي فمعناها باق على ما كان عليه في الاستعمال اللغوى .

---

(١) الصحاح ٦/٢٤٠٢ .

(٢) القاموس المحيط ٤/٣٣٥ .

(٣) مصباح المنير ١/٣٧١ .

(*) وتأتي ترجمته في صفحة ٢٣٦ .

وعلى هذا فلم يذكر العلماء تعريفا لها عند كلامهم عن هـذا الموضوع وإنّما جلّ كلامهم ينصب على التفريق بين صلاة الله وصـلاة المخلوقين ، ولكن نحـاول هنا أن نذكر تعريفا للصلاة على النبـى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال كلامهم .

يقول الفيروزآبادى :

" والصلاة حسن الثناء من الله عز وجل على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ... " (١) .

ويقول الجرجانى بعد تعريفه الصلاة المكتوبة :

" والصلاة أيضا طلب التعظيم بجانب الرسول ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ فى الدنيا والآخرة " (٢) .

والصلاة فى تعريف الفيروزآبادى السابق يتضمن جانبا واحدا وهو إذا كانت الصلاة من الله ـ عز وجل ـ وأما جانب المخلوقين فلم يتعرض له ولهذا كان هذا التعريف ناقصا .

وأما تعريف الجرجانى السابق فمعناه طلب التعظيم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن الطلب يمكن أن يكون طلب أمر وطلب دعـــاء .

وإذا كان الطلب أمرا فيستقيم فى حق الله تعالى ـ ، وأمّـا إذا كان دعاء فيستقيم فى حق المخلوقين دون الله ـ عز وجـل ـ لأنّ الدعاء طلب الإعانة من الغير وهذا محـال على الله سبحـانه وتعـالى .

---

(١) القاموس المحيط : ٣٧١/١ .

(٢) كتاب التعريفات : ١٣٩ .

ويلاحظ أن قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى ياءيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ (١) • يدل على أن الله سبحانه وتعالى ، والملائكة يصلون على النبى — صلى الله عليه وسلم — بحيث جمع الله صلاته وصلاة الملائكة فى فعل واحد وبصيغة الأخبار وأمر المؤمنين بالصلاة عليه — صلى الله عليه وسلم —

ولهذا فرّق العلماء بين معنى صلاة الله على النبى — صلى الله عليه وسلم — ومعنى صلاة المخلوقين حتى يستقيم معنى الصلاة فى حق الله عز وجل وحق ملائكته وحق المؤمنين •

ولإزالة هذا الإشكال ذكر العلماء أقوالا عدة فى بيان المعنى المراد من الصلاة على اختلاف فاعلها •

يقول أبو العالية :

" صلاة الله عز وجل ثناؤه عليه وصلاة الملائكة عليه الدعاء " (٢)

ويقول الضحاك :

" صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء " • (٣)

ويقول الضحاك أيضا :

" صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء " • (٤)

وإذا نظرنا إلى الاقوال السابقة الواردة فى معنى الصلاة

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦ •

(٢) انظر فضل الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — ص ٨٠ للقاضى اسماعيل الجهضمى •

(٣ ، ٤) انظر المصدر السابق : ٨٠ — ٨١ •

نرى أن الصلاة من الله على النبي — صلى الله عليه وسلم — هي الثناء والرحمة والمغفرة ، وأمّا الصلاة من الملائكة فلها معنى واحد وهو الدعاء إلا أنّ هذه الأقوال لا تسلم عن مقال ومآخذ إذ يترتب عليها وجود معنيين على الأقل في فعل واحد وفي استعمال واحد مع أنّه أسند إلى الاثنين معا .

وقد ذكر ابن القيم — رحمه الله — القولين الأخيرين من الأقوال السابقة في معنى الصلاة من جانب الله تعالى وجانب الملائكة وضعفهما وأسهب في ذلك حيث ذكر خمسة عشر وجها تدل على ضعفهما . ومن أحسن ما ضعفهما به قوله :

" أنّ الله سبحانه وتعالى فرّق بين صلاته على عباده ورحمته فقال :

﴿ ... وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ .(١) فعطف الرحمة على الصلاة فاقتضى تغايرهما . هذا أصل العطف ، وأنّ الله سبحانه فرّق بين صلاته وصلاة ملائكته وجمعهما في فعل واحد فقال : ﴿ إنّ الله وملائكته يصلون على النبي ... ﴾ .(٢) وهذه الصلاة لا يجوز أن تكون هي الرحمة وإنّما هي ثناؤه سبحانه وثناء ملائكته عليه ، ولا يقال الصلاة لفظ مشترك ويجوز أن يستعمل في معنييه معا لأنّ في ذلك محاذير متعددة "(٣)

---

(١) سورة البقرة : ١٥٥ — ١٥٧ .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦ .

(٣) جلاء الأفهام : ص ٨٣ .

ومن هنا نجزم بأنّ صلاة الله وصلاة الملائكة عليه - صلى الله عليه وسلم - في الآية التي نحن بصددها لهما معنى واحد وهو الثناء عليه ، وأمّا صلاتنا نحن عليه - صلى الله عليه وسلم - فهي طلب المزيد من الثناء من الله عز وجل طلب دعاء لا طلب أمر

يقول الحليمي - رحمه الله - :

" فيدل على أنّ قولنا : اللهم صل على محمد صلاة منّا عليه إنّا لا نملك إيصال ما يعظم به أمره ويعلو به قدره إليه وإنّما ذلك على الله تعالى فيصح أنّ صلاتنا عليه الدعاء له بذلك وابتغاؤه من الله عز وجل " (١) .

وقد أيد إبن القيم هذا الرأي القائل بأنّ صلاتنا هي طلب المزيد من الثناء من الله - عز وجل - حيث قال :

" الصلاة المأمور بها فيها هي الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته ، وهي ثناء عليه واظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه فهي تتضمن الخبر والطلب وسمي هذا السؤال والدعاء منّا نحن صلاة عليه لوجهين :

أحدهما : أنّه يتضمن ثناء المصلي عليه والإشارة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة كذلك من الله تعالى ، فقد تضمنت الخبر والطلب .

الوجه الثاني : أن ذلك سمي منّا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلي عليه فصلاة الله عليه ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه ، وصلاتنا نحن عليه سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به وضد هذا في

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان : ٢/١٣٤ .

لعنة أعدائه الشانئين لما جاء به فانها تضاف إلى الله وتضاف الى العبد كما قال تعالى :

﴿ إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ (١) .

فلعنة الله لهم تتضمن مقته وإبعاده وبغضه لهم ولعنة العبد تتضمن سؤال الله تعالى أن يفعل ذلك بمن هو أهل اللعنة" (٢)

وعلى هذا فمعنى صلاة الله — عز وجل — وصلاة الملائكة على النبى — صلى الله عليه وسلم — الثناء ، وأمّا فى حق المؤمنين فهى طلب ذلك الثناء من الله تعالى لرسوله — صلى الله عليه وسلم —

---

(١) سورة البقرة : ١٥٩ .

(٢) جلاء الأفهام ص ٨٦ .

حكم الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — :

ذكر السخاوى عن شيخه (١) فى حكم الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — عشرة أقوال :

القول الأول : انها مستحب .

الثانى : أنها واجبة فى الجملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الاجزاء مرة .

الثالث : أنّها تجب فى العمر فى صلاة أو فى غيرها وهى مثل كلمة التوحيد .

الرابع : تجب فى القعود مرة آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحليل .

الخامس : تجب فى التشهد فقط .

السادس : تجب فى الصلاة من غير تعيين المحل .

السابع : يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد .

الثامن : تجب كلما ذكر — صلى الله عليه وسلم — .

التاسع : تجب فى كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا .

العاشر : تجب فى كل دعاء . (٢)

هذه عشرة أقوال فى حكم الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — ولكنّها فى الحقيقة والواقع قولان :

---

(١) يقصد به الحافظ ابن حجر العسقلانى كما صرح به السخاوى نفسه فى آخر القول البديع ص ٢٦٤ .

(٢) انظر القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع ص ١٤ ومابعدها .

أولهما : أنّها مستحبة .

ثانيهما : أنّها واجبة ولكن الذين يقولون بوجوبها اختلفوا في عدد المرات وفي المواطن التي تجب فيها حتى بلغت أقوالهم تسعة أقـــوال إلا أنّ أغلب هذه الأقوال متعلقة بالمواطن التي تجب الصلاة فيهـــــا .

وأصح ما قيل في حكمها أنّها تجب في الجملة بدون تقييـد بعدد أو وقت مع مراعاة المواطن التي يتأكد وجوبهـــــــا أو استحبابها .

يقول صاحب بهجة المحافل :(١)

" وأما حكمها فهي واجبة إجماعا للآية الكريمة (٢) لكنّه غير محدد بوقت ولا عدد ".(٣)

وهذا الإجماع الذي ادعاه فيه نظر لأنّ من العلماء من يقـــول باستحبابها مطلقا إلا إذا حملنا الاستحباب بما زاد على المرة الواحدة .

يقول السخاوي :

" وقد أول بعض العلماء هذا القول بما زاد على المرة الواحـــدة وهو متعين والله أعلم ".(٤)

---

(١) هو عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري .

(٢) وهي قوله تعالى : ﴿ إِنّ الله وملائكته يصلون على النبي ياأيهـــا الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ الأحزاب : ٥٦ .

(٣) بهجة المحافل وبغية الأماثل ٢/٤١٦ .

(٤) القول البديع ص ١٤ .

صيغ الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — :

للصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — صيغ كثيرة ذكرها العلماء فى كتبهم يروونها عن النبى — صلى الله عليه وسلم — بأسانيد بعضها صحيحة وبعضها حسنة وبعضها ضعيفة أو يلفقونها مما روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — من صيغ الصلاة أو يوءلفونها من عندهم .

وهنا نكتفى بذكر الصيغ الصحيحة لأن الغرض يتم بها وأما غيرها من الصيغ الضعيفة أو الملفقة فلا يتم بها بل نص بعض العلماء على عدم جوازها لعدم ثبوتها عن النبى — صلى الله عليه وسلم — من ناحية السند أو بالكيفية الملفقة .

وعلى هذا فلابد للمسلم أن يلتزم بالصيغ المأثورة الصحيحة أو الحسنة .

وقد ذكر الشيخ ناصر الدين الألبانى سبع صيغ صحيحة للصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — .(١)

ونذكر هذه الصيغ كما وردت فى كتابه " صفة صلاة النبى — صلى الله عليه وسلم — وبنفس الترتيب .

الصيغة الأولى : عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن رجل من أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه كان يقول : (اللهم صلّ على محمد وعلى أهل بيته وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل بيته وعلى

---

(١) صفة صلاة النبى — صلى الله عليه وسلم — ص ١٤٦ وما بعدها ، وانظر فضل الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — بتحقيق الألبانى هامش صفحة ٥٤ .

أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . (١)

الصيغة الثانية :

عن كعب بن عجرة عن النبي — صلى الله عليه وسلم — : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . (٢)

الصيغة الثالثة :

عن طلحة بن عبيد الله — رضي الله عنه — قال : قلت : يارسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال : قل :

(اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد) . (٣)

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ٣/٧٤ ، وذكر السخاوي هذه الرواية في القول البديع ص٤٢ ، وصحح الألباني هذه الرواية بعد عزوه إلى الإمام أحمد والطحاوي في صفة صلاة النبي ص١٤٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ إنّ الله وملائكته يصلون على النبي ... ﴾ ٣/١٧٨ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — بعد التشهد ١/٣٠٥ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/١٦٢ ، والنسائي في سننه ١/١٩٠ وقد ذكر ابن القيم هذه الرواية في جلاء الأفهام ص ٩

===

الصيغة الرابعة :

عن أبي مسعود الأنصاري — رضي الله عنه — قال : أتانا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في مجلس عبادة فقال بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يارسول الله ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : قولوا :

(اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد) (١) .

الصيغة الخامسة :

عن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — قال : قلنا يارسول الله هذا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا :

(اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم) (٢) .

=== والسخاوي في القول البديع ص٣٤ بألفاظ متقاربة ، وصحح الألباني هذه الرواية في صفة صلاة النبي — صلى الله عليه وسلم — ص١٤٧ بعد عزوها إلى الإمام أحمد والنسائي وغيرهما .

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — بعد التشهد ١/٣٠٥ .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ... ﴾ ٣/١٢٨ .

الصيغة السادسة :

عن أبي حميد الساعدي - رضي الله عنه - أنهم قالوا : يارسول الله كيف نصلّي عليك ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قولوا :

(اللّهم صلّ على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد) (١) .

الصيغة السابعة :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنهم سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك ؟ قال : (قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد) (٢) .

هذه هي صيغ الصلاة التي علّمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بعد ما سألوا عنها والتي وردت بأسانيد صحيحة

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب يزفون النسلان في المشي ٢/٢٣٩ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - بعد التشهد ١/٣٠٦ .

(٢) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ٣/٧٥ ، وقد ذكر ابن القيم في جلاء الأفهام ص١٣ هذه الصيغة وصححها ، وكذلك السخاوي في القول البديع ص٤٠ وصححها ، والألباني في صفة الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ص ١٤٨ ، وصححها بعد عزوها إلى الطحاوي وغيره .

كما بيّنا ، ولهذا ذهب بعض العلماء على إلتزامها دون تغيير أو تلفيق لأنّها أفضل الكيفيات في الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - يقول السخاوى :

" استدل بتعليمه - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه كيفية الصلاة عليه بعد سؤالهم عنها أنّها أفضل الكيفيات لأنّه لايختار لنفسه إلا الأشرف والأفضل ويترتب على ذلك لو حلف أن يصلى عليه أفضل الصلوات فطريق البر أن يأتى بذلك ". (١)

ومع ورود هذه الصيغ الصحيحة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - فقد أجاز بعض العلماء الصلاة عليه بلفظ جميل :

يقول الفاكهى (*) :

" ونقل ابن منده عن جمع من الصحابة وغيرهم أنّ من رزقه الله بيانا شافيا عن المعانى الصحيحة بالألفاظ الفصيحة فأبان عن الشرف النبوى كان كمن سلك السنن السنية ". (٢)

وجاء فى كتاب حسن التوسل :

" والصلاة بلفظ - صلى الله عليه وسلم - أمر حسن متضمن للبلاغة والإيجاز الموفى بالمقصود على أكمل وجه (٣) ولذا تواطا

---

(١) القول البديع ص ٤٧

(٢) حسن التوسل فى آداب زيارة أفضل الرسل ص ١٩٦

(٣) ففيه نظر ، لأنها لم تثبت عن النبى - صلى الله عليه وسلم - بهذه الكيفية ، والأكمل ما ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - لاغير وخاصة فى الأمور الدينية . وهذا الاعتراض يرد أيضا على قول الفاكهى السابق المبنى على نقل ابن منده عن جمع من الصحابة وغيرهم .

(*) هو عبدالله بن أحمد الفاكهى المتوفى سنة ٩٧٢هـ . انظر ترجمته فى الأعلام ٤ / ١٩٢ .

المؤلفون وغيرهم من العلماء المتقدمين والمتأخرين على التزامها ". (١)

وأما التلفيق بين صيغ الصلاة فقد استحسنه بعض العلماء وكرهه بعضهم .

ومن الذين استحسنوه الإمام النووى — رحمه الله — حيث يقول :

" وينبغى أن يجمع مافى الأحاديث الصحيحة فيقول : اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك النبى الأمى وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنّك حميد مجيد ". (٢)

ومع هذا — فقد فاته شئ ، ولعلها توازى قدر ما زاده وتزيد عليه كما ذكر السخاوى عن شيخه ابن حجر العسقلانى مثل قوله : عبدك ورسولك ومثل قوله فى العالمين فى الأولى ومثل قوله : اللهم صلّ وبارك لأنّهما ثبتا معا وغير ذلك ". (٣)

وأما الذين كرهوا التلفيق بين صيغ الصلاة فمنهم ابن تيمية رحمه الله — حيث يقول :

" ولبعض المتأخرين فى بعض هذه الأدعية والأذكار التى كان النبى — صلى الله عليه وسلم — يقولها ويعلمها بألفاظ متنوعة

---

(١) حسن التوسل : ص١٩٦ .
(٢) المجموع شرع المهذب ٣/٤٤٧ .
(٣) انظر القول البديع ص٦١ — ٦٢ .

، ورويت بألفاظ متنوعة طريقة محدثة بأن جمع تلك الألفاظ واستحب ورأى ذلك أفضل ما يقال فيها مثال الحديث الذي في الصحيحين (١) عن أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — أنه سأل رسول الله : علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال : (اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ...) قد روى كثيرا وروى كبيرا فيقول هذا القائل يستحب أن يقول كثيرا كبيرا وكذلك إذا روى : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وروى اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه وذريته وأمثال ذلك . وهذه طريقة محدثة لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين وطرد هذه الطريقة أن يذكر التشهد بجميع هذه الألفاظ المأثورة وأن يقال الاستفتاح بجميع الألفاظ المأثورة . وهذا مع أنه مخالف لعمل المسلمين لم يستحبه أحد من أئمتهم ، بل عملوا بخلافه فهو بدعة في الشريعة ، فاسد في العقل ، ثم قال : إذ قال هذا تارة على آل محمد وتارة على أزواجه وذريته كان حسنا .. " (٢)

وتبعه في ذلك تلميذه ابن قيم الجوزية — رحمه الله — حيث يقول :

" إنّ هذه الطريقة — أي طريقة التلفيق بين جمع صيغ الصلاة . طريقة محدثة لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين وأنّ صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي أن يستفتح بجميع الاستفتاحات وأن يستشهد بجميع التشهدات وأن يقول في ركوعه وسجوده جميع

---

(١) الحديث في صحيح البخاري ، كتاب صفة الصلاة ، باب الدعاء قبل السلام ١/١٥١ ، وفي صحيح مسلم ، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٤/٢٠٧٨ .

(٢) مجموع الفتاوى ١/١٦١ — ١٦٢ .

الأذكار الواردة فيه . وهذا باطل فانه خلاف عمل الناس ولم يستحبه أحد من أهل العلم وهو بدعة وإن لم يطردها تناقض وفرق بين متماثلين ". (١)

والرأى الأخير هو الأصح لأن هذه الصيغ تثبت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذه الكيفية وانه علّم أصحابه بهذه الكيفية ، بعد ما سألوه عنها ولأن التلفيق يترتب عنه صيغة مصطنعة مؤتلفة لم يقل بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعلينا الاتباع لا الابتداع .

هذا ما يتعلق بصيغ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم قــولا . وأما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كتابة فقد إصطلح المؤلفون على كتابة عبارة " صلى الله عليه وسلم " بعد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم .

ولذلك يكره أن يقتصر على الصلاة دون السلام أو السلام دون الصلاة كما أنه يكره أن يرمز إليهما بحرفين أو نحو ذلك مثل صعم أو " صلعم " أو " ص " أو " صلم " وما شابه ذلك .

يقول ابن كثير - رحمه الله تعالى - نقلا عن ابن الصلاح :

" وليحافظ على الثناء على الله عز وجل والصلاة والسلام على رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم وإن تكرر فلا يسأم فإن فيه خيرا كثيرا . بحيث يكتــــب الصلاة والتسليم كاملة لا رمزا ولا يقتصر على قوله " عليه السلام " يعــــنى وليكتب " صلى الله عليه وسلم " واضحة كاملة . (٢)

---

(١) جلاء الأفهام : ص ١٩٠ .

(٢) أنظر الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ص ١٣٥ - ١٣٦ .

ومستند الجمع بين الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم الأمر بهما معا فى قوله تعالى : (... يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .(١)

ومعنى السلام فقيل السلام الذى هو اسم من أسماء الله عليك وتأويله لا خلوت من الخيرات والبركات وسلمت من المكاره والآفات ....

ويحتمل أن يكون بمعنى السلام أى ليكن قضاء الله عليك السلام وهو السلامة كالمقام والمقامة ....أى يسلمك الله من الملام والنقائص ....

ويحتمل أن يكون بمعنى المسالمة له والانقياد (٢)

وأما حكم السلام عليه صلى الله عليه وسلم فتابع لحكم الصلاة عليه لأمر الوارد بهما معا فى الآية السابقة .

وأما صيغة السلام عليه فهى " السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته الواردة فى التشهد " كما هو الظاهر .(٣)

وأما مواطنها المتفق عليها فهى فى التشهد وعند زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بأبى وأمى .

وأما ثوابها فتشترك الصلاة فى كثير من ذلك .

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٥٦

(٢) القول البديع : ٦٧ - ٦٨

(٣) أنظر المصدر السابق : ٦٦

مواطن الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — :

ذكر العلماء مواطن كثيرة للصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — فمنهم من ذكر أربعين موطنا كابن قيم الجوزية — رحمه الله تعالى — في جلاء الأفهام (١) ، وكذلك السخاوي في القول البديع (٢) نحو عدد المواطن التي ذكرها ابن القيم . ومنهم من ذكر اثنين وثلاثين موطنا كصاحب بهجة المحافل (٣) .

ونذكر هنا أهم ما صحّ من هذه المواطن وخاصة المرفوع من ذلك .

الموطن الأول :

في الصلوات عامة بعد التشهد لحديث فضالة بن عبيد صاحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : سمع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصلّ على النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (عجل هذا) ، ثم دعاه فقال له ولغيره : (إذا صلّى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله والثناء عليه ثم يصلّي على النبي — صلى الله عليه وسلم — ثم يدعو بعد بما شاء) (٤) .

---

(١) انظر ص ١٩٣ وما بعدها .

(٢) انظر صفحة ١٧٠ وما بعدها .

(٣) انظر بهجة المحافل : ٢ /٤١٦ — ٤١٧ .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦ /١٨ ، وحسنه الألباني في تعليقاته على كتاب فضل الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — . انظر هامش صفحة ٨٦ .

وهذا الحديث يدل في منطوقه على أنّ الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — مطلوبة في الصلاة ٠

الموطن الثاني : صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية :

لحديث الزهري قال : سمعت أبا امامة بن سهل بن حنيف يحدث سعيد بن المسيب قال : " أنّ السنة في صلاة الجنازة أن يقرأ بفاتحة الكتاب ، ويصلي على النبي — صلى الله عليه وسلم — ثم يخلص الدعاء للميت متى يفرغ ولا يقرأ إلا مرّة واحدة ثم يسلم في نفسه ٠ "(١)

الموطن الثالث : عقب إجابة المؤذن :

لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص — رضي الله عنهما — أنّه سمع النبي — صلى الله عليه وسلم — يقول :

(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا عليّ فإنّ من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانّها منزلة في الجنة لا تنبغي إلّا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي ٠)(٢)

وهذه الصلاة ينبغي أن يقولها القائل سرّا لا جهرا خلافا لما يفعله الناس وخاصة المؤذنون من الجهر بالآية(٣) ثم الصلاة على

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ١/٣٦٠ وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ٠

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي — صلى الله عليه وسلم — ثم يسأل الله له الوسيلة ١/٢٨٨ ٠

(٣) وهي قوله تعالى : ﴿ إنّ الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها
===

النبى — صلى الله عليه وسلم — .

يقول الشيخ ناصر الدين الألبانى :

" ومن العجيب أن ترى بعض المتهاونين بهذه السنن أشد الناس تعصبا وتمسكا ببدعة جهر المؤذن بالصلاة عليه — صلى الله عليه وسلم — عقب الأذان مع كونه بدعة إتفاقا ، فإن كانوا يفعلون ذلك حبّا بالنبى — صلى الله عليه وسلم — فهلا إتبعوه فى هذه السنة(١) وتركوا تلك البدعة ".(٢)

الموطن الرابع : طوال يوم الجمعة :

لحديث أوس بن أوس — رضى الله عنه — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : (إنّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علىّ من الصلاة فيه ، فإنّ صلاتكم معروضة علىّ ، فقالوا : يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ قال : يقول بليت ؟ قال : إن الله حرّم على الارض أجساد الأنبياء).(٣)

الموطن الخامس : فى كل مجلس :

لحديث أبى هريرة — رضى الله عنه موقوفا عليه قال : " ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا عليه فيه

== الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما ﴾ الأحزاب : ٥٦ .

(١) وهى أن يقولوا مثل ما يقول المؤذن ثم يصلّوا على النبى — صلى الله عليه وسلم — سرا .

(٢) انظر فضل الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — للقاضى إسماعيل ابن اسحاق الجهضمى هامش صفحة ٥٠ .

(٣) الحاكم فى مستدركه ١ / ٢٧٨ وصححه ووافقه الذهبى .

إلّا كان عليهم حسرة يوم القيامة ". (١)

. **الموطن السادس** : كلما ذكر اسمه - صلى الله عليه وسلم - :

لقوله - صلى الله عليه وسلم - :

(البخيل من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ ..). (٢)

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه ١/٤٩٢ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ١/٥٤٩ وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

ثواب الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — :

ذكر العلماء ثوابا كثيرا للصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — ، فمنهم من ذكر ما يقارب أربعين ثوابا كإبن القيم — رحمه الله — في جلاء الأفهام (١) ، والسخاوي في القول البديع (٢) .

وهذا الثواب المذكور منه ما يستند الى دليل صحيح ، ومنه ما يستند إلى أدلة ضعيفة ، كما أن بعضا منه يدخل في بعض الآخر .

وأذكر هنا أهم ما ذكره العلماء :

أولا : كتابة عشر حسنات لمن صلى عليه — صلى الله عليه وسلم — صلاة واحدة لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص — رضي الله عنه — أنه سمع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول :

(... من صلى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشرا) (٣)

ولحديث أبي هريرة — رضي الله عنه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم قال :

(من صلى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشرا) . (٤)

---

(١) انظر صفحة ٢٦٢ وما بعدها .

(٢) انظر صفحة ١٥١ وما بعدها .

(٣) صحيح مسلم ، ١/٢٨٨ — ٢٨٩ وقد تقدم في صفحة ١٨٥ .

(٤) رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — ص٢٦ ، وصحح الألباني إسناد هذا الحديث في تعليقاته على الكتاب المذكور . انظر هامش ص ٢٦ .

ثانيهـا :
محو عشر سيئات عمن صلّى على النبي — صلى الله عليه وسلم — لحديث عبد الرحمن بن عمير و قال :

" من صلّى على النبي — صلى الله عليه وسلم — كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ... " (١)

ثالثهـا :
رفع عشر درجات لمن صلى عليه — صلى الله عليه وسلم — لحديث عبد الرحمن بن عمرو قال :

" من صلّى على النبي — صلى الله عليه وسلم — كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات) . (٢)

رابعهـا :
مغفرة الذنب كله لمن صلّى على النبي — صلى الله عليه وسلم — لحديث أبي بن كعب — رضي الله عنه — قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يخرج في ثلثي الليل فيقول :(جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه) وقال أبي : يارسول الله انى أصلّى من الليل أفأجعل لك ثلث صلاتي (٣) ؟ قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الشطر قال : أفأجعل لك شطر صلاتي ؟ قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : الثلثان أكثر ، قال : أفأجعل لك صلاتي

---

(١) رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — ص ٢٨ وقال الألباني في تعليقاته على الكتاب المذكور إسناده ضعيف ، لكن له شاهد مرفوع عن أنس ، آخرجه النسائي وغيره بسند صحيح . أنظر هامش ص ٢٨ ، قلت : رواية أنس التي أشار إليها هي بلفظ : (من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات) سنن النسائي في كتاب السهو ، باب الفضل في الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ٣ / ٥٠ .

(٢) الحديث هو نفس الحديث الذي قبله .

(٣) صلاتي هنا تعني دعائي .

كلها ؟ قال : اذن يغفر لك ذنبك كله).[١]

خامسها : القرب من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوم القيامة لحديث ابن مسعود — رضى الله عنه — قال : قال النبى — صلى الله عليه وسلم — : (أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة) ".[٢]

سادسها : أنّ من صلّى عليه — صلى الله عليه وسلم — عند ذكره ينجو من أن يوصف بالبخل لحديث على — رضى الله عنه — أنّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : (البخيل من ذكرت عنده فلم يصلّ علىّ).[٣]

سابعها : أنه من صلى عليه لا يخطىء أبواب الجنة لحديث ابن عباس رضى الله عنهما — أنّ النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : (من نسى الصلاة علىّ خطىء طريق الجنة).[٤]

---

(١) أخرجه إسماعيل القاضى فى فضل الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — ٢٩ — ٣٠ وقال الألبانى : حديث جيد . انظر فضل الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — هامش ص ٣٠ .

(٢) رواه الترمذى فى سننه ، أبواب التطوع ، باب ما جاء فى فضل الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — ٣٠٢/٢ ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٣) أخرجه الحاكم فى مستدركه ٥٤٩/١ وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبى .

(٤) رواه ابن ماجة فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — ٢٩٤/١ ، وقال الألبانى : والحديث يرتقى إلى درجة الحسن على أقل الدرجات . انظر فضل الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — هامش ٤٥ .

وهذان الحديثان الأخيران يدلان على الثواب بدليل المخالفة.

ثامنها : أنها سبب لشفاعة النبى — صلى الله عليه وسلم — إذا قرنها بسؤال الوسيلة له. لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص — رضى الله عنهما — أنه سمع النبى — صلى الله عليه وسلم — يقول :

(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا علىّ فان من صلّى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى إلّا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلّت له شفاعتى ". (١)

---

(١) صحيح مسلم ١/٢٨٨ — ٢٨٩ وقد تقدم فى صفحة ١٨٥ .

الفصل الثالث

الأدب العملي

الفصل الثالث
الأدب العملـــــــى

في بداية هذا الباب قسمت الأدب إلى ثلاثة أنواع وذكرت فـــى الفصلين السابقين نوعين منها وهما الأدب القلبي والأدب القولي ، وفـــى هذا الفصل فسوف أتحدث عن النوع الثالث والأخير وهو الأدب الفعلـــى والعملى ، ونقصد بالأدب العملى الأدب الذى يتعلق بالجـــــوارح ، ويكون عمليا محسوسا .

وبذا يتكون هذا الفصل من مبحثين :

المبحث الأول : الطاعة والاتباع .

المبحث الثاني : مجالسته — صلى الله عليه وسلم — .

المبحث الأول

الطاعـــة والاتبـــاع

المبحث الأول
الطاعــة والاتبـــاع

وردت طاعة الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى القرآن الكريــم مرّات كثيرة بصيغ مختلفة ، حيث جاءت آمرا بطاعته ونهيا عن مخالفتــه ، واخبارا بأنّ طاعته — صلى الله عليه وسلم — يترتب عليها ثواب عظيم فى الدنيا والآخــرة .

والصيغ التى تدل على أنّ طاعة الرسول — صلى الله عليه وسلــم — واجبة على الأمة هى صيغتا الأمر بطاعته والنهى عن مخالفته أو ما يجـرى مجراهما من تحذير عن مخالفته أو توعد بعقاب لمن يخالف .

وأمّا الصيغة الأولى وهى الأمر بطاعة الرسول — صلى الله عليــه وسلم — فقد وردت فى القرآن الكريم مقترنة بطاعة الله مع تكرير الفعل " أطيعوا " مرة مع الله ، ومرة مع الرسول — صلى الله عليه وسلم — .

يقول تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾(١) .

ومرة بعدم تكرير الفعل مثل قوله تعالى :

﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا اللــــه وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾(٢) .

---

(١) سورة النساء : (٥٩) .

(٢) سورة الأنفال : (١) .

ولكل من التعبيرين مدلول خاص كما ذكر المفسرون قائلين : إذا كان الفعل أطيعوا متكررا يفيد على أن للرسول — صلى الله عليه وسلم — نوع استقلال من الطاعة مثل قوله تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول .. ﴾ (١).

يقول الألوسى — رحمه الله فى تفسير هذه الآية :

" وأعاد الفعل وإن كانت طاعة الرسول مقترنة بطاعة الله تعالى اعتناء بشأنه — عليه الصلاة والسلام — وقطعا لتوهم أنه لايجب امتثال ما ليس فى القرآن وإيذانا بأن له — صلى الله عليه وسلم — استقلالا بالطاعة لم يثبت لغيره من البشر ومن ثم لم يعد فى قوله سبحانه ﴿وأولى الأمر منكم ﴾ ايذانا بأنهم لا استقلال الرسول لهم استقلال الرسول صلى الله عليه وسلم . (٢)

ولقد حذر الرسول — صلى الله عليه وسلم — عن هذا المفهوم الخاطئ وهو الاكتفاء بما جاء فى القرآن دون الرجوع إلى السنة المبينة للقرآن الكريم بقوله — صلى الله عليه وسلم — :

(لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه) (٣).

وفى رواية المقدام زيادة : (ألا وإن ما حرم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مثل ما حرم الله) (٤).

---

(١) سورة النساء : ٥٩ .
(٢) روح المعانى : ٥/ ٦٥ .
(٣) أخرجه الحاكم فى مستدركه ١/ ١٠٨ وقال : " وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " ووافقه الذهبى .
(٤) أخرجه الحاكم فى مستدركه ١/ ١٠٩ وصححه .

• وأمّا إذا كان الفعل غير متكرر مثل قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ • (١) فيفيد أن طاعة الرسول — صلى الله عليه وسلم — هى طاعة الله تعالى •

يقول الألوسى — رحمه الله — فى تفسير هذه الآية :

" وذكر الرسول — صلى الله عليه وسلم — مع الله — تعالى — أولا وأخرا لتعظيم شأنه وإظهار شرفه والايذان بأنّ طاعته عليه الصلاة والسلام — طاعة الله تعالى ، وقال غير واحد أنّ الجمع بين الله — تعالى — ورسوله — صلى الله عليه وسلم — أولا لأنّ اختصاص الله تعالى بالأمر والرسول — صلى الله تعالى عليه وسلم — بالامتثال "• (٢)

ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ • (٣) حيث أفرد الضمير وأعيد إلى الرسول — صلى الله عليه وسلم — دون الله — عز وجل — بعد الأمر بطاعتهما معا لأنّ الضمير يرجع إلى أقرب المذكور كما هو معروف فى علم النحو للإشارة إلى أنّه — صلى الله عليه وسلم — هو الوسيط بين الله وبين خلقه فى تبليغ مراد الله تعالى وبيانه ، وأنّ طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة لله على غرار قوله تعالى :

﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ... ﴾ (٤)

---

(١) سورة الأنفال : : (١) •
(٢) روح المعانى : ١٦٤/٩ •
(٣) سورة الأنفال : (٢٠) •
(٤) سورة النساء : (٨٠) •

يقول الألوسي ــ رحمه الله ــ :

" وأعيد الضمير إليه ــ عليه الصلاة والسلام ــ لأنّ المقصود طاعته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وذكر طاعة الله توطئة لطاعته وهي مستلزمة لطاعة الله ــ تعالى ــ لأنّه مبلغ عنه فكان الراجع إليه كالراجع إلى الله تعالى " .(١)

ومن هذه النماذج التي ذكرناها سابقا في موضوع طاعة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتبين لنا أنّ طاعته ــ صلى الله عليه وسلم ــ واجبة على كل مسلم في كل أمر من الأمور سواء كان ذلك الأمر ثبت بالقرآن أو بالسنة لأنّ طاعته طاعة الله تعالى كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله .. ﴾ (٢) ولأنّه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يتكلم عن الهوى وإنّما عن وحي من الله ــ سبحانه وتعالى ــ ، ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى ﴾ .(٣)

ويدخل في مفهوم طاعة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ اتباعه لأنّ مدلول الاتباع والطاعة يكاد يكون واحدا حيث أنهما من المترادفات وشأن المترادفات أن يكون معناها واحدا مع وجود فروق طفيفة مثل كلمتي قعد وجلس حيث أنّ الأولى من الاضطجاع والثانية من القيام مع أنّ مدلولهما واحد .

وهكذا شأن كل المترادفات ، وأما كلمتي الاتباع والطاعة ، فقد

---

(١) روح المعاني : ١٨٨/٩ .

(٢) سورة النساء : (٨٠) .

(٣) سورة النجم : (٣ ــ ٤) .

ذكر أبو هلال العسكرى — عند كلامه عن الفرق بين العبادة والطاعة — أنّ مدلول الاتباع والطاعة واحد فقال :

" والطاعة الفعل الواقع على حسب ما أراده المريد متى كان المريد أعلى رتبة ممن يفعل ذلك وتكون للخالق والمخلوق والعبادة لا تكون إلّا للخالق ، والطاعة فى مجاز اللغة تكون اتباع المدعو الداعى الى ما دعاه إليه وان لم يقصد التبع كالإنسان يكون مطيعا للشيطان وإن لم يقصد أن يطيعه ولكنّه اتبع دعاءه وارادته " (١) .

وكلام أبى هلال العسكرى يفيد أنّ الاتباع والطاعة يؤديان معنى واحدا تجوزا كما أنّهما يكونان عن قصد وعن غير قصد ، وحديثى هنا يدور حول الاتباع والطاعة التى يكون عن قصد وإرادة من صاحبها مع نيّة صالحة لأنّ المنافق هو الذى يظهر اتباع الرسول ويبطن مخالفته ، وعلى هذا نفى الله سبحانه وتعالى عنهم سمة الإيمان فى قوله تعالى : ﴿... ويقولون آمنّا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾ (٢) .

ومع أنّ الاتباع والطاعة معناهما واحد كما ذكرنا الّا أنّنا نذكر هنا النصوص التى وردت بصيغة الاتباع أو ما يجرى مجراها .

وقد وردت نصوص كثيرة من القرآن والسنة التى تأمرنا تارة باتباع الرسول — صلى الله عليه وسلم — وتارة باتباع طريقة الله التى هى طريقته وتارة باتباع القرآن .

من الآيات التى تدل على وجوب اتباع الرسول — صلى الله عليه

---

(١) الفروق فى اللغة ص ٢١٥ .

(٢) سورة النور : (٤٧) .

وسلم — قوله تعالى :

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ... ﴾ .(١)

وقوله تعالى :

﴿ ... فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ .(٢)

وأمّا ما يدل على وجوب اتباع طريقة الله التي هي طريقته فمنه قوله تعالى :

﴿ وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون ﴾ .(٣)

وقد ورد في السنة ما يبين معنى هذه الآية وهي ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد الله — هو ابن مسعود —(٤) قال : خط رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما وخط عن يمينه وشماله خطوطا ثم قال : (هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعوا إليه ثم قرأ : ﴿ وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .. ﴾ .(٥)

---

(١) سورة آل عمران : (٣١) .

(٢) سورة الأعراف : (١٥٨) .

(٣) سورة الأنعام : (١٥٣) .

(٤) كما صرح ابن كثير عند تفسير هذه الآية .
انظر تفسيره ٢/١٩٠ .

(٥) مستدرك الحاكم ٢/٢٣٩ وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

وأمّا ما يدل على وجوب اتباع القرآن فمنه قوله تعالى :

﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ (١) .

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية :

" فيه الدعوة إلى اتباع القرآن يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة " (٢) .

ومجموع هذه النصوص من القرآن والسنة التي أوردناها في موضوع الاتباع كلها تفيد على وجوب اتباع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سواء كانت تتعلق باتباع سبيل الله أو اتباع القرآن لأنّ اتباع سبيل الله اتباع سبيله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنّه هو الداعي الى ذلك .

قال تعالى :

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ... ﴾ (٣)

وكذلك فاتباع القرآن هو اتباعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنّه هو المبلغ عن الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى : ﴿ ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ... ﴾ (٤)

هذا ما يتعلق بموضوع وجوب طاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واتباعه الواردة بصيغة الأمر ، وأمّا الآن فسوف نتحدث عن وجوب الانتهاء عن مخالفته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي طريقة أخرى

---

(١) سورة الأنعام : (١٥٥) .

(٢) ابن كثير : ٢/١٩٢ .

(٣) سورة يوسف : (١٠٨) .

(٤) سورة المائدة : (٦٧) .

لوجوب اتباعه لأنّ الأمر بالشيء نهى عن ضده ، وكذلك العكس .

وقد ورد فى هذا المعنى آيات كثيرة :

منها قوله تعالى :

﴿ . . . فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (١) .

ومنها قوله تعالى :

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا ﴾ (٢)

ومنها قوله تعالى :

﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . . .) (٣) .

ومجموع هذه الآيات التى أوردناها تدل على حرمة مخالفة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ومن هذا المعنى أى مخالفة أمره التقدم بين يديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إنّ الله سميع عليم ﴾ (٤) .

وقد ذكر المفسرون عدة أسباب لنزول هذه الآية ،

---

(١) سورة النور : (٦٣) .

(٢) سورة الأحزاب : (٣٦) .

(٣) سورة الحشر : (٧) .

(٤) سورة الحجرات : (١) .

التى تبين المعانى المختلفة للتقدم بين يدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أو الأوجه التى يحصل بها التقدم بين يديه — صلى الله عليه وسلم — .

منها كما ذكر ابن العربى :

أنّ قوما كانوا يقولون : لو أنزل فى كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية .

ومنها — نهوا أن يتكلموا بين يدى كلامه .

ومنها — لاتفتاتوا على الله ورسوله فى أمر حتى يقضى الله على لسان رسوله — صلى الله عليه وسلم — .

ومنها — أنها نزلت فى قوم ذبحوا قبل أن يصلى النبى — صلى الله عليه وسلم — فأمرهم أن يعيدوا الذبح .

ومنها — لاتقدموا أعمال الطاعة على وقتها .(١)

قال القاضى :

" هذه الأقوال كلها صحيحة تدخل تحت العموم فالله أعلم بما كان السبب المثير للآية ولعلها نزلت دون سبب ".(٢)

وقال أيضا :

" هذه الآية أصل فى ترك التعرض لأقوال النبى — صلى الله عليه وسلم — وإيجاب اتباعه والاقتداء به ".(٣)

نعم ، هذه الوجوه المذكورة فى أسباب نزول الآية محتملة وكلها

---

(١) أحكام القرآن ٤/١٧٠٠ مع التصرف .

(٢) المصدر السابق ٤/١٧٠١ .

(٣) المصدر السابق ٤/ ١٧٠١ — ١٧٠٢ .

تفسر الآية من زاوية معينة ، كما أنها تحتمل وجوها أخرى لم يذكرها ومجمل معناها هو وجوب الانتهاء عن التقدم بين يدى الله ورسوله فى كل أمر من الأمور حتى يقضى الله على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حال حياته ، وأمّا بعد مماته فمعناها وجوب الانتهاء عن التقدم بين يدى كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى كل أمر من الأمور الدنيوية والأخروية .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

" ومن الأدب مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهى ، ولا إذن ولا تصرف حتى يأمره وينهى ويأذن كما قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله ... ﴾ (١).

وهذا باق إلى يوم القيامة لم ينسخ ، فالتقدم بين يدى سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه فى حياته ولا فرق بينهما عند كل ذى عقل سليم " (٢).

وممّا يدخل فى هذا المعنى أى التقدم بين يدى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تقديم القوانين الوضعية على الشريعة الإسلامية فى هذا العصر حتى لو لم يصرّح واضعو هذه القوانين أو الذين استوردوها أنّها أفضل من الشريعة الإسلامية أولا ، لأن مجرد اقصاء الشريعة الإسلامية عن الحياة البشرية ووضع القوانين الوضعية مكانها وإجبار الناس على التحاكم إليها والتوعد لمن يخالفها بالعقاب الشديد وإن

---

(١) سورة الحجرات : (١) .

(٢) مدارج السالكين : ٢/٣٨٩ .

خالفت الشريعة الاسلامية مخالفة صريحة كما هو مشاهد في واقعنا اليوم ، وكذلك إذا وافقت الشريعة الإسلامية لاختلاف مصدر تلقيهما لأن هذه مصدرها هو الله — سبحانه وتعالى — وبواسطة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وتلك مصدرها الطاغوت وهوى النفس الأمارة بالسوء وإن زعم أصحابها أنهم يؤمنون بالله ورسوله مئات المرات .

وكيف يكون لهم إيمان بعد قوله تعالى :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (١) .

وقوله تعالى :

﴿ ... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (٢) .

يقول الشنقيطي في تفسيره الآية التي نحن بصددها :

" وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله ويدخل دخولا أوليا تشريع مالم يأذن به الله وتحريم مالم يحرمه وتحليل مالم يحلله لأنه لاحرام إلا ما حرمه الله ولا حلال إلا ما حلله الله ولا شرع إلا ما شرعه الله " (٣) .

ويقول الإمام ابن كثير — رحمه الله — عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ (٤) :

" ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على

---

(١) سورة النساء : (٦٥) .

(٢) سورة المائدة : (٤٤) .

(٣) أضواء البيان ٧/٦١٤ .

(٤) سورة المائدة : (٥٠) .

كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهداف والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم " جنكزخان " الذى وضع لهم " الياسق " وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت فى بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم فى سواه في قليل ولا كثير " . (١)

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٦٧ .

ثواب الاتباع والطاعة :

طاعة الرسول — صلى الله عليه وسلم — واتباعه يترتب عليها ثواب كثير فى الدنيا والآخرة .

وقد ورد فى القرآن الكريم ما يدل على ذلك نذكر طرفا منها .

من ذلك أنّ الله — سبحانه وتعالى — جعل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة له ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ... ﴾ (١)

كما أنّه — سبحانه وتعالى — جعل طاعته شرطا للهداية : ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ... ﴾ (٢)

وجعل طاعة الرسول أيضا شرطا لدخول الجنة :

﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ . (٣)

كما أنها تؤدى إلى مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فى الجنة .

يقول تعالى :

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ . (٤)

كما أنّه يترتب عليها الفوز العظيم فى الدارين .

يقول تعالى :

﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ . (٥)

---

(١) سورة النساء : ٨٠ .

(٢) سورة النور : ٥٤ .

(٣) سورة النساء : ١٣ .

(٤) سورة النساء : ٦٩ .

(٥) سورة الأحزاب : ٧١ .

ويقول تعالى أيضا :

﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾.(١)

كما أنها تكون سببا لرحمة الله لقوله تعالى :

﴿ ... ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ... ﴾.(٢)

---

(١) سورة النور : ٥٢ .

(٢) سورة التوبة : ٧١ .

سلوك السلف في الاتباع :

تعد الجماعة الأولى التي تلقت الدين وأخذته من رسول الله مباشرة خير من قام بما شرع لهما من طاعة واتباع لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — لقوله — صلى الله عليه وسلم — :

(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) [(١)] .

وإني هنا أحاول إبراز بعض الصور التطبيقية للطاعة والاتباع لتكون أمثلة توضح ما شرع للمسلمين في هذا الجانب الهام . وسأجعل هذه الأمثلة مرتبة على النحو التالي :

أولا : سلوكهم في الاتباع وهم جماعة :

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر — رضي الله عنهما — قال : قال النبي — صلى الله عليه وسلم — يوم الأحزاب :

(لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) ، فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال : لانصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يرد منا ذلك ، فذكر ذلك للنبي — صلى الله عليه وسلم — فلم يعنف واحدا منهم) [(٢)] .

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على مدى إسراع الصحابة — رضوان الله عليهم — في تنفيذ أمره — صلى الله عليه وسلم — باذلين في ذلك أقصى الجهد .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٤/١٩٦٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب مرجع النبي — صلى الله عليه وسلم — من الأحزاب ومخرجه الى بني قريظة ومحاصرته اياهم ٣/٣٤ .

ومنهـا ما أخرجه البخارى فى صحيحـه عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : إتخـذ النبى - صلى الله عليه وسلم - خاتما من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : (إنّى اتخذت خاتما من ذهب فنبذه وقال : إنّى لن ألبسه أبدا ، فنبذ الناس خواتيمهم .(١)

وهذا الحديث أيضا يدلّ دلالة واضحـة على مدى إسراع الصحابـة - رضوان الله عنهم - فى اتباع فعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى ولو لم يأمرهم بفعل ذلك الفعل وبدون أن يسألوا العلة فى ذلك أو أنّ ذلك خاص به - صلى الله عليه وسلم - أو يعم الأمة جميعا .

ومن ذلك ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحـه عن إبن عمر - رضى الله عنهما - قال :" بينما الناس فى صلاة الصبح بقباء اذ جـاءهم آت فقال : إنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أنزل عليه الليلة وقد أمـر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة"(٢)

وفى هذا الحديث يدل دلالة واضحـة على مدى استجابة الصحابة لأوامر الله على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أثناء الصلاة دون تردد أو إبطاء وبدون استفسار أو تأخير .

ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخارى فى صحيحـه عن عائشة - رضى الله عنهـا : أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج ليلة من جوف الليـل فصلى فى المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحـدثوا ، فاجتمـع أكثر منهم فصلى فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحـدثوا فكثر أهل المسجـد

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بأفعـال النبى - صلى الله عليه وسلم - ٤/ ٢٦٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحويل القبلـة مـن القدس إلى الكعبة ١/ ٣٧٥ .

من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فصلى فصلوا بصلاته ، فلمّا كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلمّا قضى الفجر أقبل على الناس ثم قال : (أمّا بعد فإنّه لم يخف عليّ مكانكم ولكنّي خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها ، فتوفى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والأمر على ذلك) (١) .

وهذا الحديث أيضا يدل على أنّ الصحابة — رضوان الله عنهم — كانوا يحرصون على الاقتداء بالمصطفى — صلى الله عليه وسلم — في كل فعل من أفعاله إذا لم يكن هناك خصوصية حتى ولو لم يأمرهم بذلك الفعل .

وهذه النصوص التي ذكرناها نموذج لاستجابة الصحابة لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — والاقتداء بفعله وتنفيذ أمره جماعة ، ولكن هناك نصوص أخرى كثيرة تدل على ذلك يصعب حصرها في هذا المقام .

__ثانيا__ : مايفيد أيضا سلوك السلف في اتباع الرسول — صلى الله عليه وسلم — فرادى :

من ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عمر — رضي الله عنه — " أنّه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال : إنّي أعلم أنّك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنّي رأيت النبي — صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك " (٢) .

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة أنّ أمير المؤمنين عمر بن

(١) البخاري في كتاب التراويح ، باب فضل من قام رمضان ١/٣٤٢ .
(٢) صحيح البخاري في كتاب الحج ، باب ما ذكر في الحجر الأسود ١/٢٧٨ .

الخطاب — رضى الله عنه صرح بأنّ تقبيله للحجر الأسود هو مجرد التأسى بالنبى — صلى الله عليه وسلم — مع إيمانه ويقينه أنّه لا يضر ولا ينفع لذاته

ومن ذلك ما أخرجه البخارى أيضا فى صحيحه عن مروان بن الحكم قال : "شهدت عثمان وعليا — رضى الله عنهما — وعثمان ينهى عن المتعة (١) وأن يجمع بينهما فلمّا رأى على أهلّ بهما لبيك بعمرة وحجة قال : ما كنت لأدع سنة النبى — صلى الله عليه وسلم — لقول أحد" (٢) •

وهذا يدل على أنّ الصحابة — رضى الله عنهم — يقدمون سنة النبى — صلى الله عليه وسلم — على أى قول صدر من غيره مهما كانت رتبته كما فعل على — رضى الله عنه — مع عثمان بن عفان — رضى الله عنه — فى هذا الأمر الذى اختلفت وجهة نظرهما لأنّ عثمان بن عفان — رضى الله عنه — وإن كان أميرا للمؤمنين آنذاك إلا أنّ اتباع سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوق كل شىء •

ومن ذلك أيضا ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه عن وبرة قال : كنت جالسا عند ابن عمر فجاءه رجل فقال : أيصلح لى ان أطوف بالبيت قبل أن آتى الموقف ؟ فقال : نعم • فقال : فإن ابن عباس يقول : لا تطف بالبيت حتى تأتى الموقف فقال ابن عمر : فقد حج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فطاف بالبيت قبل أن يأتى الموقف (٣) ، فبقول رسول

---

(١) يعنى التمتع فى الحج وهو نوع من أنواع الحج الثلاثة المعروفة •

(٢) صحيح البخارى فى كتاب الحج فى باب التمتع والاقران والافراد بالحج وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدى ١/٢٧٢ — ٢٧٣ •

(٣) يعنى عرفة •

الله — صلى الله عليه وسلم — أحق أن نأخذ أم بقول ابن عباس ان كنت صادقـا .(١)

وهذه أيضا حادثة أخرى اختلفت فيها وجهة نظر الصحابة — رضى الله عنهم — ومضمونها يؤكد حرص صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على اتباع سنة الرسول — صلى الله عليه وسلم إذا ثبتت وترك قول أي أحد من الناس مهما كانت رتبته إذا كان ذلك القول يخالف سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولهذا أنكر ابن عمر — رضى الله عنهما — على السائل حينما ذكر فتوى ابن عباس — رضى الله عنهما — بعد اخباره ما ثبت عن النبى — صلى الله عليه وسلم — فى ذلك المقام ، ورحم الله الإمام مالك حينما قال : " ما من قول أحد إلا ويؤخذ قوله ويترك إلا صاحب ذلك القبر — يعنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهذه القاعدة هى الفيصل فى هذا الموضوع .

وأمّا المراجعات التى وقعت بينه — صلى الله عليه وسلم — وبين الصحابة — رضوان الله عليهم — فى بعض الأمور أثناء حياته فلا يعتبر قدحا فى اتباعهم لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأنّ هذه المراجعات كانت مجرد استفسار لبعض الأمور التى لم يتضح لهم الغرض منها أو التبست عليهم أو لم يستسيغوها فى أول الأمر ظنّا منهم أنّهم لايقدرون على تحملها غيرة للرسول — صلى الله عليه وسلم — وللإسلام للاستهزاء أو الانتقاص من توقير الرسول — صلى الله عليه وسلم — بخلاف ما كان يفعله المنافقون — لعنهم الله — تجاه رسول

---

(١) صحيح مسلم فى كتاب الحج ، باب ما يلزم من أحرم بالحج ، ثم قدم مكة ، من الطواف والسعى ٢ / ٩٠٥ .

الله — صلى الله عليه وسلم — استهزاء به وبرسالته والانتقاص من توقيره — صلى الله عليه وسلم — متسترين تحت ما أظهروا من الإسلام .

وقد قسّم شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — هذه المراجعات للرسول — صلى الله عليه وسلم — ثلاثة أقسام حيث قال :

" وبالجملة فالكلمات في هذا الباب ثلاثة أقسام :

احداهن : ما هو كفر — مثل قوله : إنّ هذه القسمة ما أريد بها وجه الله .

الثاني : ما هو ذنب ومعصية يخاف على صاحبه أن يحبط عمله ، مثل رفع الصوت فوق صوته ، ومثل مراجعة من راجعه عام الحديبية بعد ثباته على الصلح (١) ، ومجادلة من جادله يوم بدر بعد ما تبيّن له الحق (٢) ، وهذا كله يدخل في المخالفة عن أمره .

---

(١) مثل قصة عمر مع النبي — صلى الله عليه وسلم — في صلح الحديبية وفيها : جاء عمر فقال : ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ فقال : (بلى) قال : ففيم نعطي الدنية في ديننا ، ونرجع ولما يحكم الله بيننا ؟ فقال : (يا ابن الخطاب إنّي رسول الله ولن يضيعني الله أبدا) ، فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال : يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال : يا ابن الخطاب ، إنّه رسول الله — صلى الله عليه وسلم ولن يضيعه الله أبدا "
انظر صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب اذ يبايعونك تحت الشجرة ٣/١٩٠ .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ يجادلونك في الحق بعد ما تبين ... ﴾ الأنفال : ٦ .

الثالث : ما ليس من ذلك بل يحمد عليه صاحبه أو لا يحمد كقول عمر : ما بالنا نقصر الصلاة وقد أمنا (١) ؟ وكقول عائشة : ألم يقل الله : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ (٢) ، وكمراجعة الحباب فى منزل بدر (٣). ونحو ذلك مما فيه سؤال عن إشكال ليتبين لهم ، أو عرض لمصلحة قد يفعلها الرسول — صلى الله عليه وسلم —" (٤)

المقالة الأولى من هذه الأقسام لم تصدر عن الصحابة — رضوان الله عليهم — وإنما صدرت عن بعض المنافقين الذين كانوا مع الصحابة ظاهرا لا باطنا لأن هذه المقالة هى عين ما حكاه الله سبحانه وتعالى — عنهم فى كتابه كقوله تعالى :

﴿ ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾ (٥).

---

(١) احتجاجا بقوله تعالى : ﴿ فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم ... ﴾ سورة النساء ١٠١ .
وأجاب — صلى الله عليه وسلم — عن ذلك : ﴿ صدقة تصدق الله بها عليكم ﴾ انظر صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب صلاة المسافرين وقصرها ١ / ٤٧٨ .

(٢) سورة مريم : ٧١ .

(٣) حيث أشار إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يغير المكان الذى نزل فيه أولا إلى مكان آخر أحسن بالنسبة للأهمية الحربية ووافقه على ذلك الرسول — صلى الله عليه وسلم — كما فى كتب السيرة . انظر السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٤٠٢ .

(٤) الصارم المسلول : ص ١٩٩ .

(٥) سورة التوبة : ٥٨ .

وأما المقالة الثانية فقد صدرت من بعض الصحابة — رضوان الله عليهم — عن غفلة أو اجتهاد أو عن عجلة إلّا أنهم لم يصرّوا على خطأهم وإنّما تنازلوا عن رأيهم الذين رأوه إلى أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إيمانا منهم ويقينا أنّ ما ذهب إليه الرسول — صلى الله عليه وسلم — هو الصواب .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — :

" فهذه أمور صدرت عن شهوة وعجلة لا عن شك في الدين ". (١)

وأما المقالة الأخيرة فقد صدرت من الصحابة أيضا — رضوان الله عليهم — ولكنّها لا تعتبر ذنبا ولا معصية أو مخالفة لأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإنّما هي الاستفسار عن دين الله — عز وجل — وطلب المزيد من التفقه إيمانا منهم بأنّ مهمة الرسول — صلى الله عليه وسلم — هي التبيين لقوله تعالى :

﴿ ... وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ . (٢)

كما أنّهما صدرت منهم لأجل الإشارة لبعض الأمور إذا كان المقام يتطلب المشورة لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ... ﴾ . (٣)

يقول ابن تيمية — رحمه الله تعالى — :

" وكانت المراجعة المشهورة منهم لا تعدو إمّا لتكميل نظره

---

(١) الصارم المسلول : ص ١٩٧ .

(٢) سورة النحل : ٤٤ .

(٣) سورة آل عمران : ١٥٩ .

– صلى الله عليه وسلم – فى ذلك إن كان من الأمور السياسية التى للاجتهاد فيها مساغ ، أو لتبين لهم وجه ذلك إذا ذكر ، ويزدادوا علما وايمانا ، وينفتح لهم طريق التفقه فيه ".(١)

---

(١) الصارم المسلول ص١٩١ .

المبحث الثاني

في مجالسته - صلى الله عليه وسلم -

المبحث الثانى

فى مجالسته — صلى الله عليه وسلم —

ذكرنا فى المبحث الأول من هذا الفصل جانبا من جوانب الأدب العملى وهو طاعة الرسول — صلى الله عليه وسلم — واتباعه . وأمّا فى هذا المبحث فسوف نتناول جانبا آخر من جوانب الأدب العملى وهو الأدب المتعلق بمجالسة الرسول — صلى الله عليه وسلم — أو ما ينبغى للمسلم أن يفعل نحو مقام النبوة أثناء حضوره عنده — صلى الله عليه وسلم — سواء كان ذلك فى بيته أو فى الأماكن العامة مع أنّ بعض هذه الآداب لاتتأتى إلّا فى حال حياته — صلى الله عليه وسلم — مع أصحابه — رضوان الله عليهم — .

وننظر مجالسة النبى — صلى الله عليه وسلم — من زاويتين :

الزاوية الأولى : فى حال وجوده فى بيته مع نسائه .

الزاوية الثانية : فى حالة وجوده فى الأماكن العامة .

الزاوية الأولى : وهى حالة وجوده — صلى الله عليه وسلم — فى بيته مع نسائه :

فى هذه الحالة ينبغى أو يجب على المسلم تجاه مقام النبوة عدم إزعاجه سواء فى الحضور عنده بغير إذن أو الجلوس فى بيته فترة من الزمن والانشغال بالحديث بعد انتهاء الغرض الذى من أجله أذن له لما يترتب عليه من إيذاء النبى — صلى الله عليه وسلم — فى حين أنه لا يقدر أن ينبه على من تصدر عنه هذه الأفعال حياء منه كما تشير إليه الفقرة الأولى من آية الحجاب ، وهى قوله تعالى : (ياءيها

الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى إلّا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إنّ ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لايستحى من الحق ...﴾ (١).

من هذه الفقرة من الآية الكريمة يتبين لنا عدة أمور مرغوب عنها في المجتمع الإسلامى وخاصة فى بيوت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى : دخول البيوت بغير إذن والتطفل أو الضيفن وإنتظار نضج الطعام والمكث فى البيوت بعد إنتهاء الفرض الذى من أجله أذن لهم .

وهذه الأمور التى ذكرنا هى أمور ينبغى أن يطهر من المجتمع الإسلامى فى ذلك الحين وإلى الأبد لأنهما من الأمور المتبقية من العادات الجاهلية التى لاتتمشى مع روح الإسلام السامية .

قال إبن عطية فى تفسير هذه الآية :

" وكانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يبكر من شاء إلى الدعوة ينتظرون طبخ الطعام ونضجه وكذلك إذا فرغوا منه جلسوا كذلك ، فنهى الله المؤمنين عن ذلك في بيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودخل فى النهى سائر المؤمنين والتزم الناس أدب الله لهم فى ذلك فمنعهم من الدخول إلّا بإذن عند الأكل لا قبله لإنتظار الطعام " (٢).

وخلاصة القول : الآية تشير إلى أنّه يجب على المسلم أن لايتطفل

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ .

(٢) تفسير القرطبى : ١٤/ ٢٢٥ .

على النبى — صلى الله عليه وسلم — بحيث يحضر عند نضج الطعام فيشارك فيه لأنه ربما أعد الطعام لأناس معدودين وأنّ زيادة العدد قد تضر صاحب البيت وتحمله على تقديم شيء زائد ربما لاتكون في حوزته وأما إذا آذن للطعام فعلى المسلم أن لا يأتى قبل نضج الطعام بل فى وقت مناسب لأنّ أهل البيت مشغولون بإعداد الطعام وقد يحمل الحضور قبل نضج الطعام على الإسراع في إعداد الطعام كما هو المألوف ، وكذلك إذا حضر فى الوقت المناسب فعليه أن يخرج من البيت بعد الطعام لا أن يمكث فترة للحديث والاستئناس مع غيره لأنّ ذلك يؤدى إلى مضايقات لأهل البيت والاستماع إلى ما يجرى فى البيت من كلام أو إلى النظر إلى مالاينبغى أن ينظر قصدا أو بغير قصد ولاسيما إذا كان هناك منافقون .

وأمر واحد من هذه الأمور المذكورة مما يتأذى به صاحب كل بيت عادة فما بال إذا كانت مجتمعة مع أنّه لايقدر أن يفصح بها حياء منه كما فعل الرسول — صلى الله عليه وسلم — مع الرهط الذين تخلفوا فى البيت بعد الطعام عشية بنائه — صلى الله عليه وسلم — بزينب بنت جحش — رضى الله عنها كما يظهر من بعض الروايات الواردة فى سبب نزول هذه الآية .

عن أنس بن مالك — رضى الله عنه — قال :

أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب لما أهديت زينب إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كانت معه فى البيت ، صنع طعاما دعا إليه القوم فقعدوا يتحدثون فجعل النبى — صلى الله عليه وسلم — يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون ، فأنزل الله تعالى:

﴿ ياءيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى إلّا أن يوءذن لكم إلى طعام غيرناظرين إناه ... إلى قوله من وراء حجاب ... ﴾.(١)
فضرب الحجاب وقام القوم".(٢)

وفى رواية أخرى : " وكان النبى — صلى الله عليه وسلم — شديد الحياء ".(٣)

ومن هنا نقول : إنّ الله — سبحانه وتعالى — قد أعطى إهتماما كبيرا حال وجود النبى — صلى الله عليه وسلم — فى بيته مع نسائه ، أخذا من هذه الآية وغيرها من الآيات الأخرى التى جاءت لمناسبات شتى .

من ذلك قوله تعالى :

﴿ إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنّهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم ﴾.(٤)

وقد فصلنا القول فى ذلك عند الكلام عن ناداته — صلى الله عليه وسلم — فى الفصل السابق الذى عقدنا للأدب القولى ————

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ .

(٢،٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير : باب فى قوله تعالى :
﴿ لاتدخلوا بيوت النبى إلّا أن يوءذن لكم إلى طعام ﴾ ٣/١٧٦—١٧٧.

(٤) سورة الحجرات : ٤ — ٥ .

وإن كانت متصلة بالآداب المتعلقة ببيت النبى صلى الله عليه وسلم كما ورد بسبب نزولها إلا أننا تحدثنا هناك حسب ما يقتضى التقسيم المنهجى لأنها تتعلق بالآداب القولية وهنا الآداب العملية .

وعلى هذا فنكتفى بالإشارة إلى موضعها وإن كانت الآداب كلها مترابطة سواء كانت قلبية أو قولية أو عملية إلا أننا قسمناها إلى ذلك للتوضيح والدراسة .

وقبل أن أنتقل إلى الفقرة الأخيرة من الآية الكريمة والتى تتعلق بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لابد من الإشارة الى فقرة تتوسط بين الفقرة الأولى المتعلقة فى حياته صلى الله عليه وسلم والفقرة الأخيرة التى تتعلق بعد وفاته وهى الفقرة التى تشير إلى وجوب سؤال أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب أخذا من قوله تعالى :

﴿ .. وإذا سألتموهن متاعا فأسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن .... ﴾ لأن سؤلهن قد تكون فى حياته

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٣

ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تكون بعد وفاته وإن سوءالهن بعد وفاته أولى وخاصة فيما يتعلق بأمور الدين لأنّ جزءا كبيرا من الأحكام الشرعية قد وصلنا عن طريقهن .

وهذا الحكم وإن كان يعم النسوة كلهن لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا أن تخصيص الآية بنسائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ له مزيته بحيث يتأكد هذا الحكم فى جانبهن لارتباطهن بشخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خير خلق الله الذى يتأذى بذلك الفعل كما يدل عليه قوله تعالى بعد هذه الجزئية :

﴿ ... وما كان لكم أن توءذوا رسول الله ... ﴾ (١) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المزية لنساء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى آية أخرى وهى قوله تعالى :

﴿ يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ﴾ (٢) .

ونأتى إلى الفقرة الأخيرة من آية الحجاب :

بينما الفقرة الأولى من هذه الآية تتعلق ببيت النبى ونسائه وقت حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الفقرة الأخيرة أيضا تتعلق ببيت النبى ونسائه ولكن بعد وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحيث تنهى عن الموءمنين نهيا قاطعا عن الزواج بإحدى زوجاته بعده على التأبيد كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ ... ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٢ .

عند الله عظيما ﴾ (١)

وكيف يتزوج أحد من المسلمين احدى زوجات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن وصفهن الله تعالى بامهات المؤمنين بقوله تعالى :

﴿ النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ... ﴾ (٢)

يقول الدكتور حسن باجودة فى تأملاته :

" ومما أن حديث الآية الكريمة فى الجزئية السابقة قد صرّح بانه لايصح للمؤمنين أن يؤذوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيّا فانّ الجزئية الكريمة التالية تصرّح بأنّه لايصح أن يؤذوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ميتا عن طريق زواج إحدى زوجاته . فقد خص ربّ العزة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته الزوجية بالعديد من الخصائص التي من بينها هذه الخصيصة وهى انّه لايحل لأحد أن يتزوج إحدى زوجاته لأنهن أمهات المؤمنين كما صرحت بذلك هذه السورة . وكيف يتزوج المرء أمه . لأن منزلة الأمومة لهن ـ رضوان الله عليهن ـ أجمعين بالنسبة لرجال الأمة مستمرة إلى أن يلحقن كلهن بالرفيق الأعلى " . (٣)

وقد عد المفسرون هذه الآية من الآيات التى تتحدث عن تعظيم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيا وميتا .

يقول الزمخشرى فى تفسير هذه الآية :

" وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من أعلام تعظيم الله

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ .

(٢) سورة الأحزاب : ٦ .

(٣) تأملات فى سورة الأحزاب ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ مع التصرف .

لرسوله — صلى الله عليه وسلم — وايجاب حرمته حيّا وميتا ، وإعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث الرجل به نفسه ولا يخلى منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده"(١).

وهذه الآداب التى ذكرناها فى هذه الزاوية المتعلقة ببيت النبى — صلى الله عليه وسلم — وإن كانت وردت فى حقه — صلى الله عليه وسلم — وقت حياته — يلتزم المسلمون فيما بينهم أثناء حياته — صلى الله عليه وسلم — وبعد مماته لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلّا ما خص به — صلى الله عليه وسلم — من عدم الاقتران بإحدى زوجاته بعد وفاته — صلى الله عليه وسلم — مع أنّ هذا الحكم لا يمكن تطبيقه بعد لحوقهن بالرفيق الأعلى ، وأمّا وقت حياتهن فكان ملتزما به من قبل الموجودين وقتئذ .

---

(١) تفسير الكشاف : ٢٧٢/٣ .

الزاوية الثانية : فى حالة وجوده فى الأماكن العامة :

كانت الزاوية السابقة تتعلق بحالة وجوده — صلى الله عليه وسلم — مع نسائه فى بيته وما ينبغى للمسلم أن يتجنب عنه من إيذائه — صلى الله عليه وسلم — من دخول بيته بغير إذن أو عدم الإنصراف بعد إنتهاء الغرض الذى من أجله أذن له والأمور الأخرى التى فصلناها فأما فى هذه الزاوية ، فسوف نتحدث عن الأمور التى ينبغى للمسلم أن يراعى تجاه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى حالة وجوده فى الأماكن العامة وفى ملأ من الناس . وهذه الحالة العامة تتطلب عدم الخروج من مجلسه إلّا باذن بل البقاء معه إلّا لضرورة قصوى وخاصة إذا كان هناك أمر مهم يتطلب المشاورة ، والاستعانة بأهل الرأى مثل أوقات الحرب والشدة على عكس ما كان مطلوبا فى حالة وجوده مع نسائه فى بيته — صلى الله عليه وسلم — لأنه يقال لكل مقام مقال ولكل مقال مقام ، وهنا إختلفت المقالتان لاختلاف المقامين .

وقد ذكر الله — سبحانه وتعالى — مراعاة مقام النبوة فى حالة وجوده فى ملأ من الناس فى القرآن الكريم وشهد لمن يلتزم مراعاة ذلك الجانب الإيمان بالله ورسوله فى أسلوب حصر كأنهم هم المؤمنون وحدهم كما يشير إليه قوله تعالى :

﴿ إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إنّ الله غفور رحيم ﴾ (١) .

---

(١) سورة النور : ٦٢ .

ويتبين من نص الآية الكريمة الآداب التى ينبغى أن يراعى بها في مجلس رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الاستئذان إذا نوى أحد أن يخرج منه وإن كان ذلك خلاف الأولى لتذييل الآية بطلب الإستغفار من الرسول لمن يستأذن مع تفويض للرسول — صلى الله عليه وسلم — قبول الاستئذان وعدمه لمن يشاء تقديرا للموقف والملابسات المحيطة به .

يقول الشهيد سيد قطب — رحمه الله — فى تفسير هذه الآية :

" ومع هذا يشير إلى مغالبة الضرورة وعدم الانصراف هو الأولى وأنّ الإستئذان والذهاب فيهما تقصير أو قصور يقتضى إستغفار النبى — صلى الله عليه وسلم — للمعتذرين : (.. واستغفر لهم الله إنّ الله غفور رحيم ..) (١) .

وبذلك يقيد ضمير المؤمن فلا يستأذن وله مندوحة لقهر العذر الذى يدفع به الاستئذان " . (٢)

ويدخل تحت هذا المفهوم أى الاستئذان من الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالخروج من مجلسه وقت خطبته — صلى الله عليه وسلم — وإن كان هناك خلاف حول معنى الأمر الجامع فى الآية الكريمة ، هل هو فى الحرب خاصة أم يعم جميع الاجتماعات الأخرى كالجمعة والعيدين ؟

وقد ذهب الإمام ابن العربى إلى القول بأنّ الأمر الجامع

---

(١) سورة النور : ٦٢ .

(٢) فى ظلال القران : ٢٥٣٤/٤ .

مخصوص في الحرب مؤيدا ماذهب إليه بأدلة نوردها هنا :

يقول ابن العربي — رحمه الله — :

" وقد روى أشهب ويحيى بن بكير وعبد الله بن عبد الحكم عن مالك أنّ هذه الآية إنّما كانت في حرب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوم الخندق وكذلك قال محمد بن إسحاق .

والذي بيّن ذلك أنّ الآية مخصوص في الحرب أمران صحيحان :

أما أحدهما : فهو قوله تعالى في الآية الأخرى :

﴿ ... قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ... ﴾ (١)

وذلك أنّ المنافقين كانوا يتلوذون ويخرجون عن الجماعة ويتركون رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فأمر الله جميعهم بألّا يخرج أحد حتى يأذن له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبذلك يتبين إيمانه .

وأما الثاني : فهو قوله تعالى :

﴿ ... لم يذهبوا حتى يستأذنوه ... ﴾ . (٢) فأي إذن في الحدث والإمام يخطب . وليس للإمام خيار في منعه ولا إيقافه وقد قال :

﴿ ... فأذن لمن شئت منهم ... ﴾ . (٣)

فيبيّن ذلك أنّه مخصوص في الحرب التي يؤثر فيها التفرق ". (٤)

---

(١) سورة النور : ٦٣ .

(٢، ٣) سورة النور : ٦٢ .

(٤) أحكام القرآن : ٣/١٣٩٨ .

وهناك فريق آخر من العلماء الذين ذهبوا إلى أن الأمر الجامع يعم جميع الإجتماعات من حرب وصلاة جمعة وصلاة العيدين وغيرها من الأمور الأخرى التي تقتضي إجتماع المسلمين مع قائدهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

ومن هؤلاء الإمام ابن كثير — رحمه الله تعالى — حيث يقول في تفسير هذه الآية :

" وهذا أيضا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه ، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول كذلك أمرهم بالإستئذان عند الانصراف لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — من صلاة جمعة أو عيد جماعة أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك أمرهم الله أن لا يتفرقوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته ، وأن من يفعل ذلك، فانه من المؤمنين الكاملين ".(١)

ويقول الإمام القرطبي — رحمه الله — بعد إيراده قول الإمام ابن العربي :

" القول بالعموم أولى وأرفع وأحسن وأعلى ".(٢)

ومما يرجح القول الثاني وهو أن الأمر الجامع يعم كل الإجتماعات قوله تعالى :

﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾.(٣)

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣٠٦/٣ .

(٢) تفسير القرطبي : ٣٢١/١٢ .

(٣) سورة الجمعة : ١١ .

يظهر من سياق هذه الآية أن بعض الصحابة أو جلهم خرجوا من عند رسول الله وهو قائم يخطب لأمور دنيوية بحتة وهي التجارة بحيث آثروا التجارة القادمة إلى المدينة على استماع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولهذا انبههم الله — سبحانه وتعالى — على أن البقاء مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خير لهم بخلاف ما صدر عنهم الذي لا يليق لمقام النبوة .

يقول الشهيد سيد قطب — رحمه الله تعالى — :

" وتشير إلى حادث معين حيث كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يخطبهم في المسجد للجمعة حين حضرت قافلة من قوافلهم التجارية ، فلما أعلن نبأ قدومها حتى انفض المستمعون منصرفين إلى التجارة واللهو الذي كانت القافلة تحاط به على عادة الجاهلية ، من ضرب بالدفوف وحداء وهيصة وتركوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قائما فيما عدا اثنى عشر من الراسخين فيهم أبو بكر وعمر بقوا يستمعون كما تذكر الروايات " .(١)

والرواية التي تحدد العدد هي ما أخرجه البخاري — رحمه الله(٢) — عن جابر بن عبد الله — رضي الله عنهما — قال :

أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي — صلى الله عليه وسلم — فثار إلا اثنى عشر رجلا فأنزل الله : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها ... ﴾ .(٣)

---

(١) في ظلال القرآن : ٦/٣٥٦٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الجمعة ٣/٢٠٢ .

(٣) سورة الجمعة : ١١ .

وخلاصة القول أنّ الآيتين اللتين ذكرناهما فى هذه الزاوية ترشدان المسلمين إلى الآداب التى تجب على المسلم أن يتحلى بها فى مجلس رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سواء قلنا أنّ الأمر الجامع خاص بالحرب أو أنّه يعم كل الاجتماعات ، أو أنّ الآية الأولى تتعلق بالحرب بينما الآية الثانية تتعلق بالخطبة وما يجرى مجراها .

وهذه الآداب محلها فى حال حياته — صلى الله عليه وسلم — وأمّا بعد مماته فتنتقل إلى ما بعده من الخلفاء الراشدين ومن فى حكمهم .

يقول القرطبى — رحمه الله — :

" وظاهر الآية يقتضى أن يستأذن أمير الامرة الذى هو فى مقعد النبوة ، فانّه ربما كان له رأى فى حبس ذلك الرجل لأمر من أمور الدين ". (١)

---

(١) تفسير القرطبى :١٢ / ٣٢٠ .

الباب الثالث

البدع الملحقة بالأدب مع النبي
- صلى الله عليه وسلم -

الباب الثالث
البدع الملحقة بالأدب مع النبي
– صلى الله عليه وسلم –

غالى بعض الناس في حبّهم لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتعوّدوا القيام ببعض الأعمال التي لم يرد بها دليل شرعي ، كما استغل بعض المنافقين حب المسلمين لرسولهم وأدخلوا عليهم مالا يجوز ولا يصح اعتمادا على دليل واه ، أو تأويل غير صحيح .

ومن هنا ظهرت بدع في مجال التأدب مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يجب أن تعرف لتترك ويتخلص منها المؤمنون الصادقون .

وقد إتبعت في دراسة هذا الموضوع عرض الآراء الواردة في كل مسألة مع ذكر أدلتها ومناقشتها جلاء للحق وبيانا للصواب .

وقد قسّمتها إلى بدع ألحقت بمولده – صلى الله عليه وسلم – وأخرى ألحقت بزيارة مسجده – صلى الله عليه وسلم – وثالثة بزيارة قبره الشريف – صلى الله عليه وسلم – ، وتناولت هذه البدع بالدراسة بعد تعريف مفصل للبدعة لغة واصطلاحا ، .

ولذا جاء هذا الباب مشتملا على أربعة فصول هي :

الفصل الأول : تعريف البدعة لغة واصطلاحا .

الفصل الثاني : البدع الملحقة بمولده – صلى الله عليه وسلم – .

الفصل الثالث : " " بمسجده " " " " – .

الفصل الرابع : " " بزيارة قبره الشريف – صلى الله عليه وسلم – .

وذلك فيما يلي بنفس الترتيب .

الفصل الأول

تعريف البدعة لغــة وإصطلاحـا

الفصل الأول
تعريف البدعة لغة واصطلاحا

أولا : تعريف البدعة لغة :

يقول صاحب معجم مقاييس اللغة :(١)

"الباء والدال والعين أصلان أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال ، والآخر الانقطاع والكلال . فالأول قولهم : أبدعت الشيء قولا أو فعلا إذا إبتدأته لا عن مثال والله بديع السموات والأرض(٢) والعرب تقول : ابتدع فلان الركّي إذا استنبطه وفلان بدع في هذا الأمر . قال الله تعالى : ﴿ .. ماكنت بدعا من الرسل .. ﴾(٣) أي ماكنت أول"(٤).

ويقول صاحب مصباح المنير :(٥)

(أبدعت الشيء وأبدعته : استخرجته وأحدثته ومنه قيل للحالة المخالفة بدعة وهي اسم من الابتداع كالرفعة من الارتفاع ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة . . . وفلان بدع في الأمر أي هو أول من فعله . فيكون إسم فاعل بمعنى مبتدع والبديع فعيل من هذا فكأن معناه هو منفرد بذلك من بين نظائره ،وفيه معنى التعجب، ومنه قوله تعالى : ﴿ قل ماكنت بدعا من الرسل ... ﴾(٦) أي ماكنت أول

---

(١) تقدمت ترجمته في صفحة "٣" .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض .. ﴾ سورة البقرة : ١١٧ وسورة الأنعام : ١٠١ .

(٣) سورة الأحقاف : (٩) .

(٤) معجم مقاييس اللغة ١/٢٠٩ مادة (بدع) .

(٥) هو أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ أنظر ترجمته في بغية الوعاة ١/٣٨٩ .

(٦) سورة الأحقاف : ٩ .

منْ جاء بالوحي من عند الله تعالى وتشريع الشرائع بل أرسل الله تعالى الرسل قبلي مبشرين ومنذرين فأنا على هدا هم . [1]

ويقول إبن منظور :

" بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه : أنشأه وبدأه ويبدع الشيء الذي يكون أولا وفي التنزيل : ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل . . ﴾ [2] أي ماكنت أول من أرسل قد أرسل قبلي رسل كثير . .
وأبدعت الشيء : اخترعته لا على مثال والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه ايّاها وهو البديع الأول قبل كل شيء ومنه قوله تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض . . ﴾ [3] أي خالقها ومبدعها فهو -سبحانه - المخترع لها لا عن مثال سابق " . [4]

ونستنتج من هذه التعريفات اللغوية السابقة لكلمة البدعة ومشتقاتها أمرين اثنين :

أ) أنّ معناها يدور حول الإختراع والإحداث والإبتداء والإنشاء . وكلها معان متقاربة كما ترى .

ب) أنّ البدعة اللغوية تشمل المحدث المذموم والحسن لأن الأمر المخترع قد يترتب عليه مصلحة فيكون حسنا ، وقد يترتب عليه مفسدة فيكون مذموما .

---

(١) مصباح المنير : ١ / ٤٤ مادة (بدع) .
(٢) سورة الأحقاف : (٩) .
(٣) سورة البقرة : (١١٧) ، سورة الأنعام : (١٠١) .
(٤) لسان العرب : ٨/٦ مادة (بدع) .

ثانيا : تعريف البدعة في اصطلاح أهل الشرع :

اختلفت أنظار العلماء في تحديد معنى البدعة . فمنهم من حددها بـ" ما أحدث في الدين بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنهم من أطلقها على ما أحدث بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الدين وفي غيره من العادات .

ويمثل الفريق الأول ابن رجب الحنبلي(١) والشاطبي(٢) والحافظ ابن حجر العسقلاني وغيرهم . بينما يمثل الفريق الآخر العز بن عبد السلام(٣) والنووي وغيرهما .

وسوف أفصل تعريف كل فريق لنصل الى التعريف المختار .

تعريف البدعة عند الفريق الأول :

يقول ابن رجب الحنبلي في تعريف البدعة :

" والمراد بالبدعة : " ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، أمّا ماكان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة " .(٤)

وعرّف الشاطبي البدعة بتعريفين :

الأول : هو أنّ" البدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي .

(٢) هو إبراهيم بن موسى بن محمد فـ اللخمي الغرناطي أبو اسحاق الشهير بالشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ انظر ترجمته في الأعلام ٧١/١ .

(٣) هو عز الدين بن عبد السلام بن أبي القاسم شيخ الإسلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ بمصر انظر ترجمته في الاعلام ١٤٤/٤ .

(٤) جامع العلوم والحكم ـ ص ١٦٠ .

الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه [١] .

والثانى : هو أنّ " البدعة طريقة فى الدين تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالشرعية " [٢]

ويقول الحافظ ابن حجر في تعريف البدعة :

" ما أحدث وليس له أصل في الشرع يسمى فى عرف الشرع بدعة . وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة [٣] "

يظهر لنا مما تقدم أن تعريفات هذا الفريق تقيد البدعة بأمور ثلاثة :

أ) الإحداث في الدين بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ب) أن يقصد بها التقرب الى الله .

جـ) أن لا يدل عليها دليل شرعي .

وعلى هذا تكون البدعة اللغوية أعم لاشتمالها على ما أحدث في الدين وفى غيره بينما البدعة الشرعية لاتشمل إلا ما أحدث فى الدين على وجه التقرب إلى الله مع عدم وجود الدليل الشرعى . ومن ثم فلا تكون البدعة فى نظر هذا الفريق إلا مذمومة شرعا بخلاف البدعة اللغوية ولاتدخل فى العادات التى ليس لها شائبة التعبد .

يقول الشاطبي :

" ثبت فى الأصول الشرعية أنّه لابد في كل عادى من شائبة التعبد ، لأنّ مالم يعقل معناه على التفصيل من المأمور به أو المنهى عنه

(١ ، ٢) الاعتصام : ١/ ٣٧ .

(٣) فتح البارى : ١٣/ ٢٥٣ .

فهو المراد بالتعبدى ، وما عقل معناه وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادى ، فالطهارات والصلوات والصيام والحج كلها تعبدى ، والبيع والنكاح والشراء والطلاق والاجارات والجنايات كلها عادى ، لأن أحكامها معقولة المعنى ولابد فيها من التعبد ، إذ هى مقيدة بأمور شرعية لا خيرة للمكلف فيها . .

وإذا كان كذلك فقد ظهر اشتراك القسمين في معنى التعبد ، فإن جاء الابتداع فى الأمور العادية من ذلك الوجه صح دخوله فى العاديات كالعبادات وإلا فلا .(١)

ويقول ابن حجر العسقلانى :

"فالبدعة فى عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة ، فان كل شىء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محمودا أو مذموما وكذا القول فى المحدثة ، والأمر المحدث" .(٢)

تعريف البدعة عند الفريق الثاني :

يقول العز بن عبد السلام :

" البدعة : هى فعل مالم يعهد فى عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهى منقسمة الى بدعة واجبة ، وبدعة محرمة ، وبدعة مندوبة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مباحة . والطريقة فى معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة ، فإن دخلت فى قواعد الإيجاب فهى واجبة ، وإن دخلت فى قواعد التحريم فهى محرمة ، وإن دخلت فى قواعد المندوب فهى مندوبة ، وإن دخلت فى قواعد المباحات فهى مباحة (٣) ثم ضرب أمثلة لكل نوع منها وهى على النحو التالي :

---

(١) الاعتصام : ٢ / ٧٩٠ - ٨٠٠ .

(٢) فتح البارى : ١٣ / ٢٥٣ .

(٣) قواعد الأحكام فى مصالح الأنام : ٢ / ٢٠٤ .

والبدعة الواجبة مثل الاشتغال بالنحو ، والبدعة المحرمة مثل الاشتغال بمذهب القدرية والجبرية ، والبدعة المندوبة مثل جمع الناس فى صلاة التراويح ، والبدعة المكروهة مثل زخرفة المساجد ، والبدعة المباحة مثل المصافحة عقب الصبح والعصر . (١)

ويقول النووى - رحمه الله تعالى - :

" والبدعة بكسر الباء فى الشرع هى إحداث مالم يكن فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهى منقسمة إلى حسنة وقبيحة " . (٢)

وهذا الفريق يقيّد تعريف البدعة بقيد واحد وهو احداث مالم يكن فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولهذا فإن البدعة عندهم ليست مذمومة كلها ، بل منها ماهو واجب يلزم فعله ، ومنها ما هو حرام يلزم تركه ، وما هو وسط بين هذا وذاك . حيث إنها تخضع للأحكام الشرعية الخمسة من وجوب ، وحرام ، ومندوب ، ومكروه ، ومباح . ومندوب.

وعلى هذا فإنّ البدعة عندهم تساوى البدعة اللغوية لأنها تشمل الحدث المذموم والحسن بخلاف الفريق الأول الذى يرى انحصارها في الحدث المذموم ومن ثم فإن النسبة بين الفريقين عموم وخصوص مطلق .

أدلة الفريقين :

يستدل كلا الفريقين بأدلة تؤيد ما ذهب اليه ونذكر هنا طرفا من أدلة كلا الفريقين مع بيان وجهة الاستدلال لكل منهما .

---

(١) انظر المصدر السابق ٢/٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ٢/٢٢ .

أولا : أدلة الفريق الأول :

هذا الفريق يستدل بالنصوص التي يفيد منطوقها ذم البدعة على وجه العموم .

١ — من ذلك قوله — صلى الله عليه وسلم — :

(فإنّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) .(١)

ووجه الإستدلال بهذا الحديث هو :

أنّ قوله — صلى الله عليه وسلم — : (كل بدعة ضلالة) عام يفيد أنّ البدعة مذمومة كلها بغير إستثناء نوع منها ولم يرد ما يخصص ذلك العموم ، ولذلك فليس هناك بدعة حسنة بل كلها مذمومة شرعا .

٢ — ومن ذلك قوله — صلى الله عليه وسلم — :

(من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) .(٢) أى : مردود .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث هو :

أنّ الإحداث في الدين أمر مردود مهما كان ذلك الإحداث صغيرا أو كبيرا لأنّ الإحداث في الدين بدعة ، ومن ثم فلا يوجد بدعة حسنة .

٣ — ومن ذلك قوله — صلى الله عليه وسلم — :

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٢ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الأقضية ، باب رد الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ٣/١٣٤٢ .

((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة لولاة الأمر وان عبد حبشي فانّه من يعش منكم ير اختلافا كثيرا ، واياكم ومحدثات الأمور فانّها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)) (١)

ووجه الاستدلال بهذا الحديث هو أنّ الرسول — صلى الله عليه وسلم — قد حذر من المحدثات ووصفها بأنّها بدعة كما وصف البدعة بأنها ضلالة على وجه العموم ، وهذا يقتضي أنّه ليس هناك بدعة حسنة وأخرى قبيحة بل كلها قبيحة .

ثانيا : أدلة الفريق الثاني :

يستدل هذا الفريق بأدلة نوجزها فيما يلي :

١ — قول عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — في صلاة التراويح بعدما جمعهم على أبي بن كعب — رضي الله عنه — : " نعمت البدعة " (٢)

ووجه الاستدلال بهذا القول هو أن عمر — رضي الله عنه — قد سمى صلاة التراويح بدعة مع إقراره بل بأمره ذلك .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب العلم ، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ٤ / ١٥٠ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) والحديث كما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الرحمن قال : ((خرجت مع عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ليلة في رمضان الى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر نعمت البدعة هذه .)) صحيح البخاري ١ / ٣٤٢ ، كتاب التراويح ، باب فضل من قام رمضان .

وهذا يدل على أنه يقصد بها البدعة الحسنة لا القبيحة ومن ثمّ فان البدعة تنقسم إلى حسنة وقبيحة .

٢ — قوله — صلى الله عليه وسلم — :

((من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فيعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة وعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء)) (١) .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث هو أنه اذا أحدث أحد شيئا حسنا يثاب عليه وأنّه غير مذموم وكذلك العكس وبالتالي هناك اختراع حسن وأخرى غير حسن ومن ثم البدعة تنقسم إلى حسنة وقبيحة .

٣ — قول ابن مسعود — رضي الله عنه — :

" فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئا فهو عند الله سيء (٢) . "

ووجه الاستدلال بهذا الأثر هو أنّه ما فعل المسلمون واستحسنوه لا يكون مذموما بشرط أن لا يخالف الكتاب أو السنة أو الإجماع . وعلى هذا فلا يعتبر البدعة كلها قبيحة بل منها ما هو حسن ، .

وخلاصة القول : أنّ طريقة الفريق الأول مبنية على ثلاثة أمور :

١ — البدعة حقيقة فيما لم يفعل في الصدر الأول ولم يكن له أصل من أصول الشرع ومجاز في غير ذلك .

---

(١) صحيح مسلم كتاب العلم ، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٤/٢٠٥٩ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ١/٣٧٩ .

٢ — أنّ جميع ما ورد فى ذم البدع من نحو قوله — صلى الله عليه وسلم —: ((كل بدعة ضلالة))[١] باق على عمومه .

٣ — القول بأنّ البدع لاتدخل إلّا فى العاديات التى لابد فيها من التعبد .

وأمّا طريقة الفريق الثانى فهى مبنية على أمور ثلاثة أيضا :

١ — أنّ البدعة حقيقة فيما لم يفعل فى الصدر الأول كان له أصل من أصول الشرع أم لا .

٢ — أنّ جميع ما ورد فى البدع من نحو قوله — صلى الله عليه وسلم —: ((انّ كل بدعة ضلالة))[٢] عام مخصوص .

٣ — القول بأنّ جميع المخترعات من العاديات ولو لم يلحقها شائبة تعبد تلحق بالبدع وتصير كالعبادات المخترعة)[٣] .

مناقشة الأدلة والترجيح :

نبدأ بمناقشة أدلة الفريق الثانى ثم نتبعها بأدلة الفريق الأول :

أولا : استدلالهم بقول عمر — رضى الله عنه — : ((نعمت البدعة)) ، ليس بدليل لهم لعدة أمور :

١ — أن صلاة التراويح جماعة ليست بدعة شرعية بل صلاها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى حياته جماعة عدة ليالى ثم بعد

---

(١) ، (٢) صحيح مسلم — كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٣/٥٩٢ .

(٣) انظر تهذيب الفروق ٤/٢٢٩ .

ذلك تركها مخافة أن تفرض عليهم ثم لا يطيقوها . ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام البخاري عن عائشة — رضي الله عنها أنّها قالت :

" إنّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع أكثر منهم فخرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في الليلة الثانية فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فطفق رجال منهم يقولون : الصلاة فلم تخرج اليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ، ثم قال : (أما بعد فانّه لم يخف على مكانكم ولكنّي خشيت أن تفترض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها) [1] وفي رواية وذلك في رمضان .

وما دام الرسول — صلى الله عليه وسلم — ترك صلاة التراويح جماعة مخافة أن تفرض عليهم وقد زال ذلك الخوف بموته — صلى الله عليه وسلم — فلا مانع أن يرجع الأمر كله إلى ما كان عليه وهو أن يصلى بها جماعة .

٢ — أنّ صلاة التراويح جماعة تدخل في ضمن سنة الخلفاء الراشدين ، وبالتالي فهي سنة سنّها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — لقوله — صلى الله عليه وسلم — (... وإياكم ومحدثات الأمور ، فانها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ...) . [2]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب صلاة التراويح ، باب فضل من قام رمضان ١ / ٣٤٢ .

(٢) رواه الترمذي في سننه ، في كتاب العلم ، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ٤ / ١٥٠ .

٣ — إن عمر — رضى الله عنه — أمر ذلك بمرأى ومسمع من الصحابة — رضوان الله عليهم — ولم ينقل من عارض ذلك .

وعلى هذا فلا يكون قول عمر — رضى الله عنه — دليلا لهذا الفريق ولكن يبقى لماذا سمى عمر هذا الفعل بدعة ؟

وقد أوّل العلماء هذا القول بعدة تأويلات وأحسنها هو أن يقصد بها البدعة اللغوية لإشتمالها البدعة السيئة والبدعة الحسنة .

يقول إبن تيمية — رحمه الله — فى هذا المقام :

" ما سمى بدعة وثبت حسنه بأدلة الشرع فأحد الأمرين فيه لازم إمّا أن يقال ليس ببدعة فى الدين وإن كان يسمى بدعة فى اللغة كما قال عمر : نعمت البدعة ، وإمّا أن يقال هذا عام خصت منه هذه الصورة لمعارض راجح كما يبقى فيما عداها على مقتضى العموم كسائر عمومات الكتاب والسنة " .(١)

ويقول أيضا :

" أكثر ما فى هذا تسمية عمر تلك بدعة — أى صلاة التراويح جماعة — مع حسنها ، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية ، وذلك أنّ البدعة فى اللغة تعم كل ما فعل إبتداء من غير مثال سابق ، وأمّا البدعة الشرعية فكل مالم يدل عليه دليل شرعي ".(٢)

ثانيا : استدلالهم بقوله — صلى الله عليه وسلم — : (من سن فى الإسلام

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٣٧١ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٧٦ .

سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها . . .)(١)

ليس بدليل لهم لأن معناه هو من أحيا سنة من سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فله ثوابها وثواب من أتبعه بها كما يدل عليه سبب حديث جرير بن عبد الله حيث قال : " جاء ناس من الإعراب الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصرف(٢) فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس على الصدقة فأبطأوا عنه حتى رؤى ذلك فى وجهه قال : ثم إنّ رجلا من الأنصار جاء بصرة من ورق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور فى وجهه فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من سنّ فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شىء ، ومن سنّ فى الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شىء)(٣) .

وهذا يدل على أنّ الغرض من ذلك إحياء ما ثبت فى الإسلام ، وهنا الصدقة وليس ابتداع شىء لا أصل له فى الشريعة الإسلامية .

وهناك حديث آخر يفسر هذا الحديث مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - : (من أحيا سنّة من سنتى قد أميتت بعدى كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا)(٤) .

---

(١) ، (٣) صحيح مسلم - كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة - ٤/٢٠٥٩ .

(٢) الصرف بالكسر الخاص من كل شىء . انظر النهاية ٣/٢٤

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب العلم ، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ٤/١٥٠-١٥١ وقال : هذا حديث حسن .

ثالثا : وأمّا قول ابن مسعود — رضى الله عنه — : "فما رآى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن" (١) فهو أثر موقوف على ابن مسعود وليس بحجة ، وأما على فرض حجيته فليس المراد جنس المسلمين الصادق بالمجتهد وغيره لاقتضائه أن كل ما رآه أحاد المسلمين حسنا فهو حسن ، وكذلك العكس ، كما أنه يقتضى كون العمل الواحد حسنا عند بعض الناس يصح التقرب به إلى الله — تعالى — قبيحا عند البعض الآخر لايصح التقرب به إليه ، وهو باطل . (٢)

وعلى هذا يحمل معنى هذا الأثر على ما اجتمعت عليه الأمة لعصمتها من الإجماع على ضلال ، والإجماع حجة لاستناده إلى دليل شرعى ، وعلى هذا فلا يوجد دليل واحد يدل إلى ما ذهبوا اليه ، وأنّ الأمثلة التى ذكروها للبدعة الحسنة والقبيحة تدخل تحت ما يناسبها من القواعد الشرعية .

وأما أدلة الفريق الأول : فهى مقبولة ومسلمة من ناحية ثبوتها ومن ناحية الاستدلال معا ، وبالتالى فلا تحتاج إلى مناقشة .

وعلى هذا نرجّح ما ذهب إليه الفريق الأول وهو أنّ البدعة لاتكون إلّا مذمومة لعموم النصوص التى وردت فى ذم البدعة شرعا ولعدم وجود ما يخصص ذلك ، وبالتالى ليست مقسمة إلى حسنة وقبيحة .

يقول الإمام الشاطبى — رحمه الله — مؤيدا ذلك :

" إنّه قد ثبت فى الأصول العلمية أنّ كل قاعدة كلية أو دليل

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده ١/ ٣٧٩ .

(٢) الإبداع فى مضار الابتداع للشيخ على محفوظ ص١٢٨ .

شرعي كلي إذا تكررت في مواضع كثيرة وأتى بهما شواهد على معان أصولية أو فروعية ، ولم يقترن بها تقييد ولا تخصيص مع تكرارها ، وإعادة تقررها فذلك دليل على بقائها على مقتضى لفظها من العموم كقوله تعالى : ﴿ ألاّ تزر وازرة وزر أخرى وأنّ ليس للإنسان إلاّ ما سعى ﴾ وما أشبه ذلك ... فما نحن بصدده من هذا القبيل ، إذ جاء في الأحاديث المتعددة والمتكررة في أوقات شتى وبحسب الأحوال المختلفة أنّ كل بدعة ضلالة وأنّ كل محدثة بدعة وما كان نحو ذلك من العبارات الدالة على أنّ البدع مذمومة ولم يأت في آية ولا حديث تقييد ولا تخصيص ولا ما يفهم خلاف ظاهر الكلية فيها ، فدل ذلك دلالة واضحة على أنّها على عمومها وإجمالها ." (١)

وأمّا البدع المنقسمة إلى حسنة وقبيحة فهي البدعة اللغوية المتعلقة بالاختراعات وبأمور المعاش ووسائله ومقاصده (٢) ، فما كان ضارا فنترك، وما كان نافعا فنفعل ونستعمل .

وكل هذه أمور تدخل تحت ما فوّضه لنا الشارع بقوله ـ صلى الله عليه وسلم :

(أنتم أعلم بأمور دنياكم ...) (٣)

---

(١) الاعتصام ١٤١/١ ـ ١٤٢ .

(٢) انظر إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، لجمال الدين القاسمي ص ١٦ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ماقاله شرعا ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي ١٨٣٦/٤ .

هذا ما يتعلق بالبدعة الحقيقية وأما البدعة الإضافية فهي - كما ذكر الشاطبي - رحمه الله - التي لها شائبتان : احداهما لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة ، والأخرى ليس لها متعلق الا مثل ما للبدعة الحقيقة . فلما كان العمل الذي له شائبتان لم يتخلص لأحد الطرفين وضعنا له هذه التسمية "البدعة الإضافية" أي أنها بالنسبة إلى إحدى الجهتين سنة لأنها مستندة الى دليل ، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل أو غير مستنده إلى دليل .

والفرق بينهما من جهة المعنى ، أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم ، ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها مع أنها محتاجة إليه لأن الغالب وقوعها في التعبديات لا في العاديات المحضة .(١)

ومثال ذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عقب الآذان جهرا مع أن الشارع طلب منا ذلك سرا بقوله صلى الله عليه وسلم : (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا عليّ ، فان من صلّى عليّ صلى الله عليه بها عشرا ...)(٢)

والبدعة تدخل من جهة الكيفية لا من جهة أصل مشروعية ذلك ، ومن ثم تأخذ حكم البدعة الحقيقية بحسب قربها لها أو بعدها منها .

يقول الشاطبي - رحمه الله - :

" فقلما تختص أي البدعة الحقيقية - بحكم دون الإضافية بل هما معا يشتركان في أكثر الأحكام إلا أن الإضافية على ضربين :
أحدهما : يقرب من الحقيقة حتى تكاد البدعة تعد حقيقية .
والآخر : يبعد منها حتى يكاد يعد سنة محضة .(٣)

---
(١) أنظر : الإعتصام للشاطبي ١/٢٨٦ - ٢٨٧
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب إستحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله له الوسيلة ١/٢٨٨
(٣) انظر الاعتصام ١/٢٨٧ .

الفصل الثانى

البدعـــة الملحقة بمولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ

الفصل الثاني

البدع الملحقة بمولده – صلى الله عليه وسلم –

يقصد بالمولد تلك الاحتفالات التي تقام في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام ، وهو اليوم الذي ولد فيه المصطفى – صلى الله عليه وسلم – على أرجح الأقوال .

ولذا كان الاحتفال المذكور ، احياء لذكراه – عليه الصلاة والسلام وإظهارا للفرح بمولد نبي الثقلين كما يقول المحتفلون .

وفي ذلك اليوم يقرأ المحتفلون أورادا كثيرة ويتذاكرون سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما أنّهم يقومون بجانب ذلك بأعمالا كثيرة مثل الذبح واعداد الطعام للمجتمعين وللتوزيع على الفقراء حتى أصبح ذلك اليوم يوم أكل وشرب مثل يومي العيد – الفطر والأضحى . أو أكثر .

وقد يتوسع بعضهم في تلك الاحتفال حتى أنّه يقام من بداية شهر ربيع الأول ويستمر إلى اليوم الثاني عشر أو إلى نهاية الشهر أو يقام في كل يوم الاثنين أو يوم الجمعة من كل أسبوع .

يقول الشيخ على محفوظ :

" الموالد هي الإجتماعات التي تقام لتكريم الماضين من الأنبياء والأولياء والأصل فيها أن يتحرى الوقت الذي ولد فيه من يقصد بعمل المولد وقد يتوسع فيها حتى تتكرر في العام الواحد ". (١)

---

(١) الإبداع في مضار الابتداع : ص ٢٥٠ – ٢٥١ .

ونتحدث في هذا الفصل عن ذلك اليوم وما يفعل فيه من الأعمال مع عرض كافة الآراء بأدلتها ومناقشتها بموضوعية وحياد كاملين ليظهر الحق بدليله ويزهق الباطل بمزاعمه وأوهامه وليعيش الناس مع الإسلام عن بيّنة ووضوح .

وسوف يتكون هذا الفصل من مبحثين :

المبحث الأول : تحديد وقت الاحتفال بالمولد ونشأته .

المبحث الثاني : حكم الاحتفال بالمولد .

المبحث الأول

تحديد وقت الاحتفال بالمولد ونشأته

المبحث الأول
تحديد وقت الاحتفال بالمولد ونشأته

تحديد وقت الاحتفال بالمولد مرتبط بتحديد الوقت الذى ولد فيه المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنّ ذلك الاحتفال يقصد به إحياء ذكرى مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قلنا آنفا .

ومعنى ذلك أنّ ذلك الاحتفال يخضع للاختلاف الوارد فى تحديد وقت ولادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن الذى لا جدال فيه أنّه ولد فى يوم الاثنين للحديث الصحيح الذى ورد فى هذا الشأن وأمّا ما عدا ذلك فمختلف فيه .

أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبى قتادة الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل عن صوم الاثنين فقال : (فيه ولدت وفيه أنزل علىّ) .(١)

وقد ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ الخلاف الوارد فى ذلك فى كتابه السيرة النبوية قائلا :

" أنّ ذلك كان فى شهر ربيع الأول ، فقيل لليلتين خلتا منه . . . وقيل لثمان خلون منه . وقيل لعشر خلون منه . . وقيل لثنتى عشر خلت منه . . . "(٢)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة ، وعاشوراء والاثنين والخميس ٢ / ٨٢٠ .

(٢) السيرة النبوية ٦ / ١٩٩ .

ولأجل هذا الخلاف كان الملك المظفر صاحب إربل (١) يحتفل بالمولد الشريف مرة فى ثامن شهر ربيع الأول ومرة فى الثانى عشر منه (٢)، ولكن المشهور هو أنّه ولد فى يوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول وهو الراجح .

يقول ابن كثير بعد نقله هذا القول :

" وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم " . (٣)

وأمّا ما ذكر من أنّه ولد فى رمضان أو فى يوم الجمعة وفى غيرهما فغير صحيح كما ذكر الإمام ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ (٤).

وأمّا نشأة الاحتفال بالمولد الشريف فمختلف فيه أيضا بين العلماء ، فمنهم من يقول إنّ الاحتفال بدأ فى القاهرة أيام الدولة الفاطمية ، ومنهم من يقول إنّ ذلك قد أحدثه الملك مظفر صاحب إربل بإربل فى آخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع .

الأقوال التى تؤيد القول الأول :

يقول المقريزى :

" كان للخلفاء الفاطميين فى طول السنة أعياد ومواسم وهى : موسم رأس السنة ، وموسم أول العام ، ويوم عاشوراء ، ومولد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومولد على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ومولد الحسين

---

(١) هو الملك المظفر أبو سعيد كوكبورى بن زين الدين بن تبكتكين المتوفى سنة ٦٣٠ هـ . له ترجمة فى البداية والنهاية ١٣/١٣٦ .

(٢) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٤٣٧ .

(٣ ، ٤) السيرة النبوية ١/١٩٩ - ٢٠٠ .

ومولد الحسين ـ رضى الله عنهما ـ ومولد فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ ومولد الخليفة الحاضر ". (١)

ويقـــول القلقشندى عنــــــد كلامه من جلســـات الخلفاء الفاطميين :

" الجلوس الثالث جلوسه فى مولد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول وكان عادتهم فيه أن يعمل فى دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر الفائق حلوى من طرائف الأصناف وتعبأ ثلاثمائة صينية نحاس فإذا كان ليلة ذلك المولد تفرق فى أرباب الرسوم كقاضى القضاة وداعى الدعاة وقراءة الحضرة . . . ." (٢)

ويفهم من كلام المقريزى وكلام القلقشندى أنّ الفاطميين كانـــوا يعملون الإحتفال بالمولد النبوى وغير ذلك من الموالد وإن لم يصرحا بأنّهم أول من أحدث ذلك ولكن صرح فى ذلك حسن السندوبي فـــى كتابه تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى قائلا :

" لقد دلنى البحث والتنقيب والتحرى والاستقصاء على أنّ الفاطميين هم أول من ابتدع فكرة الاحتفال بذكرى المولد النبـــوى الشريف وجعلوه من الأعياد العامة فى كل أمة من الأمم الإسلاميــــة كما ابتدعوا غيره من الاحتفالات الدورية التى عدّت من مواسمها ، وكذلك صرفوا الكثير من إهتمامهم إلى إحياء ما يكون معروفا من المواســـم والأعياد قبل الإسلام ". (٣)

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ١ / ٤٩٠ . مع التصرف .

(٢) صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ١٣ / ٤٩٨ .

(٣) تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى ص ٦٢ وما بعدها .

ومعن ذهب الى القول الثاني السيوطي حيث يقول :

" أول من أحدث فعل ذلك - الاحتفال بالمولد - صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبورى بن زين الدين بن على بن بكتكين أحد ملوك الأمجاد والكبراء الأجواد وكان له آثار حسنة ". (١)

وتبعه فى ذلك محمد رشيد رضا صاحب المنار حيث يقول :

"إنّ الاحتفال بالمولد النبوى الشريف قد صار عادة عامة ، والمشهور أنّ المحدث لها هو أبو سعيد كوكبورى بن أبى الحسن على ابن بكتكين التركمانى الجنس الملقب بالملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل أحدثها فى أوائل القرن السابع أو أواخر القرن السادس فإن السلطان صلاح الدين ولّاه على إربل فى ذى الحجة سنة ٥٨٦ هـ وتوفى سنة ٦٣٠ هـ" (٢).

وهذان القولان هما المشهوران فى الموضوع الذى نحن بصدده ولم أقف على أقوال أخر تتعلق بهذا الموضوع .

وقد ذهب بعض العلماء الى التوفيق بين الرأيين :

يقول الشيخ على محفوظ :

" أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون فى القرن الرابع فابتدعوا ستة موالد : المولد النبوى ، ومولد الإمام على - رضى الله عنه - ومولد فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - ومولد الحسن والحسين - رضى الله عنهما - ومولد الخليفة الحاضر . وبقيت الموالد

---

(١) الحاوى للفتاوى ١/١٨٩ .

(٢) ذكرى المولد النبوى ص أ .

على رسومها الى أن أبطلها الأفضل أمير الجيوش ثم أعيدت في خلافة الآمر بأحكام الله في سنة أربع وعشرين وخمسمائة بعد ما كاد الناس ينسونها ، وأول من أحدث المولد النبوى بمدينة إربل الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع ، وقد استمر العمل بالمولد الى يومنا هذا وتوسع الناس فيها وابتدعوا بكل ما تهواه أنفسهم وتوحيه شياطين الإنس والجن ". (١)

وذهب إلى ذلك أيضا الدكتور عزت عطية حيث يقول :

" وأول من أحدثه بالقاهرة المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٦٢ هـ ودام الاحتفال به إلى أن أبطله أمير الجيوش بدر الدين الجمالي سنة ٤٨٨ هـ في عهد المستعلي بالله ، ولمّا ولي الخلافة الآمر بأحكام الله ابن المستعلي أعاد الاحتفال في سنة ٤٩٥ هـ وأول من أحدث هذا الاحتفال بإربل الملك المظفر أبو سعيد في القرن السادس أو السابع ". (٢)

ويفهم من كلامهما أنّ الابتداء نسبي بحيث أنّ الفاطميين هم أول من أحدث ذلك الاحتفال بالنسبة لمدينة القاهرة ، وأما بالنسبة لإربل فصاحب إربل الملك المظفر هو أول من أحدث فيها ولكن أرجح الأقوال هو الأول الذى يقول بأنّ الفاطميين هم الذين أحدثوا ذلك ولم يسبقهم أحد في ذلك بل انتشرت من عندهم إلى البلاد الإسلامية .

والذى يؤيد ذلك أنّ الدولة الفاطمية قد سقطت قبل وجود

---

(١) الإبداع في مضار الابتداع ص ٢٥١ .

(٢) البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها ص ٤٨١ .

الملك المظفر صاحب إربل وبالتحديد سنة ٥٦٧ هـ (١) وكذلك صاحب إربل نفسه لم يبتدع ذلك الاحتفال بالمولد بل اقتدى بالشيخ عمر الملا . (٢)

يقول أبو شامة :

" وكان أول من فعل ذلك ـ أى الاحتفال بالمولد ـ الشيخ عمر بن محمد الملا أحد الصالحين المشهورين وبه اقتدى فى ذلك صاحب اربل وغيره ـ رحمهم الله تعالى ـ . (٣)

وخلاصة القول أنّ الاحتفال بالمولد النبوى لم يكن معروفا فى القرون الثلاثة الأولى التى شهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأهلها بالخيرية بقوله :

(خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . . .) (٤)

وإنّما بدأ ذلك فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى على يد أحد ملوك الفاطميين وهو المعز لدين الله .

والغرض من ابتداع الاحتفال بالمولد النبوى هو جذب قلوب العامة إلى الدولة الفاطمية الجديدة فى مصر كما جزم غير واحد .

---

(١) انظر كتاب ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر للدكتور / عبد المنعم ماجد ص ٤٨٧ .

(٢) هو الشيخ عمر بن محمد الملا ـ له ترجمة فى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى ٨ / ٣١٠ .

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ١٦ .

(٤) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٤ / ١٩٦٣ .

يقول السندوبي :

" ولمّا استقر له الحكم - أي المعز لدين الله - أخذ يفكر في الوسائل الكفيلة باستمالة القلوب ، وامتلاك النفوس ، واستثارة العواطف حتى تألف الأمة المصرية تصرفات هذه الحكومة الجديدة وترضى عن سياستها في ادارة البلاد ، ولمّا كانت الميول العامة لطبقات الأمة المصرية متجهة إلى حب آل بيت الرسول مع الاعتدال في التشيع لهم ... رأى المعز لدين الله أنّ أقرب الأسباب للوصول إلى أغراضه من هذا الميل العام الالتجاء إلى الأمور التي تمت بصلة الى المظهر الديني ، فهداه تفكيره إلى أن يقرر اقامة مواسم حافلة وأعياد شاملة في مواعيد مقررة وكان من أولها وأجلّها وأفضلها الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف ."(١)

وبجانب هذه المناسبات والأعياد الدينية فقد كان الخلفاء الفاطميون يشتركون في الاحتفالات التي تقام للأعياد الأخرى مثل عيد الميلاد عند الأقباط في مصر وغيرها من الأعياد والمواسم للغرض نفسه حتى ينالوا رضاء أهل الملل المختلفة القاطنين في مصر .

يقول د . حسن إبراهيم حسن وصاحبه في كتابهما "المعز لدين الله":

" وكان الفاطميون يتخذون هذه الأعياد وسيلة لجذب الرعايا إليهم ، لذلك شارك المعز القبط في الاحتفال بعيد الميلاد وغيرها"(٢)

ومن هنا نقول إنّ إحداث الاحتفال بالمولد النبوي من قبل

---

(١) تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي ص ٦٣ .

(٢) المعز لدين الله - ص ٢٨٥ وما بعدها .

الخلفاء الفاطميين كان لغرض سياسي بحت دون النظر الى دوافع دينية أو اعتبارات أخرى بل الغرض الوحيد هو كسب احترام رعايا المسلمين فى مصر كما كانوا يعملون مع رعايا غير المسلمين هناك بحيث يشتركون معهم فى احتفالهم التى ليست لها صلة بالدين .

وهذه سمة عامة الخلفاء الفاطميين منذ أن نشأت دولتهم فى مصر عام ٣٥٧ هـ إلى أن سقطت فى سنة ٥٦٧ هـ وان كان فيهم من أبطل الاحتفال بالمولد النبوى وغيره من الموالد فترة مثل الأفضل أمير الجيوش فى سنة ٤٨٨ هـ ولكن أعيد الاحتفال فى عهد الآمر بأحكام الله فى سنة ٤٩٥ هـ وبعد ذلك استمر الى يومنا هذا . وقد أصبح ذلك اليوم فى بعض البلاد عيدا رسميا حيث تعطل المصالح الحكومية والشركات والموءسسات وتقفل المدارس وتقام حفلات هائلة وتعمل إنارة الطرقات وتزيينها .

والأغرب من ذلك كله أن بعض الحكومات التى تدور فى فلك المعسكر الشيوعى الملحد الذى لايعترف بوجود الله تجعل ذلك اليوم عيدا رسميا مثل الاعياد الوطنية فى عصرنا الحاضر لكسب تأييد رعاياها المسلمين فقط دون النظر الى دوافع دينية ـ لأنّ الدين عند هم أفيون الشعب ـ بناء على مبدئهم القائل : الغاية تبرر الوسيلة .

وعلى هذا فغرضهم يتفق مع غرض الدولة الفاطمية فى مصر التى أحدثت ذلك الاحتفال وان اختلفت الأزمنة وبعدت الأمكنة .

المبحث الثاني

حكم الاحتفال بالمولد النبوى

المبحث الثانى
حكم الاحتفال بالمولد النبوى

ذكرنا فى المبحث السابق أن الاحتفال بالمولد النبوى فى أقدم الأقوال قد بدأ فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى .
ومعنى ذلك أنّ الاحتفال بالمولد النبوى لم يكن معروفا فى القرون الفاضلة الثلاثة المشهود لأهلها بالخيرية .

ومع هذا فقد جوز بعض العلماء الاحتفال بالمولد النبوى ، بل ذهبوا إلى استحسان الشرع له مستدلين بأدلة نوردها قريبا ولكن هناك فريقا آخر من العلماء ذهبوا إلى عدم جوازه ورأوا أنّه بدعة محدثة يرفضها الشرع ويأباها ، ولهم على ذلك أدلة أخرى .

ومحل النزاع بين الفريقين هو إذا كان ذلك الاحتفال خاليا ممّا يصحبه عادة من المنكرات كاختلاط الرجال بالنساء وغيرها من الأمور المنهية عنها شرعا وأما إذا صحبته شيء من ذلك فهم مجمعون على عدم جوازه لتلك العلة عند الفريق الأول .

وأمّا عند الفريق الثانى ، فالعلة عندهم هى إحداثه وبدعيته حتى وإن خلا من المنهيات المصاحبة عادة . وبالتالى فمن باب أولى أن يقولوا بعدم جوازه إذا صاحبته الأمور المنهية عنها شرعا .

ونذكر هنا آراء كل من الفريقين مع الأدلة التى يستدلون بها ووجهة استدلالهم بها .

أولا : الفريق الأول :

هذا الفريق هو الذى ذهب إلى جواز الاحتفال بالمولد النبوى بل إلى استحسانه بشرط خلوه من المنكرات مثل الطرب والرقص واختلاط الرجال بالنساء .

ومن علماء هذا الفريق ابن ناصر الدين الدمشقي (١) وابن الجزري (٢) وابن حجر العسقلاني والسيوطي وغيرهم

وقد استدل كل منهم بما رأى من دليل ومن أهمها :

١ - رأى ابن ناصر الدين :

يقول ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه " مورد الصادي في مولد الهادي :

" ثويبة أول من أرضعت النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد أمه وهي مولاة أبي لهب عمه أعتقها سرورا بميلاد خير الثقلين فلهذا صح أنّه يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين - ثم أنشد :

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه
وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائما
يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره
بأحمد مسرورا ومات موحدا (٣)

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن عبد الله القيسي الدمشقي شمس الدين الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢هـ انظر ترجمته في لحظ الألحاظ لتقي الدين محمد ابن فهد المكي ص٣١٧ .

(٢) هو محمد بن محمد بن علي أبو الخير شمس الدين الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ . انظر ترجمته في مفتاح السعادة لأحمد مصطفى طاش كبرى زاده ٢/٥٥ .

(٣) مورد الصادي في مولد الهادي - ورقة ١٤ .

٢ – رأى ابن الجزرى :

يقول ابن الجزرى فى هذا المقام :

(وقد روى أنّ أبا لهب بعد موته روئى فى النوم فقيل له : ماحالك ؟ فقال : فى النار إلاّ أنّه يخفف عنّى كل ليلة إثنين وأمص من بين أصبعى ماء بقدر هذا ، وأشار إلى ثغرة إبهامه وأنّ ذلك باعتاقى ثوبية عند ما بشرتنى بولادة محمد – صلى الله عليه وسلم – وبإرضاعها له ، ثم قال : إذا كان أبو لهب الكافر الذى نزل القرآن بذمه جوزى فى النار بفرحه ليلة مولد النبى – صلى الله عليه وسلم – فما بال المسلم الموحد من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم يسر بمولده ويبذل ما تتصل إليه قدرته فى محبته – صلى الله عليه وسلم – لعمرى إنّما جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم) .

ويلاحظ أن إبن ناصر الدين وابن الجزرى إستدلا بدليل واحد وهو ماروى أن أبا لهب رؤى فى النوم بعد موته وذكر بعد سوء الحاله أنّه يخفف عنه العذاب فى كل يوم الاثنين لاعتاقه ثويبة بعد ما بشرته بميلاد النبى – صلى الله عليه وسلم – سرورا بذلك ومن ثم يجعلون ذلك دليلا على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوى لأنّ الكافر وهو أبو لهب يثاب على سروره بمولد المصطفى – صلى الله عليه وسلم – حيث يخفف عنه العذاب فى كل يوم الاثنين ، فمن باب أولى أن يثاب المسلم إذا احتفل بالمولد النبوى والثواب لا يكون إلاّ على عمل مشروع فدلّ ذلك أن الاحتفال بالمولد

---

(١) عرف التعريف بالمولد الشريف ورقة ١٤٣ .

النبوى عمل مشروع في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام.

٣ - رأى ابن حجر العسقلاني :

يقول ابن حجر العسقلاني :

(أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ، ولكنها مع ذلك اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا ، قال : وقد ظهر لى تخريجها على أصل ثابت وهو ماثبت في الصحيحين من أنّ النبى - صلى الله عليه وسلم - قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا : هذا يوم أغرق الله فرعون ونجّى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى ، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ، ويعاد ذلك في نظير اليوم من كل سنة والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وأى نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبى نبى الرحمة فى ذلك اليوم وعلى هذا فينبغى أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى فى يوم عاشوراء ، ومن لم يلاحظ ذلك لايبالى بعمل المولد فى أى يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى أى يوم من السنة وفيه مافيه ، فهذا مايتعلق بأصل عمله) (١).

ووجه استدلال الحافظ بهذا الحديث أنّ النعمة تقابل بالشكر ، فكما تقابل يوم نجاة موسى - عليه السلام - بالصوم فلا مانع من أن نقابل يوم مولد النبى - صلى الله عليه وسلم - بلون من ألوان العبادة كالسجود والصدقة والتلاوة وهكذا .

---

(١) الحاوى للفتاوى للسيوطى ١/١٩٦ .

٤ - رأى السيوطى :

ينقل السيوطى رأى ابن حجر مع دليله ثم يقول :

(وقد ظهر لى تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس - رضى الله عنه - ((أنّ النبى - صلى الله عليه وسلم - عق عن نفسه بعد النبوة))(١) مع أنّه قد ورد أن جدّه عبد المطلب عق عنه فى سابع ولادته والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذى فعله النبى - صلى الله عليه وسلم - إظهار للشكر على ايجاد الله اياه رحمة للعالمين ، وتشريع لأمته كما كان يصلى على نفسه . لذلك فيستحب لنا أيضا إظهارا للشكر بمولده بالإجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات) .(٢)

وتوجيه هذا الدليل يقوم على أن الشكر على النعمة يجوز تكراره ، فكما كرر النبى - صلى الله عليه وسلم - العقيقة عن نفسه يجوز أن يكرر المسلمون الاحتفال بمولده - صلى الله عليه وسلم - شكرا لله على مولد رسولهم الكريم .

ونضيف إلى هذا دليلا آخر استدل به بعضهم وهو ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي قتادة الأنصارى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن صوم يوم الاثنين فقال : ((فيه ولدت وفيه أنزل علىّ)) .(٣)

---

(١) السنن الكبرى : ٩ / ٣٠٠ .

(٢) الحاوى للفتاوى : ١ / ١٩٦ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس ٢ / ٨٢٠ .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث هو مادام أنّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد خصّص عبادة فى هذا اليوم شكرا لله على نعمة ايجاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكذلك يجوز لنا أن نحتفل فى هذا اليوم اظهارا للسرور بميلاد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشكرا لله على هذه النعمة لأنّه كما قابل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه النعمة بالصوم فلا مانع أن نقابل هذه النعمة بألوان من العبادة كالصدقة والتلاوة وغيرها .

والآراء المذكورة تمثل رأى فريق واسع ، إلاّ أنّى اكتفيت بما ذكرت لأنّه يصور واقع هذا الفريق قديما وحديثا ـ وكلهم يعتمدون على هذه الأدلة أو بعضها .

ومجمل الآراء يقوم على أنّ الاحتفال بالمولد النبوى فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول من كل عام عمل مشروع .

وقبل أن نتكلم عن أدلة هذا الفريق من ناحية صحتها أوضعفها ، ومقدار قربها أو بعدها عما سيقت له نذكر رأى الفريق الثانى والأدلة التى يستدل بها من جانبه .

ثانيا :الفريق الثاني :

ذهب هذا الفريق إلى عدم جواز الاحتفال بالمولد النبوي سواء صاحبته المنكرات أم لا .

وجمهور العلماء على هذا الرأي ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن الحاج (١) والفاكهاني (٢) ، ومن أهم آرائهم وأدلتهم مايلي :

١ — رأي شيخ الإسلام ابن تيمية :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المقام :

(مايحدثه بعض الناس من اتخاذ مولد النبي — صلى الله عليه وسلم — عيدا إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى — عليه السلام — وإما محبة للنبي — صلى الله عليه وسلم — وتعظيما بدعة لأنّ هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له ، وعدم المانع منه ، ولو كان هذا خيرا محضا ، أو راجحا ، لكان السلف — رضي الله عنهم — أحق به منّا ، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتعظيما له منّا ، وهم على الخير أحرص ، وإنما كمال متابعته وطاعته ، واتباع أمره ، واحياء سنته باطنا وظاهرا ، ونشر ما بعث به ، والجهاد على ذلك ، بالقلب واليد واللسان ، فإن هذه طريق السابقين الأولين من المهاجرين

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد العبدري المعروف بابن الحاج المتوفى سنة ٦٤١ هـ أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٧ / ١١٠ .

(٢) هو عمر بن أبي اليمن بن سالم اللخمي المالكي الشهير بتاج الدين الفاكهاني المتوفى سنة ٧٣٤ هـ .
انظر ترجمته في الديباج المذهب لابن فرحون ٢ / ٨٠ - ٨٢ .

والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان) .(١)

وملخص هذا الرأى أنّ الاحتفال بالمولد أمر غير مشروع ومن ثم فهو بدعة لأنّ السلف الصالح لم يحتفلوا به مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه حيث كانت الفطرة سليمة ، والحرص على التدين أصيل،ولا يسعنا إلا ما وسعهم ، وعلينا أن نتبع لا أن نبتدع . ولله در القائل :

لن يصلح هذه الأمة الاّ ما صلح به أولها .

٢ - رأى ابن الحاج :

يقول ابن الحاج بعد أن تكلم عن المفاسد المصاحبة للاحتفال بالمولد كالطرب وغيرها :

(وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع فان خلا منه وعمل طعاما فقط ونوى به المولد ودعا إليه الأخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط ، إذ أنّ ذلك زيادة فى الدين وليس من عمل السلف الماضيين ، واتباع السلف أولى بل أوجب من أن يزيد من مخالفة ما كانوا عليه ، لأنّهم أشد الناس اتباعا لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتعظيما له ولسنته - صلى الله عليه وسلم - ولهم قدم السبق فى المبادرة إلى ذلك ، ولم ينقل عن أحد منهم أنّه نوى المولد ، ونحن لهم تبع فيسعنا ما وسعهم) .(٢)

وهذا الرأى يقوم على ماقام به رأى ابن تيمية تماما ، وهو بدعية الاحتفال بالمولد لأنّ السلف لم يحتفلوا به ولا يسعنا إلاّ ما وسعهم .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم : ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٢) المدخل ٢ / ١٠ .

٣ - رأي الفاكهاني :

يقول الفاكهاني - رحمه الله - :

(لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين ، بل هو بدعة أحدثها البطالون وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون بدليل إنا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا إمّا أن يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا أو مكروها أو محرما ، وليس بواجب إجماعا ولا مندوبا لأنّ حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه ، وهذا لم يأذن به الشرع ولا يفعله الصحابة والتابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت ، وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت ، ولا جائزا أن يكون مباحا ، لأنّ الابتداع في الدين ليس مباحا بإجماع المسلمين ، فلم يبق إلاّ أن يكون مكروها أو محرما) .(١)

وملخص هذا الرأي يقوم على أنّ الاحتفال بالمولد قد أحدثه البطالون والأكالون ومن ثم فهو بدعة لعدم ورود ما يدل على مشروعيته من كتاب ولا سنة صحيحة . ولهذا لا يكون واجبا ولا مندوبا ولا مباحا وانما يكون حكمه إمّا مكروها أو حراما .

هذه مجمل ماقيل في هذا الموضوع وهو الاحتفال بالمولد النبوي ، وكما نرى أنّ كل فريق من الفريقين يستدل بأدلة تؤيد رأيه .

وقبل أن نصل إلى حكم الاحتفال بالمولد ، لابد من مناقشة الأدلة والنظر فيها لنرى مدى صحتها أو ضعفها ومدى قربها أو بعدها لما استدل بها له .

---

(١) الحاوي للفتاوى : ١/١٩٠ — ١٩١ .

مناقشة الأدلة :

ونبدأ بأدلة الفريق الأول :

١ ـ استدلالهم بأن أبا لهب قد روئ في النوم وأخباره بأنّه يخفف عنه العذاب في كل يوم الاثنين جزاء اعتاقه ثويبة عندما بشرته بميلاد المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسروره بذلك .

قبل أن نرفض الاستدلال بمثل هذا النص الوارد عن روئ منامية نذكر سند الحديث ومتنه لأنّه خير ما يساعدنا في الرفض .

قال البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ :

(حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب، عن الزهري ، قال أخبرني عروة بن الزبير قال :

((وثويبة مولاة لأبي لهب كان أبو لهب اعتقها فارضعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلمّا مات أبو لهب اريه بعض أهله بشر حيبة.(١) قال : ماذا لقيت ؟ قال ابو لهب : لم ألق بعدكم غير أنّي سقيت في هذه بعتاقي ثويبة))(٢)

وهذا الحديث لم يسلم عن مقال لا من ناحية السند ولا من ناحية المتن والاستشهاد به مردود لعدة أسباب :

أ) امّا من ناحية السند فهو حديث مرسل أرسله عروة كما هو واضح .

---

(١) أي بشر حال ، والحيبة والحوبة : الهم والحزن ، والحيبة أيضا الحاجة والمسكنة ، النهاية في غريب الحديث ١ / ٤٦٦ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب (* وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم *) يحرم من الرضاعة ماحرم من النسب ٣ / ٢٤٣ .

ب) وأمّا من ناحية المتن فهو مخالف لما دلّ عليه القرآن حيث يقول الله تعالى :

﴿ وقدّمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ (١)

وقد ذكر علماء التفسير في معنى الآية أنّ الكافر إذا فعل عمل خير لا يثاب عليه لفقده الإيمان الذي هو أساس قبول الأعمال كلها ومن ثم عمله يكون كالهباء المنثور . (٢)

ولذلك بانت معارضة الحديث للآية .

وأخيرا فانّ مثل هذا النص مع فرض صحته ومع تصوّر عدم معارضته للقرآن الكريم لا يفيد حكما شرعيا لأنّه تصوير لرؤيا منامية رآها كافر وهو العباس بن عبد المطلب الذي لم يسلم بعد وقت الرؤيا ، ورؤيا الناس عموما - ماعدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - لا تفيد حكما شرعيا ، ومن باب أولى إذا كانت رؤية الكفار .

وأمّا ما ثبت (٣) في حق أبي طالب عم النبي - صلى الله عليه وسلم - من تخفيف العذاب عنه في النار مع كفره وبقائه في الشرك حتى فارق الحياة

---

(١) سورة الفرقان : (٢٣) .

(٢) انظر تفسير القرطبي : ١٣ / ٢١ - ٢٢ .

(٣) إشارة الى الحديث الذي أخرجه الامام مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنّه قال : يارسول الله ، هل نفعت أبا طالب بشيء فانه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : ((نعم في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)) .
انظر صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه ١ / ١٩٥ .

فمخصوص ولا يتعدى إلى غيره .

وهذا الحديث لا يصح للأمور التي ذكرناها ، ومن ثم لا تقوم بـــه الحجـــة .

وإذا كان كذلك فلننظر الأدلة الأخرى التي يستدلون بهـــا :

٢ - استدلالهم بالحديث المتعلق بصيام يوم عاشوراء على جواز الاحتفال بالمولد قياسا على ذلك . لعلة حصول النعمة فيهما فمردود لأن إظهار الشكر فيهما على طرفي نقيض ، وذلك أنّ يوم عاشوراء يـوم صوم ، وأنّ الاحتفال بالمولد يوم أكل وشرب ، ولو عمل في يـــوم المولد من جنس ما يعمل في يوم عاشوراء وهو الصيام لكان أقـــرب وإن كان هذا لا يخرجه عن البدعة لعدم مشروعيته في ذلك اليـــوم الموافق الثاني عشر من ربيع الأول ، ولأنّ مثل هذه الأعمال التـي يتقرب بها إلى الله لا تثبت بالقياس كما يقال : أنّ الأصـــل فـي العبادات أن لا يشرع منها إلاّ ما شرعه الله وأن الأصل في العادات أن لا يحظر منها إلاّ ما حظره الله .

ولهذا لا يمكن الاستدلال بهذا الحديث مع ثبوته لعدم مطابقتـه هذا المقام الذي نحن بصدده .

٣ - استدلالهم بالحديث الذي أخرجه البيهقي عن أنس - رضي اللـه عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد عق عن نفسه بعد النبـــوة فهو حديث لا يستدل به ، وسند الحديث ونصّه هو الآتي :

قال البيهقي - رحمه الله :

(أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي - رحمه الله أنبأنا حاجب بن أحمد بن سفيان الطوسي ، ثنا محمد بن حماد الابيردي

ثنا عبد الرزاق ،أنبأنا عبد الله بن محرر ،عن قتادة ،عن أنس - رضي الله عنه - : ((أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قد عقّ عن نفسه بعد النبوة)) .(١)

ففي اسناد هذا الحديث رجل قد جرحه غير واحد من النقاد وهو عبد الله بن محرر .

ونذكر هنا أقوال العلماء فيه :

يقول البخاري :

(عبد الله بن المحرر عن قتادة ،متروك الحديث)(٢) ، وهنا عن قتادة .

يقول النسائي :

(عبد الله بن محرر يروى عن قتادة متروك الحديث) .(٣)

ويقول ابن أبي حاتم عن أبيه :

(عبد الله بن محرر متروك) .(٤)

ويقول ابن حبان :

(كان من خيار عباد الله ،ممن يكذب ولا يعلم ويقلب الإسناد ولا يفهم) .(٥)

---

(١) السنن الكبرى : ٥ / ٣٠٠ .

(٢) الضعفاء الصغير : ص ٦٧ .

(٣) الضعفاء والمتروكين : ص ٦٣ .

(٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم .

(٥) المجروحين : ٢ / ٢٣ .

ويقول البيهقى عن عبد الرزاق [١] قال :

(إنّما تركوا عبد الله بن محرر لأجل هذا الحديث) . [٢]

من هذه الأقوال التى أوردتها يتبين لنا أنّ هذا الحديث لا يصح سنده لوجود راو متروك فى سنده ومن ثم لا يمكن الاستدلال به فى هذا المقام .

هذا من ناحية السند ، وأمّا من ناحية المتن فلا يمكن أن يستدل به أيضا لما نحن بصدده وهو الاحتفال بالمولد وإنّما غاية ما يستدل به عليه مشروعية العقيقة بعد البلوغ ان فرضنا صحته ، وهيهات أن يصح .

٤ - استدلالهم بصيامه - صلى الله عليه وسلم - فى كل يوم الاثنين معللا بأنّه اليوم الذى ولد فيه واليوم الذى أنزل عليه فمردود لأنّ صيامه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول من كل عام وإنما كان فى كل يوم الاثنين من كل أسبوع وفى كل شهر من شهور السنة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فعلينا أن نشكر الله بمثل ما شكره به صلى الله عليه وسلم - وهو الصيام مع مراعاة الوقت الذى شرع فيه لا أن نحتفل ونأكل ونشرب .

من هذه المناقشة يتبيّن لنا أنّ ما ذهب إليه الفريق وهو جواز الاحتفال بالمولد النبوى واستحبابه غير صحيح ، لاستدلالهم بأدلة بعضها واه وبعضها غير مطابق لما استدل به عليه كما ذكرنا وإن كانت ثابتة

---

(١) هو عبد الرزاق بن همام الصنعانى صاحب المصنف .

(٢) السنن الكبرى : ٩ / ٣٠٠ .

وأمّا أدلة الفريق الثاني :

فيدور استدلالهم على ضرورة الاتباع لما كان عليه السلف الصالح فهم خير من نقل دين الله إلينا كما أخذوه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانّه لم ينقل أحد منهم جواز الاحتفال بالمولد النبوي ولا خطر في بالهم يوما ما مع حبّهم وإحترامهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل نقل عنهم الاختلاف في وقت ولادته ،

وهذا يدل على أنّ السلف الصالح كانوا لا يرون تخصيص يوم ولادته بعبادة معينة أو إقامة إحتفال .

وعلى هذا فإنّ الاحتفال بالمولد يدخل في ضمن البدع المنهي عنها في كثير من الأحاديث .

منها قوله - صلى الله عليه وسلم - :

((. . وإيّاكم ومحدثات الأمور فانّها ضلالة . .)) .(١)

ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - :

((فانّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)) .(٢)

ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - :

((من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد)) .(٣)

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، أبواب العلم ، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ٤ / ١٥٠ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢ / ٥٩٢ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة . ومحدثات الأمور ٣ / ١٣٤٣ .

وأمّا أدلة الفريق الثاني :

فيدور استدلالهم على ضرورة الاتباع لما كان عليه السلف الصالح فهم خير من نقل دين الله إلينا كما أخذوه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانّه لم ينقل أحد منهم جواز الاحتفال بالمولد النبوي ولا خطر في بالهم يوما ما مع حبّهم واحترامهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل نقل عنهم الاختلاف في وقت ولادته ،

وهذا يدل على أنّ السلف الصالح كانوا لايرون تخصيص يوم ولادته بعبادة معينة أو إقامة إحتفال .

وعلى هذا فإنّ الاحتفال بالمولد يدخل في ضمن البدع المنهي عنها في كثير من الأحاديث .

منها قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((. . وإيّاكم ومحدثات الأمور فانّها ضلالة . .)) . (١)

ومنها قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((فانّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)) . (٢)

ومنها قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد)) . (٣)

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، أبواب العلم ، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ٤ / ١٥٠ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢ / ٥٩٢ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة . ومحدثات الأمور ٣ / ١٣٤٣ .

ومن هنا نقول إنّ رأى الفريق الثانى هو الراجح لأنّه مبنى على الاتباع وترك الابتداع .

ولا يفهم من هذا أنّ ترك الاحتفال بالمولد النبوى جفوة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإهمال لحبه كما يقول الجهال لأنّ الاتباع الدقيق هو الحب الحقيقى ويكون مستمرا طول الحياة فى كل يوم وليلة ولا يختص بيوم من السنة دون غيره من الأيام كما يفعله المحتفلون المبتدعون . وبالإضافة إلى ذلك فإن الابتداع يعتبر زيادة فى الدين خارجة عنه بعد أن أكمله الله تعالى بنزوله على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

يقول الله تعالى :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا . . ﴾ (١) وبالتالى يقف المبتدع موقف المستدرك على الشارع سبحانه وتعالى وعلى صاحب الرسالة ـ صلى الله عليه وسلم ـ المبلغ عن الله ـ عز وجل ـ .

وهذا سوء الأدب بعينه مع الله ومع رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن لم يقصد بذلك وحسنت نيته لأنّ حسن النية لا يحلل حراما ولا يحرم حلالا كما أنها لا تكون مبررا الزيادة فى دين الله أو النقصان منه لأنّ المرجع فى كل ما يتعلق بأمر الدين هو كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وعلى المسلم أن يراعى ذلك الجانب حتى لا يقع فى منزلق لا يحمد عقباه وأن ينظر ما يتقرب به إلى الله قبل أن يقدم عليه فيعرف سنده من الكتاب والسنة عملا بقوله تعالى :

﴿ ياءيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله . . ﴾ . (٢)

---

(١) سورة المائدة : ٣ .

(٢) سورة الحجرات : ١ .

الفصل الثالث

البدع الملحقة بمسجده

- صلى الله عليه وسلم -

الفصل الثالث
البدع الملحقة بمسجده
- صلى الله عليه وسلم -

من المعلوم أنّ المسجد النبوى الشريف ، هو أول مسجد بناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى المدينة بعد وصوله إياها مهاجرا وله فضائل كثيرة يشترك فيها معه المسجد الحرام والمسجد الأقصى وأخرى خاصة به ، ولكنّ الناس إبتدعوا أمورا يفعلونها فى المسجد النبوى تقربا إلى الله - تعالى - فى ظنهم وتأدبا مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما يزعمون بناء على أدلة واهية لا تثبت بمثلها الأحكام أو على استحسان منهم دون الرجوع إلى أدلة الشرع من الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

وكثير من هذه المبتدعات من وضع أعداء الإسلام الذين يقصدون تشويه الحق ، وصرف المسلمين عن التدين الصادق الذى يجعل التوجه كله لله عبودية واستقامة . وبذلك يتوصلون إلى صرف الناس إلى الانغماس فى اللهو والبدع بلا فائدة .

وبجانب فعلهم هذه المنكرات فى المسجد النبوى الشريف فان المبتدعين يرمون من ينهاهم عن هذه الأفعال بأنّه لا يحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك لقيامه بواجبه الذى كلف به من قبل الله - سبحانه وتعالى - وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصح الذى هو لله ولرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وهذا ما سوف نبينه فى هذا الفصل الذى يتكون من مبحثين :

المبحث الأول : فضائل المسجد النبوى .

المبحث الثانى : مايفعله الجهّال من البدع فى مسجده - صلى الله عليه وسلم .

وذلك فيما يلى :

المبحث الأول
فضائل المسجد النبوى

للمسجد النبوى الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فضائل كثيرة منها مايشترك فيها مع المسجد الحرام بمكة والمسجد الأقصى ، ومنها ما هو خاص به .

أمّا الفضائل المشتركة : فمنها مشروعية شد الرحال إليه لما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومسجد الأقصى) .(١)

وهذه فضيلة مشتركة بين المساجد الثلاثة كما يفيد منطوق الحديث ولا تتعدى هذه الفضيلة إلى غير هذه الثلاثة المنصوصة فى الحديث كما جزم بذلك العلماء .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره هذا الحديث :

" فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف من الأعمال الصالحة ، وما سوى هذه المساجد لايشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة ولا يشرع شد الرحال إليه ".(٢)

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ١ / ٢٠٦ واللفظ للبخارى .
وصحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ٢ / ١٠١٤ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٣٠ .

ومن تلك الفضائل مضاعفة ثواب الصلاة فى مسجده ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

(صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام) (١).

هذه الفضيلة ثابتة للمسجد النبوى الشريف بنص الحديث ، ولكنّ إستشكل العلماء حول المراد من هذا الاستثناء ، هل هو أن الصلاة فى المسجد النبوى أفضل من الصلاة فى المسجد الحرام بدون الألف أم أنّ الصلاة فى المسجد الحرام أفضل من الصلاة فى المسجد النبوى الشريف .

وممن قال بالقول الأول : الإمام مالك وطائفة من العلماء :

وأمّا الإمام الشافعى وجماهير العلماء ، فقد ذهبوا إلى الثانى .

يقول الإمام النووى ـ رحمه الله تعالى ـ عند شرحه هذا الحديث :

" اختلف العلماء فى المراد بهذا الاستثناء على حسب اختلافهم فى مكة والمدينة أيّتهما أفضل ، ومذهب الشافعى وجماهير العلماء أنّ مكة أفضل من المدينة وأنّ مسجد مكة أفضل من مسجد المدينة ، وعكسه مالك وطائفة . فعند الشافعى والجمهور معناه إلاّ المسجد الحرام فإنّ الصلاة فيه أفضل من الصلاة فى مسجدى ، وعند مالك وموافقيه إلا المسجد الحرام فإنّ الصلاة فى مسجدى تفضله بدون الألف ". (٢)

---

(١) صحيح البخارى فى أبواب التطوع ، باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ١/٢٠٦ واللفظ للبخارى .
وصحيح مسلم فى كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدى مكة والمدينة ٢/١٠١٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٩/١٦٣ .

وكلا التأويلين محتمل إذا لم نجد من الخارج ما يرجح أحدهما من الآخر كما أنّ هناك تأويلا ثالثا محتملا وهو أنّ الصلاة فيهما سواء .

وقد ذكر ابن حزم الظاهرى التأويل الثالث عند ذكره هـذا الحديث حيث قال :

" تأوّلوا أنّ الصلاة فى مسجد المدينة أفضل من الصلاة فى مسجد مكة بدون الألف ، وقلنا نحن : بل هذا الإستثناء أنّ الصلاة فى المسجد الحرام أفضل من الصلاة فى مسجد المدينة ، ثم قال : فكلا التأويليـن محتمل نعم وتأويل ثالث وهو المسجد الحرام فإنّ الصلاة فى كليهمـا سواء ولا يجوز المصير إلى أحد هذه التأويلات دون الآخر الا بنص آخـر وبطل أن يكون فى هذا الخبر بيان فضل المدينة على مكة ". (١)

ممّا سبق يتضح لنا أن التأويلات الثلاثة محتملة ولكن تأويـل الجمهور هو الأصح لثبوت ما يرجح ذلك وهو الحديث الذى فى مسنـد الإمام أحمد - رحمه الله - عن عبد الله بن الزبير - رضى الله عنهما قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (صلاة فى مسجدى هـذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلاّ المسجد الحرام . وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى هذا) . (٢)

ومن العلماء من صحّح هذا الحديث ومنهم من حسّنه . فمـن الأولين ابن حزم الظاهرى حيث قال :

---

(١) المحلى - ٧/٢٨٤ .

(٢) مسند أحمد ٤/٥ .

" حديث ابن الزبير صحيح فارتفع الإشكال "(١)

ومن الفريق الثاني النووي حيث قال :

" حديث حسن رواه أحمد بن حنبل في مسنده "(٢)

وسواء قلنا أنّ هذا الحديث الذي نحن بصدده صحيح أو حسن فلا يخرج من دائرة الاحتجاج به للغرض الذي من أجله أوردناه وهو ثبوت أفضلية مسجد مكة على مسجد المدينة وكذلك مضاعفة ثواب الصلاة في مسجده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ما يهمنا في هذا المقام ، وإن اشترك في ذلك المسجد الحرام وزاد عليه .

ومن تلك الفضائل كونه حرما مثل المسجد الحرام لدخوله في حدود حرم المدينة المنورة التي حددها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله :

(إنّ إبراهيم حرّم مكة وإنّي حرّمت المدينة مابين لابتيها لا يقطع عضاهها (٣) ولا يصاد صيدها) .(٤)

وبقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(المدينة حرم مابين عير إلى ثور . .) .(٥)

هذان الحديثان يحددان لنا حدود حرم المدينة المنورة بحيث

---

(١) المحلى ٧ / ٢٩٠ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٩ / ١٦٤ .

(٣) عضاه : كل شجر عظيم له شوك . انظر النهاية في غريب الحديث ٣ / ٢٥٥ .

(٤) صحيح مسلم في كتاب الحج ، باب فضل المدينة ٢ / ٩٩٢ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الحج ، باب فضل المدينة ٢ / ٩٩٥ .

أنّ الحديث الأول يحدد الحرم من ناحية العرض وأنّه يقع مابين لابتى المدينةوهما الحرتان الوبرة . والواقم أولاهما تقع في غرب المدينـــة وثانيهما تقع فى شرق المدينة .

يقول الدكتور / محمد حسن هيكل :

" تحد هذه الحرة وهى الواقم المدينة من الشرق وتحدها حرة الوبرة من الغرب ". (١)

وأما الحديث الثاني فيحد لنا حرم المدينة المنورة من جهـــة الطول بحيث يقع الحرم ما بين عير إلى ثور وهما أى عير وثور جبلان يقع أولاهما جنوب المدينة وثانيهما يقع فى شمال المدينة .

يقول عبد القدوس الأنصارى :

" عير وثور اسما جبلين من جبال المدينة أولهما عظيم شامخ يقع بجنوبى المدينة على مسافة ساعتين عنها تقريبا بسير الأقدام غيـــر المستعجل ، وثانيهما أحمر صغير يقع شمال أحد ، ويحدان حـــرم المدينة جنوبا وشمالا ". (٢)

وعلى هذا فيدخل جبل أحد فى حدود حرم المدينة المنورة .

يقول صاحب (٣) حسن التوسل فى آداب زيارة أفضل الرسل عنـــد تحديده حرم المدينة :

" وحرمها من عير بفتح العين المهملة إلى ثور طولا وثور جبـــل

---

(١) فى منزل الوحى ص ٥٨٢ .

(٢) آثار المدينة – ٢٠٩ .

(٣) تقدمت ترجمته فى ص ١٧٩ .

صغير خلف أحد وعرضا مابين لابتيها ، واللابتان الحرتان السود ".(١)

وخلاصة القول أنّ حرم المدينة المنورة تحده من الشرق الواقم ومن الغرب الوبره ومن الجنوب جبل يسمى عيرا ومن الشمال جبل يسمى ثور وهو غير ثور الذى بمكة على الأصح خلافا لمن نفى ذلك عن المدينة كأبى عبيد القاسم بن سلام، ومن تبعه فى ذلك كالزمخشرى حيث قال :

" هما جبلان بالمدينة وقيل لا يعرف بالمدينة جبل يسمى ثورا وإنّما ثور بمكة ولعل الحديث ما بين عير إلى أحد ".(٢)

وهذا وهم منهم كما جزم غير واحد من العلماء .

يقول الفيروزآبادى :

" ثور جبل بالمدينة ومنه الحديث الصحيح :

(المدينة حرم ما بين عير إلى ثور) .(٣) ، وأمّا قول أبى عبيد القاسم بن سلام وغيره من أكابر الأعلام أنّ هذا تصحيف والصواب إلى أحد لأنّ ثورا إنّما هو بمكة فغير جيّد ".(٤)

هذا ما يتعلق بالفضائل المشتركة بين المسجد النبوى الشريف وبين المسجد الحرام أو المسجد الأقصى . وأمّا الفضيلة الهامة التى يختص بها المسجد النبوى فهى الروضة التى بين بيته ومنبره ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث وصفها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بأنها روضة

---

(١) حسن التوسل فى آداب زيارة أفضل الرسل ص ٢٢٣ .

(٢) الفائق ٣/٤٢٩ .

(٣) مسلم فى كتاب الحج باب فضل المدينة ٢/٩٩٥ .

(٤) القاموس المحيط مادة ثور ١/٣٩٨ .

من رياض الجنة في الحديث الذي أخرجه الشيخان عن عبد الله بن زيد المازني أنّه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) (١)

وفي رواية : (مابين قبري ومنبري) . (٢)

والرواية الثانية لا تصح وانما هي رواية بالمعنى كما جزم ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره هذا الحديث حيث قال :

" هذا هو الثابت الصحيح ولكنّ بعضهم رووه بالمعنى فقال : " قبري " وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال هذا القول لم يكن قد قبر ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ولهذا لم يحتج بهذا أحد من الصحابة حينما تنازعوا في موضع دفنه ، ولو كان هذا عندهم لكان نصا في محل النزاع ولكن دفن في حجرة عائشة في الموضع الذي مات فيه بأبي وأمي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ " . (٣)

وعلى هذا لا نحتاج إلى تكلف في الجمع بين الروايتين كما فعل الطحاوي في مشكل الآثار بل وعده من علامات النبوة قائلا :

" في هذا الحديث معنى يجب أن يوقف عليه وهو قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ـ (مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) (٤)

---

(١) صحيح البخاري أبواب التطوع باب فضل مابين القبر والمنبر ص ١/ ٢٠٧ .
وصحيح مسلم في كتاب الحج باب مابين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ٢ / ١٠١٠ .

(٢) الطحاوي في مشكل الآثار ص ٤ /٧٢ .

(٣) القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة ص ٧٤ .

(٤) مشكل الآثار ٤ /٧٢ .

على أكثر مافى هذه الآثار وعلى مافى سواه منهـا : (مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة)(١) فكان تصحيحها يجب به أن يكون بيته هو قبره ويكون ذلك علامة من علامات النبوة جليلة المقدار لأنّ الله ـ عز وجل ـ قد أخفى على كل نفس سواه الأرض التي يموت بها لقوله عز وجل : ﴿ وما تدرى نفس بأى أرض تموت . . ﴾(٢) فأعلمه الموضع الذى يموت فيه والموضع الذى فيه قبره حتى علم بذلك فى حياته وحتى أعلمه من أعلمه من أمته فهذه منزلة لا منزلة فوقها زادها الله شرفا وخيرا ".(٣)

وخلاصة القول : أنّ هذه الفضيلة ثابتة لا يشترك فيها غيره من المساجد ولكنّ العلماء اختلفوا فى معنى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (روضة من رياض الجنة)(٤)

هل هذه البقعة بعينها من الجنة أم أن العمل فيها يؤدى إلى دخول الجنة ؟

يقول القاضى عياض ـ رحمه الله تعالى ـ :

" قوله : (روضة من رياض الجنة)(٥) يحتمل معنيين :

أحدهما : أنّه موجب لذلك وأنّ الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب .

---

(١) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٢) سورة لقمان : ٣٤ .

(٣) مشكل الآثار : ٤/ ٧٢ .

(٤) ،(٥) جزء من الحديث المتفق عليه الذى تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

الثاني : أنّ تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها ".(١)

والمعنى الأول هو الأولى وهو المعنى الذى أيده ابن حـــزم وذكـره الحافظ ابن حجر العسقلاني .

يقول ابن حزم ـ رحمه الله ـ :

" وهذا الحديث ليس على ما يظنه أهل الجهل من أنّ تلــك الروضة قطعة منقطعة من الجنة ، هذا كذب وباطل لأنّ الله يقول فــى الجنة : ﴿ إنّ لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنّك لا تظمأ فيهــا ولا تضحى ﴾(٢) فهذه صفة الجنة بلا شك ، وليست هذه صفة الروضة ، ورسول الله لا يقول إلاّ الحق ، فصح أن تكون تلك الروضة من الجنة إنّما هو لفضلها وأنّ الصلاة فيها تؤدى إلى الجنة ".(٣)

ويقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ :

" إنّه كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعـــادة بما يحصل من ملازمة حلق الذكر ، لاسيما في عهده ـ صلى الله عليــه وسلم ـ فيكون تشبيها بغير أداة ، أو المعنى أنّ العبادة فيه تؤدى إلى الجنة فيكون مجازا ".(٤)

---

(١) الشفا ٢/ ٦٨٣ .

(٢) سورة طه : ١١٨ - ١١٩ .

(٣) المحلى : ٧/ ٢٨٣ - ٢٨٥ مع التصرف .

(٤) فتح الباري : ٤/ ١٠٠ .

المبحث الثاني

ما يفعله الجهال من البدع في مسجده

– صلى الله عليه وسلم –

المبحث الثانى
ما يفعله الجهال من البدع فى مسجده
- صلى الله عليه وسلم -

كثير من الناس يفعلون أمورا منكرة لا أساس لها من الدين عند زيارتهم المسجد النبوى الشريف وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ويحتجون على أعمالهم تلك بالاستحسان العقلى أو بأدلة واهية باطلة .

وفى هذا المبحث سنذكر - بمشيئة الله تعالى - أهم تلك البدع التى تقع فى مسجده - صلى الله عليه وسلم - مبينين بدعيتها تذكيرا لهؤلاء الجهال ومن فى حكمهم حتى لا يقعوا فيها بعد البيان ولإقامة الحجة عليهم أمام الله تعالى .

(.. ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حىّ عن بينة ..) (١)

من تلك البدع التزام الزوار الإقامة فى المدينة المنورة أسبوعا أو ثمانية أيام حتى يتمكنوا من الصلاة فى مسجده - صلى الله عليه وسلم - أربعين صلاة لكى يكتب لهم البراءة من النار والنجاة من العذاب والبراءة من النفاق محتجين بالحديث الآتى :

قال الإمام أحمد : حدثنا الحكم بن موسى ثنا عبد الرحمن بن أبى الرجال عن نبيط بن عمرو عن أنس بن مالك عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال :

(من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لا يفوته صلاة كتبت له

---

(١) سورة الأنفال : ٤٢ .

براءة من النار ونجاة من النار وبرئ من النفاق)[١].

واستدلالهم بهذا الحديث مأخوذ من ظاهره فهو يفيد أن من صلى أربعين صلاة في مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبرأ من النار والنفاق ونجا منهما ، وهم بهذا الحديث يتمسكون ببدعتهم هذه ، وهذا استدلال صحيح لو كان الحديث مما يحتج به .

وقد تكلم العلماء عن هذا الحديث حيث قال العلماء القدماء في صحته مايلي :

قال المنذري : " رواه أحمد ورواته رواة الصحيح والطبراني في الأوسط وهو عند الترمذي بغير هذا اللفظ "[٢].

وقال الهيثمي : " روى الترمذي بعضه ، ورواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات "[٣].

هذه أقوال العلماء القدماء في هذا الحديث ولكن محمد ناصر الدين الألباني قد ضعّف هذا الحديث بسبب وجود راو مجهول في سنده وهو نبيط بن عمرو .

قال الألباني :

" وهذا سند ـ أي سند هذا الحديث الذي نحن بصدده ـ ضعيف ، نبيط هذا لا يعرف إلّا في هذا الحديث ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات على قاعدته توثيق المجهولين ، وهو عمدة الهيثمي

---

(١) المسند : ٣/١٥٥ .

(٢) الترغيب والترهيب : ٢/١٣٦ .

(٣) مجمع الزوائد : ٤/٨ .

في قوله في المجمع ٨/٤ : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات وأمّا قول المنذري في الترغيب (١٣٦/٢) رواه أحمد ورواته رواة الصحيح والطبراني في الأوسط فوهم واضح لأنّ نبيط هذا ليس من رواة الصحيح ولا روى له أحـد من بقية الستة "(١) .

وقد تتبعت نبيط هذا في كتب الجـرح والتعـديل وكتب التراجـم الأخـرى فلم أجـد من ترجـم له إلّا ابن حبان في الثقـات (٢) والحافـظ إبن حجـر العسقلاني في تعجيل المنفعـة (٣) الذي اكتفى بقوله : ذكره ابن حبان في الثقات .

وعلى هذا نقـول : أنّ سند هذا الحـديث ضعيف لوجـود راو مجهـول كما بينا وهو نبيط بن عمرو ، ومن ثم لا يمكن الإحتجـاج به في هذا المقـام .

وإذا كان كذلك فيكون إلتزام الزوار الإقامة في المدينة بثمانية أيـام بدعه لغرض الصلاة في مسجـده ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعيـن صلاة حتى يبرأوامن النفـاق ومن العـذاب .

والبدعة تأتي من ناحية تحـديد الأيام وعـدد الصلوات ومـن ناحية الثواب المترتب على ذلك لا من ناحية مجـرد الصلاة في مسجـده ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل ثبت أنّ ثواب الصلاة فيه يضاعـف كما بيّنا في المبحـث السابق عند حـديثنا عن الفضائل الثابتة لمسجده ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

(١) سلسلة الأحـاديث الضعيفة م١ / ٣٦٦ .

(٢) انظر الثقات : ٤٨٣/٥ .

(٣) تعجيل المنفعة : ٤٢١ .

ومن تلك البدع الخروج من المسجد النبوى الشريف القهقرى تأدبا معه وتوقيرا له وإيمانا منهم بأن الخروج العادى يترتب عليه الإدبار عن المسجد وهو سوء أدب عندهم حسب عقولهم بينما هذا سوء أدب لأن هذا الفعل غير مشروع ولأنه يترتب عليه أن يفعلوا هذا الفعل مع شيوخهم وكبرائهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا ، ولأن الشرع لا يثبت بالرأى ولا باستحسان المستحسنين .

ولله در الإمام على — رضى الله عنه — حيث قال :

" لو كان الدين بالرأى لمسح أسفل القدم أولى من ظهرها ".(١)

يقول ابن الحاج فى هذا المقام :

" وليحذر ما يفعله بعضهم من هذه البدعة وهو أنهم إذا خرجوا من مكة يخرجون من المسجد القهقرى وكذلك يفعلون فى مسجد النبى — صلى الله عليه وسلم — حين وداعهم له — عليه الصلاة والسلام — ويزعمون أن ذلك من باب الأدب . وذلك من البدع المكروهة التى لا أصل لها فى الشرع الشريف ولم يفعلها أحد من السلف — رضى الله عنهم — وهم أشد الناس حرصا على اتباع سنة نبيهم — صلى الله عليه وسلم — ثم أدت هذه البدعة التى أحدثوها وعللوها الى أن صاروا يفعلونها مع مشائخهم ومع كبرائهم وعند المقابر التى يحترمونها ويعظمون أهلها ويزعمون أن ذلك من باب الأدب ".(٢)

---

(١) رواه الدارمى فى سننه ١٨١/١ بلفظ : لولا أنى رأيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فعل كما رأيتمونى فعلت لرأيت أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما .

(٢) المدخل : ٢٣٨/٤٠ .

ومن تلك البدع رفع الصوت بالصلاة والسلام فى المسجد النبوى الشريف لأن ذلك يؤدى إلى سوء الأدب مع النبى — صلى الله عليه وسلم — ومع المسجد وإن كان هذا الحكم يتعدى إلى غيره من المساجد إلّا أنّه يتأكد فى هذا المسجد لمكانته عند الله وعند المسلمين .

وقد كان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يمنع أن يرفع الأصوات فى المسجد النبوى الشريف بل كان يتوعد على من يفعل ذلك بالعقاب الشديد .

والدليل على ذلك ما أخرجه البخارى — رحمه الله تعالى — فى صحيحه عن السائب بن يزيد قال :

" كنت قائما فى المسجد فحصبنى رجل فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب فقال : اذهب فأتنى بهذين فجئته بهما قال : من أنتما أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم —" (١) .

هذا الحديث يدل على أن رفع الصوت ممنوع فى مسجده — صلى الله عليه وسلم — لأنّ ذلك ينافى الأدب مع النبى — صلى الله عليه وسلم — ويدخل فى عموم النهى عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له فى قوله تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون ﴾ (٢) .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الصلاة ، باب رفع الصوت فى المساجد ١/ ٩٣

(٢) سورة الحجرات : ٢ .

ومنها أكل التمر الصيحاني في الروضة الشريفة [١] تبركا بها لزعمهم أنّه صاح بالنبي — صلى الله عليه وسلم — .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" وأمّا التمر الصيحاني فلا فضيلة فيه بل غيره من التمر البرني والعجوة خير منه والأحاديث إنما جاءت عن النبي — صلى الله عليه وسلم — في مثل ذلك كما جاء في الصحيح : (من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر) [٢] .

ولم يجيء عنه في الصيحاني شيء ، وقول بعض الناس أنّه صاح بالنبي — صلى الله عليه وسلم — جهل منه ، بل إنّما سمي بذلك ليبسه فانّه يقال تصوح التمر إذا يبس " [٣] .

ومن ذلك وقوف بعضهم أمام القبر بغاية الخشوع واضعا يمينه على يساره كما يفعل في الصلاة .

ومنها إستقبال القبر للدعاء عنده رجاء الاجابة . [٤]

ومنها قصد الصلاة تجاه القبر . [٥]

ومنها زيارة قبره — صلى الله عليه وسلم — قبل الصلاة في مسجده .

---

(١) الباعث على إنكار البدع ص ٧٠ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب العجوة ٣ / ٣٠١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب فضل تمر المدينة ٣ / ١٦١٨ ، واللفظ للبخاري .

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى : ٢ / ٤١٣ .

(٤) المصدر السابق : ٢ / ٣٩٠ .

(٥) حجة النبي — صلى الله عليه وسلم — للألباني ص ١٤٠ .

ومنها تخصيص ليلة سبع وعشرين من رمضان بموعظة التي يلقيها إمام المسجد النبوي للاعتقاد أنها ليلة القدر .

ومنها قراءة دعاء ختم القرآن في آخر ليلة من رمضان جماعة .

ومنها آذان الأول في يوم الجمعة في المسجد النبوي قبل صعود الإمام على المنبر بزمن يسير جدا لأن عثمان بن عفان رضي الله عنه فعل ذلك قبل الآذان الثاني بزمن كاف لاستعداد أهل البلد لحضور الخطبة .

وهذه مجمل البدع التي تفعل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جهل أو استحسان من بعض الناس حسب ما تسول لهم أنفسهم دون الرجوع إلى الكتاب والسنة .

وما ذكرنا من البدع في هذا البحث يعتبر نموذجا لما يفعل في المسجد النبوي وليس للحصر لأن المقام لا يتسع لأكثر من ذلك .

الفصل الرابـــــــع

البدع الملحقـــــــــــــة بزيارة قبــــــره

ـ صلى الله عليه وسلــــم ـ

الفصل الرابع

البدع الملحقة بزيارة قبره
— صلى الله عليه وسلم —

قبر النبي — صلى الله عليه وسلم — ملحق بمسجده الشريف وزيارة القبر سنة مشروعة لمن كان في المدينة وضواحيها كزيارة سائر القبور للاتعاظ والعبرة والدعاء للميت وتذكر ما كان وما سيكون باذن الله تعالى .

وقد الحق أهل البدع مخترعات لا أصل لها وهم يزورون قبر النبي — صلى الله عليه وسلم — ظانين أن ذلك حب له — عليه الصلاة والسلام — وتعظيم وتوقير مثل التبرك والتمسح بقبره والدعاء عنده معتقدين أن ذلك أولى من الدعاء في المساجد .

ونتحدث في هذا الفصل عن البدع الملحقة بزيارة قبر النبي — صلى الله عليه وسلم — ، وسوف يأتي هذا الفصل مكونا من المباحث التالية :

المبحث الأول : بيان معنى الزيارة وأنواعها وحدود مشروعيتها .

المبحث الثاني : حكم السفر لزيارة قبر النبي — صلى الله عليه وسلم — .

المبحث الأول

الزيارة أنواعها وأغراضها

*

المبحث الأول

الزيـارة أنواعهـا وأغراضهـا

الزيارة فى اللغة القصد ، وهى مصدر زار .

يقول صاحب مصباح المنير :

زار يزور زيارة وزورا قصده .. والمزار يكون مصدرا وموضع الزيارة ، هذا فى اللغة ، وأمّا الزيارة فى العرف فهى قصد المزور إكراما له وإستئناسا به .(١)

يقول الخفاجى :

والزيارة تختص بمجى بعض الأحياء لبعض مودة ومحبة ، هذا أصل معناها لغة واستعمالها فى القبر للأموات لإعطائهم حكم الأحياء وصار حقيقة عرفية لشيوعها فيها .(٢)

وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ﴾ .(٣)

ومعناها أدركتم الموت وأنتم على تلك الحال من التفاخر وعبر عن موتهم بزيارة المقابر لأن الميت قد صار إلى قبره كما يصير الزائر إلى الموضع الذى يزوره .(٤)

ويقول ابن كثير فى تفسيره :

" والصحيح أنّ المراد بقوله ﴿ زرتم المقابر ﴾ أى صرتم إليها

---

(١) مصباح المنير ١/٢٧٩ .

(٢) نسيم الرياض فى شرح الشفا ٣/٥١٠ ـ ٥١١ .

(٣) سورة التكاثر : ١ ـ ٢ .

(٤) انظر تفسير فتح القدير للشوكانى ٥/٤٤٨ .

ودفنتم "[1] ثم استشهد عما جاء في الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على أعرابي يعوده قال : وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - اذا دخل على مريض يعوده قال له : (لا بأس طهور ان شاء الله) قال : قلت طهور كلا بل هي حمى تفور وتثور على شيخ كبير تزيره القبور ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (فنعم اذا)[2].

وعلى ذلك فمعنى الزيارة اصطلاحا هو الانتقال من مكان الى مكان آخر لغرض ما وغالبا تضاف الى القبور فيكون معناها اتيان القبور لغرض السلام على الأموات والدعاء لهم والاتعاظ بهم .

أنواع الزيارة :

تتنوع الزيارة الى نوعين وهما :

النوع الأول : هو زيارة الأحياء للأموات .

النوع الثاني : زيارة الاحياء بعضهم لبعض مودة ومحبة وعيادة .

أما النوع الأول وهو زيارة الأحياء للأموات فتنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ - زيارة شرعية ٢ - زيارة بدعية ٣ - زيارة شركية

وبيانها كالآتي : -

١ - الزيارة الشرعية : وهي التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة بها بعد أن نهى عنها كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)[3]

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٥
(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب المرضى ، باب عيادة الاعراب ٤ / ٤
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي - صلى الله عليه وسلم - ربه - عز وجل - في زيارة قبر أمه ٢ / ٦٧٢ .

وقد شرعت هذه الزيارة للرجال اتفاقا لأجل حكم سامية وأغراض نافعة تعود للمزور وللزائر معا كما دلت عليه السنة النبوية اذ أنها بالنسبة للميت تكون بمنزلة الصلاة عليه حيث يقال فيها من جنس ما يقال في الصلاة عليه من الدعاء والترحم والاستغفار وبالنسبة للزائر تكون عظة وعبرة وتذكرة للآخرة .

وسوف أجمل الأغراض التي من أجلها شرعت الزيارة فيما يلي : -

أولا - الاتعاظ والاعتبار بمعنى أن يتذكر الزائر أن مصيره الموت مثل المزور فيتدارك أمره كما يدل عليه قوله - صلى الله عليه وسلم - :

(..... فزوروا القبور فانها تذكر الموت ...) (١) .

وهذا لا فرق بين قبر فيه كافر وبين قبر فيه مسلم لأن الاعتبار والاتعاظ يحصل بالميت المقبور سواء كان كافرا أم مسلما بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم -:

(.... واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي) (٢) . أي قبر أمه - صلى الله عليه وسلم - بينما لم يؤذن له أن يستغفر لها لأنها ماتت على الشرك في أيام الجاهلية .

والاستغفار لأهل الشرك ممنوع بقوله تعالى : -

﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ (٣)

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ٢ / ٦٧١
(٢) كالذي قبله .
(٣) سورة التوبة : ١١٣

ثانيا - الدعاء للأموات والسلام عليهم عسى الله أن يقبل لهم ذلك فينتفعوا به، كما فعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عند زيارته مقابر البقيع حيث كان يقول :

(السلام عليكم دار قوم مؤمنين ... اللهم اغفر لأهل البقيع الغرقد[١])[٢].

وهذا الغرض خاص بمقابر المسلمين عابدهم وعاصيهم لأن كلا منهم ينتفع بذلك الدعاء والسلام .

٢ - الزيارة البدعية :

وهي التي لا يقتصر فاعلها على أداء ما هو مشروع بل يضيف اليها أمورا منكرة في الشريعة الاسلامية دون أن يترتب عليها أمور شركية .

ونذكر هنا أهمها أو أكثرها شيوعا في هذا العصر .

من تلك الزيارة البدعية التبرك والتمسح بالقبر سواء كان المقبور نبيا أو وليا أو غير ذلك لعدم ورود ما يدل على ذلك من الشارع .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - في هذا المقام :

" وقد اتفق العلماء على ما مضت به السنة من أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل بمقام ابراهيم الذي ذكره الله تعالى في القرآن وقال :

(... واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ..)[٣] . فاذا كان هذا بالسنة

---

(١) الغرقد : هو ضرب من شجر العضاه وشجر الشوك . والغرقدة واحدة ومنه قيل لمقبرة أهل المدينة بقيع الغرقد لأنه كان فيه غرقد وقطع . النهاية ٣/٣٦٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب ما يقول عند دخول القبور والدعاء لأهلها ٢/٦٦٩ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٢٥ .

المتواترة وباتفاق الائمة لا يشرع تقبيله بالفم ولا مسحه باليد فغيره من مقامات الأنبياء وغيرهم أولى أن لا يشرع تقبيلها بالفم ولا مسحها باليد .(١)

ومن الزيارة البدعية السفر الى القبور لقوله -صلى الله عليه وسلم :

(لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى) .(٢)

وزيارة القبور ليست من الأماكن التى شرع السفر اليها قربة لخروجها من منطوق الحديث الذى نحن بصدده .

ومنها الدعاء عند القبر أو القبور رجاء الاجابة لعدم ورود ما يدل على ذلك كما ذكر الشيخ محمد بشير السهسوانى : " إن ظن أحد أن الدعاء عند القبر مستجاب وأنه أفضل من الدعاء فى المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه . فهو من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهى محرمة وما علمت فى ذلك نزاعا بين أئمة الدين وان كان كثيرا من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم قبر فلان ترياق مجرب) (٣)

ومنها القراءة عند القبور سواء كان المقروء قرآنا أو غيره لعدم ورود ما يدل على ذلك . ويؤيد هذا ما أورده نعمان بن المفسر الألوسى فى كتابه الآيات البينات فى عدم سماع الأصوات حيث ذكر أن القراءة على القبر ذات خلاف ، وقال الامام يعنى أبى حنيفة تكره لأن أهلها جيفة ولم يصح فيها شيء عنده .(٤)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم : ٤٢٧

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، فى أبواب التطوع ، باب فضل الصلاة فى مسجدى مكة والمدينة ٢٠٦/١

(٣) صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان - ٢٠٤

(٤) أنظر الآيات البينات فى عدم سماع الأموات : ٩٤

ويقول الألباني في تعليقه على هذا القول : " وهذا التعليل الثاني هو المعتمد ".(١)

وأما ما ورد في هذا المقام من الأحاديث مثل حديث : (من دخل المقابر فقرأ سورة " يس " خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد ما فيها حسنات) فموضوع وكذلك حديث (من مر بالمقابر فقرأ " قل هو الله أحد " أحد عشر مرة).(٢)

وهذه الأمور التي ذكرناها هنا تعتبر ذريعة الى الشرك أو تفضي اليه في المآل كما هو مشاهد في وقتنا الحاضر . ويؤيد هذا بما أورده محمد بشير السهسواني في كتابه صيانة الانسان حيث أن الشيطان له تلطف في الدعوة فيدعوه أولا الى الدعاء عنده فيدعو العبد عنده بحرقة وانكسار وذلة فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه لا لأجل القبر فيظن الجاهل أن للقبر تأثيرا ، فاذا وقع ما يريده الشيطان من الانسان من استحسان الدعاء عند القبور وأنه أرجح من دعائه في بيته ومسجده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده الى الدعاء به والأقسام على الله به وهذا أعظم من الذي قبله .(٣)

٣ - الزيارة الشركية : وهي التي يترتب عنها الاشراك بالله وهي كثيرة ولها صور مختلفة ومن أهمها : -

الذبح للمقبور لدخول ذلك في معنى ما أهل لغير الله تعالى .

يقول الشوكاني - رحمه الله في تفسير قوله تعالى : (... وما أهل به لغير الله ...)(٤) ما ذكر عليه اسم غير الله كاللات والعزى اذا كان الذابح وثنيا والنار اذا كان الذابح مجوسيا ... لا خلاف في تحريم هذا وأمثاله ،

---

(١) أنظر الآيات البينات في عدم سماع الأموات : ٩٤ - تعليقة رقم ٣
(٢) المصدر السابق ، ص ٩٣ تعليقة رقم ٣
(٣) أنظر صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص ٢٠٥

ومثله ما يقع من المعتقدين للأموات من الذبح على قبورهم ، فانه مما أهل لغير الله ولا فرق بينه وبين الذبح للوثن " (١)

ومن السنة ما يؤيد هذا مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - : (لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله ....) (٢)

يقول النووي - رحمه الله تعالى - عند شرحه هذا الحديث :

" وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو لعيسى - صلى الله عليهما أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا كما نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا فان قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفرا . فان كان الذابح مسلما قبل ذلك صار بالذبح مرتدا ". (٣)

ومن الزيارة الشركية - دعاء الأموات وسؤال المقبور تفريج الكربات مما لا يقدر عليه الأحياء من البشر فضلا عن الأموات لأن سؤال المخلوق لا بد أن تجتمع فيه ثلاثة شروط :-

١ - القدرة على التصرف بمعنى أن يكون المدعو قادرا على التصرف فيعطي ويمنع . فالعاجز عن التصرف لا ينفع نفسه فضلا عن أن ينفع غيره .
٢ - السمع أي بأن يكون المدعو سامعا للنداء ومدركا للخطاب .
٣ - الملك أي بأن يكون المدعو مالكا لما يطلبه السائل اذ أن فاقد الشيء لا يعطيه .

وشرط واحد من تلك الشروط لا ينطبق على الأموات كما ترى .

يقول الألوسي - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى :

(.... دعوا الله مخلصين له الدين ...) (٤) فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره في تلك الحال ، وأنت خبير بأن الناس اليوم اذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر ، دعوا من لا يضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع ، فمنهم من يدعو الخضر والياس ومنهم من يتضرع الى شيخ من مشائخ الأمة ولا ترى أحدا منهم يخص مولاه بتضرعه ودعاه ، ولا يكاد يمر له ببال ، أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال فبالله عليك قل لي أي الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلا ، وأي

---

(١) تفسير فتح القدير ١/ ١٧٠
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الأضاحي والذبائح ، باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله ٣/ ١٥٦٣
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ١٤١
(٤) سورة يونس ، آية : ٢٢

الداعيين أقوم فيه والى الله المستكى من زمن عصفت فيه ريح الجهالة وتلاطمت أمواج الضلالة وخرقت سفينة الشريعة واتخذت الاستغاثة بغير الله للنجاة ذريعة وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف وحالت دون النهى عن المنكر صنوف الحتوف" (١)

ولذلك أقول أن مشركى هذا الزمان يفوقون مشركى العرب زمن البعثة بأمرين :

١ - ان مشركى العرب فى زمن البعثة كانوا يخلصون الدعاء لله سبحانه وتعالى فى وقت الشدة وانما يشركون فى زمن الرخاء كما دلت عليه الآية السابقة بينما مشركو هذا الزمان يدعون غير الله فى وقت الشدة وفى وقت الرخاء كما هو معلوم .

٢ - ان مشركى العرب فى زمن البعثة كانوا يدعون الملائكة والصالحين والحجر الذى لا ذنب له وأما مشركى هذا الزمان فهم يدعون أناسا ماتوا ولم يكونوا صالحين بل فيهم من يجهر بالفسق ومن لا يصلى أبدا .

ومما يدخل فى هذا المعنى أى دعاء الأموات الاستغاثة والاستعانة بهم كما يدل عليه قول الألوسى السابق لأن الاستغاثة فيها طلب وسؤال للمقبور وكذلك الاستعانة ،

وعلى هذا فعلى المسلم أن يقتصر فى مجال الزيارة على ما هو مشروع فقط دون الاضافات البدعية والشركية التى لم يأذن بها الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما النوع الثانى وهو زيارة الأحياء بعضهم البعض مودة ومحبة وعبادة فمشروعة أيضا اذا لم تصحبها أغراض فاسدة لورود أحاديث ثابتة تدل على ذلك :

من ذلك ما أخرجه الامام مسلم فى صحيحه عن أنس قال : " قال أبو بكر - رضى الله عنه - بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمر : انطلق بنا الى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزورها ، فلما انتهينا اليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : ما أبكى أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها ". (٢)

ومنها ما أخرجه الامام مسلم أيضا فى صحيحه عن أبى هريرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : (أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأوصد الله له على مدرجته

---

(١) روح المعانى (١١/ ٩٨)

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، فضائل أم أيمن : ٤/ ١٩٠٧ .

ملكا فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ (١) قال : لا غير أنى أحببته فى الله عز وجل ، قال : فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك لما أحببته فيه ". (٢)

ومن ذلك ما أخرجه الامام البخارى فى صحيحه عن أنس - رضى الله عنه - أن غلاما ليهود كان يخدم النبى - صلى الله عليه وسلم - فمرض فأتاه النبى - صلى الله عليه وسلم - يعوده ، فقال : أسلم تسلم) (٣)

يتبين لنا من هذه الأحاديث أن زيارة الأحياء بعضهم لبعض مشروعة أيضا وأن الغرض منها أمران :

الأول : محبة الزائر للمزور ومودته كما يدل عليه حديث أبى هريرة الآنف الذكر.

وهذا الغرض يخص المسلمين لأنهم وحدهم هم الذين يحبون فى الله عز وجل . وأما غيرهم فيحبون لأغراض دنيوية بحتة ، وأما فى الآخرة فبينهم عداوة كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴾. (٤)

الثاني : عيادة المريض سواء كان مسلما أو كافرا كما يدل عليه حديث أنس السابق .

وهذا الغرض يعم المسلم والكافر كما يدل عليه منطوق ذلك الحديث .

هذه هى الأغراض المشروعة لزيارة الأحياء بعضهم لبعض التى لا يجوز غيرها مثل الطلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات والاستعانة بهم وغيرها من الأمور الأخرى التى ذكرناها سابقا عند كلامنا عن زيارة القبور وأغراضها الا ما كان فى مقدور البشر عقلا وشرعا لأن الأحياء لهم نوع من السمع ونوع من الملك ونوع من القدرة .

وبهذا تنطبق عليهم الشروط الثلاثة التى تبيح سؤال المخلوق بشرط أن يكون ذلك فى حدود الشرع وفى مقدور البشر لا أن يسند اليهم أو يسألهم ما لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى مثل جلب المنفعة وسد المضرة بدون أخذ الأسباب فيترتب عليه الشرك والعياذ بالله .

---

(١) تربها : أى تقوم باصلاحها وتنهض اليه بسبب ذلك .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الحب فى الله ٤ / ١٩٨٨ .
(٣) صحيح البخارى ، كتاب المرضى ، باب عيادة المشرك ٤ / ٤ .
(٤) سورة الزخرف ، آية : ٦٧ .

المبحث الثاني

حكم السفر إلى زيارة قبر النبي
ـ صلى الله عليه وسلم ـ

المبحث الثاني

حكم السفر الى زيارة قبر النبي

- صلى اللـــه عليــه وسلـــم -

ذكرنا في المبحث السابق أن زيارة القبور مشروعة عمومـــا إذا لم تصحبها أمور غير مشروعة سواء كانت الزيارة إلى قبر نبي أو أتباعه وغيرهم كالكفار ، وأمّا في هذا المبحث فسوف نتكلم فيه عن حكم السفـر إلى المزارات وخاصة السفر لزيارة قبر نبينا محمد - صلى الله عليـــه وسلم - من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى بمعنى إذا منعنا من السفـر لزيارة قبره - صلى الله عليه وسلم - فمن باب أولى نمنع من السفر إلـــى زيارة قبر من دونه مهما كانت رتبته .

وقد اختلف العلماء في حكم السفر إلى زيارة قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فمنهم من يقول بجواز ذلك بل يجعلونه من الأمـــور المستحبة ، ومنهم من يقول بعدم جوازه ويعدونه من الأمور المحرمة . ولكل من الفريقين أدلتهم :

أولا : القائلون بالجواز :

هذا الفريق استدل بأدلة من الكتاب والسنة :

أمّا أدلة الكتاب فقوله تعالى :

﴿ ... ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا اللـــه واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ .(١)

---

(١) سورة النساء : ٦٤ .

ووجه الاستدلال بهذه الآية كما يقول السبكي :

" دلت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - والاستغفار عنده واستغفاره لهم وذلك وإن ورد في حال الحياة فهي رتبه له - صلى الله عليه وسلم - لا تنقطع بموته تعظيما له" (١)

ويقول أيضا :

" والمجيء صادق على المجيء من قرب ومن بعد بسفر وغير سفر ولا يقال (إن جاءوك) مطلق والمطلق لا دلالة له على كل فرد وإن كان صالحا لها لأنّا نقول هو في سياق الشرط فيعم ، فمن حصل منه الوصف المذكور وجد الله توابا رحيما " . (٢)

وأما من السنة - فقد ذكروا أدلة كثيرة نذكر منها ما هو نص في هذا الموضوع :

أولا : ما أخرجه الدارقطني بسنده قال : حدثنا عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز نا أبو الربيع بن أبي داود عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي) . (٣)

ثانيا : ما أخرجه ابن عدي في الكامل قال : ثنا علي بن إسحاق ثنا محمد بن محمد بن النعمان بن شبل حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني) . (٤)

---

(١) شفاء السقام ص ٨٠ - ٨١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ .

(٣) سنن الدارقطني ٢ / ٢٧٨ .

(٤) الكامل لابن عدي ٧ / ٢٤٨٠ .

هذان الحديثان اللذان أوردناهما في هذا المقام هما نصان في الموضوع الذي نحن بصدده ولم أجد غيرهما من الأحاديث ما يكون نصا في الموضوع وإنما هناك أحاديث أخرى تدل على مطلق زيارة قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ولا نتكلم في هذا المكان إلا على ما يكون نصا في الموضوع .

وهذان الحديثان يحتاجان إلى النظر فيهما من ناحية السند صحة وضعفا لكي تتبين حجيتهما فيما استدل له بهما ولكن قبل أن نتطرق إلى ذلك نذكر أدلة القائلين بالمنع ثم نناقش أدلة الفريقين معا .

ثانيا : أدلة القائلين بالمنع :

هذا الفريق استدل بالأدلة التالية :

(أ) ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

(لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد . المسجد الحرام ومسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومسجد الأقصى) . (١)

(ب) ما أخرجه الإمام مالك بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال : لقيت بصره بن أبي بصره (٢) الغفاري فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من الطور . فقال : لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت . سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :

---

(١) صحيح البخاري ، أبواب التطوع ، باب فضل الصلاة في مسجدى مكة والمدينة ١ / ٢٠٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ٢ / ١٠١٤ واللفظ للبخاري .

(٢) الصحيح لقيت أبا بصره الغفاري .

(لا تعمل المطى إلاّ إلى ثلاثة مساجد . إلى المسجد الحرام وإلى مسجدى هذا وإلى مسجد إيليا أو بيت المقدس يشك) .(١)

ووجه الإستدلال بهذين الحديثين من وجهة نظر هذا الفريق هو أن الشارع قد نهى عن السفر إلى أى مكان للعبادة غير المساجد الثلاثة المستثناة فى أسلوب حصر بمعنى أن السفر إلى أى مكان للعبادة محصور فى المساجد الثلاثة . وعلى هذا فالسفر إلى زيارة قبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدخل فى النهى العام لعدم ورود ما يخرجه عن ذلك ولأنّ الصحابة قد نهموا ذلك كما يدل عليه قول أبى بصره الغفارى فى الحديث الثانى ومن ثم يعدون ذلك أنّه من البدع المحرمة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى هذا المقام :

"إذا كانت المساجد التى هى من بيوت الله التى أمر فيها بالصلوات الخمس قد نهى عن السفر إليها حتى مسجد قباء الذى يستحب لمن كان بالمدينة أن يذهب إليه لما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أنّه كان يأتى قباء كل سبت راكبا وماشيا)(٢) إلى أن قال مؤكدا ذلك :

وروى الترمذى أنّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال من تطهر فى بيته فأحسن الطهور ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلاّ الصلاة فيه كان له

---

(١) الموطأ : ١٠٩/١ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب فضل الصلاة ، باب من أتى مسجد قباء كل سبت ٢٠٦/١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب فضل مسجد قباء ، وفضل الصلاة فيه وزيارته ١٠١٦/٢ .

كعمرة) [١] ، وكذلك ينهى عن السفر إلى الطور المذكور في القرآن فمن باب أولى أن ينهى عن السفر إلى غيرها من الأمكنة ". [٢]

ويقول شيخ الإسلام - أيضا - في مكان آخر :

" قال بعض العلماء : قوله : (من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء...) [٣] تنبيه على أنّه لا يشرع قصده بشد الرحال بل إنّما يأتيه الرجل من بيته الذي يصلح أن يتطهر فيه ثم يأتيه فيقصده كما يقصد الرجل مسجد مصره دون المساجد التي يسافر إليها ، وأمّا المساجد الثلاثة فقد إتفق العلماء على استحباب اتيانها للصلاة ونحوها " [٤]

ويقول محيي الدين البركوي :

" السفر إلى زيارة قبور الأنبياء بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين ، ولا أمر بها رسول ربّ العالمين ، ولا إستحبها أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك قربة وطاعة فقد خالف السنة والإجماع ولو سافر إليها بذلك الاعتقاد يحرم بإجماع المسلمين ، فصار التحريم من جهة إتخاذه قربة ، ومعلوم أن أحدا لا يسافر إليها إلاّ لذلك ". [٥]

ويقول ناصر الدين الألباني في هذا المقام :

" المستثنى منه في هذا الحديث ليس هو المساجد فقط كما

---

(١) الحديث في سنن الترمذي ، أبواب الصلاة ، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء ١/٢٠٤ بلفظ : (الصلاة في مسجد قباء كعمرة) .

(٢) مجموع الرسائل الكبرى ٢/٥٩ بتصرف .

(٣) تقدم تخريجه في هامش رقم ("١" من هذه الصفحة .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٣٢ .

(٥) زيارة القبور الشركية والشرعية ص ٢٢ .

يظن كثيرون - بل هو كل مكان يقصد للتقرب إلى الله فيه سواء كان مسجدا أو قبرا أو غير ذلك بدليل ما رواه أبو هريرة قال في حديث له : فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري (١) فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من الطور فقال : لو أدركتك قبل أن تخرج اليه ما خرجت، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (لا تعمل المطى الآ إلى ثلاثة مساجد . . . . . الحديث) . (٢) فهذا دليل على أنّ الصحابة فهموا الحديث على عمومه ويؤيده أنّه لم ينقل عن أحد منهم أنّه شد الرحل لزيارة قبر ما ". (٣)

هذه مجمل ما ورد في هذا الشأن من قبل الفريقين المجوزين السفر إلى زيارة قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - والمانعين لها ، ولكن هذه الأدلة تحتاج إلى مناقشة حتى يتبين الصواب من الخطأ ومن ثم يمكن لنا أن نرجح ما نراه صوابا أو أقرب إلى روح الشريعة الإسلامية السمحاء التى ختم الله - سبحانه وتعالى - بها كل الرسالات بواسطة خاتم النبيين محمد - صلى الله عليه وسلم - دون تعصب إلى فئة من الفريقين .

---

(١) والصحيح فلقيت أبا بصرة الغفاري
(٢) الموطأ : ١٠٩/١ .
(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : ٥٩/١ .

مناقشة الأدلة :

إذا نظرنا الى الأدلة السابقة التى إستدل بها كل فريق من الفريقين نجد أنّ كل فريق يستدل بأدلة تتناقض مع أدلة الفريق الآخر مع أنّ الحق فى هذا الموضوع الذى نحن بصدده لا بد أن يكون بجانب فريق واحد لأنّ الحق لا يتعدد ، ولا يكون لصالح الفريقين المتناقضين فى آن واحد لأنّ ذلك من المستحيلات .

نناقش أولا أدلة القائلين بجواز السفر إلى زيارة قبر النبى — صلى الله عليه وسلم — ونبدأ بالآية الكريمة التى إستدلوا بها وهى قوله تعالى :

﴿ . . . ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾(١).

قبل أن نصل إلى القول بأن الآية تصلح للإستدلال لما نحن بصدده أو عدم صلاحيتها نذكر أقوال المفسرين سلفا وخلفا ومعاصرين فى تفسيرها ومن ثم يتبين صلاحيتها لما استدل بها له .

يقول أبو جعفر الطبرى — رحمه الله — :

" يعنى بذلك جل ثناؤه ، ولو أنّ هؤلاء المنافقين الذين وصف صفتهم فى هاتين الآيتين(٢) الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدودا إذ ظلموا أنفسهم باكتسابهم إياها العظيم من الإثم فى إحتكامهم إلى الطاغوت وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها ... جاءوك تائبين منيبين ، فسألوا الله أن يصفح لهم عن

---

(١) النساء : ٦٤ .

(٢) يقصد الآيتين ٦٠ — ٦١ من سورة النساء .

عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم وسأل الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك ، وذلك هو معنى قوله : ﴿ . . . فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول . . . ﴾ وأمّا قوله : ﴿ لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ يقول رجعا لهم مما يكرهون إلى ما يحبون ﴿ رحيما ﴾ بهم في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه ". (١)

ويقول إبن كثير - رحمه الله - :

" يرشد تعالى العصاه المذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فانهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال : ﴿ لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ ." (٢)

ويقول إبن الجوزي - رحمه الله - :

وقوله تعالى : ﴿ ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم ﴾ يرجع إلى المتحاكمين اللذين سبق ذكرهما . قال إبن عباس : ظلموا أنفسهم بسخطهم قضاء الرسول : ﴿ . . . جاءوك فاستغفروا الله ﴾ من صنيعهم ". (٣)

ويقول الشوكاني - رحمه الله - :

" ﴿ . . . إذ ظلموا أنفسهم . . . ﴾ بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك ﴿ . . . جاءوك . . . ﴾ متوسلين إليك منتصلين عن جناياتهم

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري ٨/٥١٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٥١٩ .

(٣) زاد المسير ٢/٢٢٣ .

ومخالفتهم ﴿ فاستغفروا الله ﴾ لذنوبهم وتضرعوا إليك حتى قمت شفيعـــا فاستغفرت لهم " .(١)

ويقول الشهيد سيد قطب - رحمه الله - :

" . . . والذين يتناولهم هذا النص ابتداء كان لديهم فرصة استغفار الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وقد انقضت فرصتها ، وبقي باب الله مفتوحا لا يغلـــق ، ووعده قائم لا ينقضي ، فمن أراد فليقدم ، ومن عزم فليتقدم ".(٢)

من هذه الأقوال التي ذكرناها في هذا المقام يتبين لنا أن المفسريـــن سلفا وخلفا ، ومعاصرين فهموا أنّ الآية وردت في قوم معينين في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا تتعدى إلى ما بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - لأنّ حياته البرزخية مخالفة تماما لحياته في الدنيا ولا يأخذان حكما واحدا .(٣)

يقول ناصر الدين الألباني :

" . . . فحياة الأنبياء بعد الموت حياة برزخية ، ولنبينا - صلى الله عليه وسلم - فيها من الخصائص ما ليس لغيره . . . ولكـــن لا يجوز التوسع في ذلـــك بالأقيسة والأهواء ".(٤)

---

(١) فتح القدير ١/٤٨٣

(٢) في ظلال القرآن ٢/٦٩٦

(٣) وأما حكاية العتبي التي يوردها بعض المفسرين في تفسير هذه الآية فهي قصة لا يثبت بها حكم شرعي لأنها مترددة بين أن يكون مصدرها رؤيا منامية والرؤيا المنامية لا تصلح أن تكون دليلا شرعيا باستثناء رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين أن يكون مصدرها نداء مجهول سمع من قبر النبي صلى الله عليه وسلم وروى بسند مرسل لا تقوم به الحجة أيضا . انظر نص القصة في تفسير ابن كثير ١/٥٢ وتفسير القرطبي ٥/٢٦٧ .

(٤) الآيات البينات في عدم سماع الأموات ص ٧٩ هامش رقم (٢) .

وعلى هذا لا يمكن الاستدلال بها لما نحن بصدده ، وكذلك لا يقال أنّ المجيء إلى قبر الرجل مثل المجيء إلى الرجل لا لغة ولا شرعا ولا عرفا .

يقول محمد بن بشير السهسواني في كتابه صيانة الإنسان :

" والمجيء إلى قبر الرجل ليس من أفراد المجيء إلى الرجل لا لغة ولا شرعا ولا عرفا ، فإن المجيء إلى الرجل ليس معناه إلا المجيء إلى عين الرجل ، ولا يفهم منه أصلا أمر زائد على هذا ". (١)

وأما توبة الله ورحمته المذكورتان في الآية التي نحن بصددها فلا يمكن أن ينالهما أحد بعد موته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لأنّ محلهما وقت حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يظهر من أقوال المفسرين السابقة الذكر .

يقول صاحب كتاب صيانة الإنسان :

" فإن الأمور الموجبة لتوبة الله ورحمته هي المذكورة في الآية وإنما هي المجيء إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحياة بعد الظلم وإستغفارهم عنده في الحياة بعد الظلم ، وإستغفار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم في الحياة بعد الظلم ، وفي زيارة القبر لا يوجد واحد من هذا ". (٢)

وخلاصة القول أن هذه الآية لا يمكن أن يستدل بها للموضوع الذي نحن بصدده للأمور التي بيناها سابقا لأنّ حكمها منحصر في حال حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يتعدى إلى ما بعد وفاته .

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ٢٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١ .

وإذا بطل إستدلالهم بالآية الكريمة فلننظر إلى ما يستدلون به من السنة لنرى مدى صلاحيتها للاستدلال الذى ذهبوا اليه .

الحديث الأول :

قال الدارقطنى : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ثنا أبو الربيع بن أبى داود عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن إبن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من حج فزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى) .(١)

ففى إسناد هذا الحديث راويان ضعيفان وهما حفص بن أبى داود ويقال حفص بن سليمان أبو عمر الأسدى الكوفى البزار القارى فقد جرحه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل ، ونذكر هنا طرفا من أقوالهم تجاه هذا الشخص الذى نحن بصدده .

قال البخارى - رحمه الله - : " تركوه " .(٢)

وقال أيضا : " سكتوا عنه "(٣)

وقال ابن حبان :

" كان يقلب الأسانيد ويرفع العراسيل ، وكان يأخذ كتب الناس فينسخها ويرويها من غير سماع " .(٤)

وقال أبو حاتم الرازى :

" لا يكتب حديثه وهو ضعيف الحديث " .(٥)

---

(١) سنن الدارقطنى ٢ / ٢٧٨ .

(٢) التاريخ الكبير ٢ / ٣٦٣ .

(٣) التاريخ الصغير ٢ / ٢٥٦ .

(٤) المجروحين ١ / ٢٥٥ .

(٥) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٣ / ١٧٤ .

وقال الذهبي :

" ثبت في القراءة والحروف ، واه في الحديث ". (١)

وأما الشخص الثاني وهو ليث بن أبي سليم فقد ضعفه غير واحد من أئمة هذا الشأن .

ونذكر هنا طرفا من أقوالهم تجاهه :

قال الإمام أحمد بن حنبل :

" ليث بن أبي سليم مضطرب الحديث " (٢)

وقال النسائي :

" ليث بن أبي سليم ضعيف ". (٣)

وقال ابن حبان :

" إختلط في آخر عمره حتى كان لا يدري ما يحدث به فكان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ويأتي عن الثقات بما ليس في أحاديثهم ، كل ذلك كان منه في اختلاطه ". (٤)

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني :

" صدوق اختلط أخيرا ولم يتميز حديثه فترك ". (٥)

من هذه الأقوال يتبين لنا أن هذا الحديث ضعيف وآفته وجود شخصين ضعيفين في إسناده ومن ثم لا يمكن أن يحتج به في

---

(١) المغني في الضعفاء ١/١٧٩ .

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/١٧٩ .

(٣) الضعفاء والمتروكين ص ٩ .

(٤) المجروحون ٢/٢٣١ .

(٥) تقريب التهذيب ٢/١٣٨ .

هذا المقام لخروجه من دائرة الاحتجاج .

الحديث الثاني :

قال ابن عدى : حدثنا على بن إسحاق ثنا محمد بن محمد بن النعمان بن شبل حدثني جدى عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني) (١)

ففي إسناد هذا الحديث شخصان ضعيفان وهما النعمان بن شبل وحفيده محمد بن محمد بن النعمان بن شبل .

وأما الأول وهو النعمان بن شبل فقد جرحه غير واحد من أئمة هذا الشأن .

ونذكر هنا طرفا من أقوالهم تجاه هذا الشخص :

قال ابن حبان :

" يأتي عن الثقات بالطامات وعن الأثبات بالمقلوب " (٢) .

وقال ابن عدى :

" لم أر في حديثه حديثا قد جاوز الحد " . (٣)

وقال أيضا :

" ثنا صالح بن أحمد بن أبي مقاتل ثنا عمران بن موسى ثنا النعمان بن شبل وكان ثقة " . (٤)

---

(١) الكامل لابن عدى ٧ / ٢٤٨٠ .

(٢) المجروحين ٣ / ٧٣ .

(٣، ٤) الكامل لابن عدى ٧ / ٢٤٨٠ .

وقال أيضا :

" سمعت إبراهيم بن محمد بن عيسى يقول : سمعت موسى بن هارون الحمال يقول : النعمان بن شبل البصرى كان متهما ". (١)

وقال الذهبى فى ترجمة محمد بن محمد بن النعمان بن شبل :

" وأنا رأيت له عن جده النعمان بن شبل عن مالك ، فما أعتقده لقى مالكا ". (٢)

وأما الشخص الثانى وهو محمد بن محمد بن النعمان بن شبل فقد جرحه غير واحد من النقاد .

ونذكر هنا طرفا من أقوالهم تجاهه :

قال الذهبى :

" روى عنه أبو روق الهزانى ، قد طعن فيه الدارقطنى واتهمه" (٣)

وقال أيضا :

" شيخ أبى روق ، طعن فيه الدارقطنى واتهمه ، وأنا فقد رأيت له عن جده عن مالك ، فما أعتقد لقى مالكا ". (٤)

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى :

" روى عنه أبو روق الهزانى وقد طعن فيه الدارقطنى ". (٥)

وقال أيضا :

" متروك ". (٦)

---

(١) الكامل لابن عدى ٧ / ٢٤٨٠ .

(٢) المغنى فى الضعفاء ٢ / ٦٢٩ .

(٣) ميزان الاعتدال ٤ / ٢٦ .

(٤) المغنى فى الضعفاء ٢ / ٦٢٩ .

(٥) لسان الميزان ٥ / ٣٥٨ .

(٦) تقريب التهذيب ٢ / ٢٠٥ .

من هذه الأقوال التي أوردناها في هذا المقام يتبين لنا أن هذا الحديث ضعيف لوجود شخصين ضعيفين ومن ثم لا يمكن أن يستدل به لما نحن بصدده لخروجه من دائرة الاحتجاج . إضافة الى ذلك أن ابن الجوزي قد أورد هذا الحديث في الموضوعات .(١)

وخلاصة القول أنّ هذا الفريق ليس لهم أدلة صحيحة تدل على ما ذهبوا إليه من تجويز السفر إلى زيارة قبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا من الكتاب ولا من السنة كما يظهر من مناقشة أدلتهم بل لم يرد حديث صحيح في زيارة قبره : لا من قريب ولا من بعيد كما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث قال :

لم يثبت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديث واحد في زيارة قبر مخصوص ولا روى أحد في ذلك شيئا لا أهل الصحيح ولا السنن ولا الأئمة المصنفون في المسند كالإمام أحمد وغيره وإنما روى ذلك من جمع الموضوع وغيره . وأجلّ حديث روى في ذلك ما رواه الدارقطني وهو ضعيف باتفاق أهل العلم بل الأحاديث المروية في زيارة قبره ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكذوبة وموضوعة ، لكن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رخص في زيارة القبور مطلقا بعد أن كان قد نهى عنها ".(٢)

ولهذا نرجّح ما ذهب إليه الفريق الآخر من منع شد الرحال إلى زيارة قبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعدم مشروعيتها لا في الكتاب ولا في السنة بل أنها داخلة في عموم النهي عن شد الرحال إلى أي

---

(١) كتاب الموضوعات ٢ /٢١٧ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٠٠ ـ ٤٠١ .

مكان للعبادة إلّا المساجد الثلاثة مع أنّه لم يثبت ما يخصص ذلك العمـوم .

ولا يفهم من هذا أنّ زيارة قبر النبى — صلى الله عليه وسلم — غير مشروعة كما يقول المرجفون وإنّما هى مشروعة لمن كان فى المدينة وضواحيها وإن لم يرد بها نص صحيح بها خاصة لدخولها دخولا أوليا فى ترخيصه — صلى الله عليه وسلم — زيارة القبور مطلقا بشرط أن لا يترتب عنها شد الرحال ، وأما إن ترتب عنها شد الرحال فالأدلة الثابته ناطقة بالمنع لأن الفاصل بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية هو شد الرحال إذا اقتصر على الفعل المشروع من دعاء للأموات والسلام عليهم والاستغفار لهم .

الخاتمة

الخاتمـــــــــة

لقد تم بعون الله تعالى وتوفيقه هذا البحث المتواضع مع أنّي أعترف أنّه لا يخلو من نقص بشرى الذى هو سمة البشر لأنّ الكمال لله وحده وأنّ العصمة لمن عصمه الله من نبى من أنبيائه - عليهم الصلاة والسلام .

وعلى هذا ينطبق على بحثنا هذا ما قيل قديما أنّه لا يكتب إنسان كتابا إلاّ قال فى غده لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هنا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على البشر .

ومع أنّ البحث كله يعتبر نتائج فانّى أسجل أهمّ النتائج التى توصلت اليها أثناء البحث :

١ - أنّ الله -سبحانه وتعالى - إختار نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم - لحمل الرسالة الخاتمة ليبلغه للناس كافة بعد إعداده إعدادا يؤهله لحملها .

٢ - إنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم - قد مارس الدعوة سرا وجهرا وأدّى الأمانة على أكمل وجه طوال فترة البعثة .

٣ - أنّ الابتلاء سنّة من سنن الله فى طريق الدعاة لا ينفك منها أحد من الرسل ومن سلك طريقهم ، وأنّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد مر بذلك الإبتلاء ونجح فيه بفضل الله ومنه .

٤ - أنّ الله - سبحانه وتعالى - قد أكمل لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - الرسالة قبل أن يلتحق بالرفيق الأعلى وأنّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد طبقها في واقع الحياة طوال فترة البعثة ومن ثمّ فانّ الدين الإسلامى غنى عن الإضافات والزيادات والتغييرات مهما كان شكلها .

٥ - أنّ الزيادة فى الدين يعتبر إستدراكا على الشارع وسوء أدب مع رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

٦ - أنّ مكانة النبى - صلى الله عليه وسلم - عند الله عظيمة ومن ثم فقد أوجب الله على المسلمين أن يتأدّبوا معه - صلى الله عليه وسلم - حيّا وميّتا بأنواع من الآداب التى تليق لمكانته من توقير وتعظيم .

٧ - أنّ تأدّب المسلم مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - يوءدى إلى الالتزام بضوابط الشريعة فى كل ناحية من نواحى الحياة وبالتالى يفوز فى الدارين .

٨ - أنّ تأدّب المسلم مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - يوءدى إلى إستحضار سيرته والمنهج الذى رسمه طوال ثلاث وعشرين سنة وبالتالى يوءدى إلى القيام بالإسلام قولا وعملا وتطبيقه تطبيقا شاملا لكليات الإسلام وجزئياته .

٩ - انّ التأدّب مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدخل تحته

الدين كله ، لأنّ التأدّب معه يؤدى بالضرورة التأدّب مع شرعه والإلتزام بما جاء به - صلى الله عليه وسلم - من وحى سواء كان قرآنا أو سنة .

١٠- إنّ التأدّب معه - صلى الله عليه وسلم - وسط بين الغلو والتقصير وأنّ العاطفة والمحبة لا يصلحان أن يكونا مصدرا للتأدّب معه دون الرجوع إلى الكتاب والسنة والإلتزام بهما فى هذا المجال .

١١ - إنّ كثيرا من الأمور التى تفعل حبّا له - صلى الله عليه وسلم - مصدرها أدلّة واهية أو منامات أو استحسان بعض العلماء أو قياس مع الفارق أو تأويلات باطلة أو أغراض دنيوية بحتة .

١٢ - أنّ ما عليه الأكثرية لا يؤدى بالضرورة إلى أنّه حق ، بل إنّ الحق ما ثبت فى القرآن أو فى السنة أو فيهما معا وليس للأكثرية وزن ما دامت لا تستند إلى أدلّة صحيحة .

١٣ - إنّ كثيرا من البدع قد انتشرت وخاصة فى مجال التأدّب مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - بسبب سكوت أهل العلم عن إنكارها وبيان حقيقتها حتى إنقلب الأمر رأسا على عقب وأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ،،،،،،،،،

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع غير القرآن الكريم على حروف المعجم .

(أ)

١ — آثار المدينة — لعبد القدوس الأنصاري .
الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣م ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٢ — آداب المجتمع في الإسلام — لمحمد جمال الدين رفعت .
الناشر : إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر .

٣ — الإبداع في مضار الابتداع — للشيخ علي محفوظ .
دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

٤ — أحكام القرآن — للإمام أبي بكر محمد بن عبيد الله المعروف بابن العربي .
بتحقيق علي محمد البجاوي .
الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧م . دار إحياء الكتب العربية .

٥ — أحكام القرآن — للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص .
الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٦ — إصلاح المساجد من البدع والعوائد — لمحمد جمال الدين القاسمي .
خرج أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني .
الطبعة الخامسة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٧ — أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن — لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .
الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ — ١٩٧٩م .

٨ - الاعتصام - للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبى .
دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
بيروت ، لبنان .

٩ - الأعـلام - لخير الدين بن محمود الزركلى .
الطبعة الثالثة .

١٠ - اقتضاء الصراط المستقيم - مخالفة أصحاب الجحيم - لشيخ الإسـلام
ابن تيمية . بتحقيق محمد حامد الفقى .
الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م مطبعة السنة المحمدية .

١١ - الآيات البينات فى عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات .
للعلامة نعمان بن محمود الألوسى
بتحقيق وتعليق : محمد ناصر الدين الألبانى .
الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ المكتب الاسلامى .

١٢ - الإيمان - لشيخ الإسلام ابن تيميـة .
بتصحيح وتعليق د . محمد خليل هراس .
دار الطباعة المحمدية - مصر .

١٣ - الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث .
للحافظ ابن كثير مع شرح وتعليق أحمد محمد شاكر .
الطبعة الثالثة - مكتبة ومطبعة على صبيح وأولاده بالقاهرة .

(ب)

١٤ - الباعث على إنكار البدع والحوادث - لأبى محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن
إبراهيم المعروف بأبى شامه .
دار الأصفهانى وشركاه بجده .

١٥ ـ البحـر الرائق شرح كنز الدقائق ـ للعلامة زين الدين بن نجيم الحنفى .
الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشـر والتوزيع .

١٦ ـ البداية والنهاية ـ لأبى الفداء إسماعيل بن كثير .
الطبعة الثانية ١٩٧٧ م ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان .

١٧ ـ البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها ـ للدكتور عزت على عيد عطية .
دار الكتب الحديثة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م القاهرة .

١٨ ـ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ـ لمحمد بن محمـــد
ابن يعقوب الفيروزآبادى .
الناشر : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء
التراث الإسلامى ١٣٨٣ هـ القاهرة .

١٩ ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ـ لجلال الديـــــن
عبد الرحمن السيوطى .
بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤م مطبعة عيســـــى
البابى الحلبى وشركاه .

٢٠ ـ بهجة المحافل وبغية الأماثل : للإمام عماد الدين يحيى بن أبى بكر
العـــــامرى .
المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

(ت)

٢١ - تاريخ الاحتفـال بالمولد النبوى - لحسن السندوبى .
مطبعة الاستقامة ١٩٤٨م .

٢٢ - التاريخ الصغير - لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى .
بتحقيق محمود إبراهيم زايد .
الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م دار الوعى بحلب .

٢٣ - التاريخ الكبير - لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى .
دار الكتب العلمية - بيروت لبنان .

٢٤ - تأملات فى سورة الأحزاب - للدكتور حسن محمد با جودة .
مطابع الصفا ١٤٠٣ هـ مكة المكرمة .

٢٥ - تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى - للحافظ أبى العلى محمد
عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى .
بمراجعة وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان .
الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م دار الفكر للنشر والتوزيع.

٢٦ - الترغيب والترهيب - لزكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى.
مكتبة الإرشـاد .

٢٧ - التسهيل فى علوم التنزيل - للإمام أبى القاسم محمد بن أحمد بن
جزى الكلبى . بتحقيق محمد عبد المنعم اليونسى ،
وإبراهيم عطوة عوض . دار الكتب الحديثة .

٢٨ — تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة — للحافظ أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى .

الناشر : دار الكتاب العربية — بيروت ، لبنان .

٢٩ — التعريفات — للعلامة على بن محمد الشريف الجرجانى .

مكتبة لبنان ١٩٦٩م لبنان .

٣٠ — تفسير البحر المحيط — لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى .

الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٣١ — تفسير البغوى المسمى بمعالم التنزيل المطبوع بهامش تفسير الخازن .

لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى .

الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥م مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

٣٢ — تفسير سورة النور — لأبى الأعلى المودودى .

تعريب محمد عاصم الحداد . دار الفكر .

٣٣ — التفسير السياسى للسيرة — للدكتور محمد قلعتجى .

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م ، بيروت / حلب .

٣٤ — تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير — لأبى الفداء إسماعيل بن كثير .

دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢م .

٣٥ — تفسير الكبير — للإمام الفخر الرازى .
الطبعة الثانية
الناشر : دار الكتب العلمية ، طهران .

٣٦ — تقريب التهذيب — للحافظ أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى . بتحقيق وتعليق عبد الوهاب عبد اللطيف .
الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥م دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت — لبنان .

٣٧ — تهذيب الأسماء واللغات — للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى .
المطبعة المنيرية .

٣٨ — تهذيب الفروق المطبوع بهامش الفروق — للشيخ محمد على بن الشيخ الحسين .
دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٩ — تهذيب اللغة — لأبى منصور محمد بن أحمد الازهرى .
بتحقيق عبد السلام محمد هارون — ومراجعة محمد على النجار .
دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤م .

(ث)

٤٠ — الثقات — للإمام الحافظ محمد بن حبان البستى .
الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣م .
مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن — الهند .

(جـ)

٤١ ــ جامع بيان العلم وفضله ــ للإمام أبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى .
دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان .

٤٢ ــ جامع البيان فى أحكام القران ــ المعروف بتفسير الطبرى .
تحقيق محمود محمد شاكر ومراجعة أحمد محمد شاكر .
مطبعة المعارف بمصر .

٤٣ ــ جامع العلوم والحكم ــ لزين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلى .
دار الفكر ــ بيروت ، لبنان .

٤٤ ــ الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبى ــ لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى .
الطبعة الثانية .

٤٥ ــ جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام ــ للإمام ابن قيم الجوزية .
بتحقيق الشيخ طه يوسف شاهين .

(ح)

٤٦ ــ الحاوى للفتاوى ــ لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى .
دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢م .

٤٧ ــ حجة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لمحمد ناصر الدين الألبانى .
الطبعة السابعة ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥م المكتب الإسلامى .

٤٨ — حسن التوسل فى زيارة أفضل الرسل — لعبد الله بن أحمد الفاكهى .
وهو بهامش كتاب إتحاف الأشراف للشبراوى .
المطبعة الأدبية ١٣١٩ هـ القاهرة .

(خ)

٤٩ — خصائص التصور الإسلامى — للشهيد سيد قطب .
دار القرآن الكريم ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨م .
بيروت — دمشق .

(د)

٥٠ — دراسة فى السيرة — للدكتور عماد الدين خليل .
الطبعة السادسة ١٤٠٢ هـ — ١٩٨١م .
طبعة مؤسسة الرسالة — دار النفائس — بيروت ، لبنان .

٥١ — الدر المنثور فى التفسير بالمأثور — لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى .
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان .

٥٢ — الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها — للدكتور أحمد أحمد غلوش .
طبعة دار الكتاب المصرى ودار الكتاب اللبنانى .

٥٣ — دلائل النبوة : للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى .
طبعة عالم الكتب .

٥٤ — الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب .
بتحقيق د . محمد الأحمدى أبو النور .
دار التراث للطباعة والنشر — القاهرة .

٥٥ — ديوان زهير بن أبي سلمى — بتحقيق وشرح كرم البستاني .
دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر
بيروت ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠م .

(ذ)

٥٦ — الذريعة إلى مكارم الشريعة — للشيخ أبي القاسم الحسن بن محمد
الراغب الأصفهاني .
الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣م مكتبة الكليات
الأزهرية — القاهرة .

٥٧ — ذكرى المولد النبوي — خلاصة السيرة النبوية وحقيقة الدعوة الإسلامية .
لمحمد رشيد رضا .
الطبعة الأولى ١٣٣٥ هـ مطبعة المنار بمصر .

(ر)

٥٨ — رسالة المسترشدين — لأبي عبد الله الحارث بن راشد المحاسبي .
تحقيق عبد الفتاح أبو غده .
الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ — ١٩٧١م بمكتب المطبوعات الإسلامية .
بيروت — لبنان .

٥٩ — روح المعاني في تفسير القرآن العظيم — للعلامة أبي الفضل
محمود الألوسي .
دار إحياء التراث العربي — بيروت — لبنان .

٦٠ ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ـ للحافظ محمد بن حبان البستي .
بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ومحمد عبد الرزاق
حمزة ، ومحمد حامد الفقي .
دار الكتب العلمية ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م بيروت .

٦١ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ـ لشمس الدين ابن قيم الجوزية .
مكتبة الجامعة ـ القاهرة .

(ز)

٦٢ ـ زاد المسير في علم التفسير ـ للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي .
الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤م المكتب الإسلامي
للطباعة والنشر . بيروت ، لبنان .

٦٣ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد ـ للإمام شمس الدين أبي عبد الله
محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية
بتحقيق شعيب الأرناؤوط وأخيه عبد القادر .
الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م ـ مؤسسة الرسالة بيروت .

٦٤ ـ زيارة القبور الشركية والشرعية ـ للإمام الحجة محيي الدين محمد البركوي .
مؤسسة النور للطباعة والتجليد ـ الرياض .

(س)

٦٥ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة ـ لمحمد ناصر الدين الألباني .
الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ المكتب الإسلامي
بيروت ـ دمشق .

٦٦ ـ سنن ابن ماجه ـ للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني .
بتحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي .
دار احياء الكتب العربية ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٣م .

٦٧ — سنن أبي داود — للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني . بمراجعة وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد .
الناشر : دار إحياء السنة النبوية .

٦٨ — سنن الترمذي — للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .
تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف .
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣م دار الفكر — بيروت .

٦٩ — سنن الدارقطني — للحافظ علي بن عمر الدارقطني . وبذيله التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيب محمد شمس الحق أبادي .
شركة الطباعة الفنية المتحدة .

٧٠ — سنن الدارمي — للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي .
دار الفكر ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨م القاهرة .

٧١ — السنن الكبرى — للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي .
وبذيله الجوهر النقي لعلاء الدين المعروف بابن التركماني .

٧٢ — سنن النسائي — للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي . مع شرح السيوطي وحاشية السندي .
الطبعة الأولى — ١٣٤٨ هـ — ١٩٣٠م المطبعة المصرية بالأزهر .

٧٣ — سيرة ابن هشام — لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري .
بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد
مطبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة — القاهرة .

٧٤ — سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم — للدكتور محمد عزت دروزة .
الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥م
مطبعة عيسى الحلبى .

٧٥ — السيرة النبوية — للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير .
بتحقيق مصطفى عبد الواحد .
الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨م دار الفكر —
بيروت — لبنان .

(ش)

٧٦ — شرح أدب الكاتب — لأبى منصور موهوب بن أحمد الجواليقى .
مكتبة القدس ١٣٥٠ هـ القاهرة .

٧٧ — الشفا بتعريف حقوق المصطفى — للقاضى عياض بن موسى بن عياض اليحصبى .
بتحقيق على محمد البجاوى .
دار الكتب العربى — بيروت ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤م

٧٨ — شفاء السقام — للشيخ على بن عبد الكافى تقى الدين السبكى .
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن
الهند ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢م .

(ص)

٧٩ — الصارم المسلول على شاتم الرسول — لشيخ الإسلام ابن تيمية .
بتحقيق وتعليق محمد محيى الدين عبد الحميد
دار الفكر .

٨٠ — صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء — لأبى العباس أحمد بن على القلقشندى .
مطابع كوستاسوماس وشركاه .

٨١ — الصحاح — تاج اللغة وصحاح العربية — لإسماعيل بن حماد الجوهرى .
بتحقيق أحمد عبد الغفور عطا .
الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩م دار العلم للملايين — بيروت .

٨٢ — صحيح البخارى — للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى .
ومعه حاشية السندى .
دار المعرفة للنشر والتوزيع — بيروت — لبنان .

٨٣ — صحيح مسلم — للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى .
بتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقى .
دار إحياء التراث العربى — بيروت — لبنان .

٨٤ — صحيح مسلم بشرح النووى — للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى .
دار الفكر للنشر والتوزيع ١٤٠١ هـ — ١٩٨١م .

٨٥ — صفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم — لمحمد ناصر الدين الألبانى .
الطبعة الحادية عشر ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣م
المكتب الإسلامى — بيروت — لبنان .

٨٦ — صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان — للعلامة محمد بشير السهسوانى .

الطبعة الثانية ١٣٧٨ هـ المطبعة السلفية ومكتبتها — مصر .

(ض)

٨٧ — الضعفاء الصغير — للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى .

بتحقيق محمود بن إبراهيم زايد

الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ دار الوعى بحلب .

٨٨ — الضعفاء والمتروكون — للحافظ أبى الحسن على بن عمر الدارقطنى .

بتحقيق ودراسة موفق بن عبد الله بن عبد القادر .

الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤م مكتبة المعارف — الرياض .

٨٩ — الضعفاء والمتروكون — للإمام الحافظ أبى عبد الرحمن بن أحمد بن شعيب النسائى .

بتحقيق محمود إبراهيم زايد .

دار الوعى — حلب .

(ط)

٩٠ — طبقات المفسرين — للحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى .

بتحقيق على محمد عمر .

الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢م مطبعة الاستقلال الكبرى .

(ظ)

٩١ — ظهور دولة الفاطميين وسقوطها في مصر — للدكتور عبد المنعم ماجـــــد .

الطبعة الثانية ١٩٧٦م دار المعارف بمصر .

(ع)

٩٢ — عرف التعريف بالمولد الشريف — لشمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن الجزري .

مخطوط بمكتبة الحرف الشريف ضمن مجاميع ٦ / ٤٧٣ سيرة نبوية وصورة منه في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى .

٩٣ — العقائد الإسلامية — دار الكتب الحديثة ١٣٨٧ هـ ١٩٨٧م القاهرة .

٩٤ — العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع — للدكتـــور محمد بيصار .

الطبعة الرابعة ١٩٧٣م — دار الكتاب اللبناني — بيروت .

٩٥ — عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير — اختيار وتحقيق أحمد محمد شاكر .

دار المعارف بمصر — ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧م .

٩٦ — عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة — لأبي الحسن علي بـــن محمد بن عبد الرحمن بن هذيل .

الطبعة الثانية ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٨م مطبعة مصطفـــى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

(غ)

٩٧ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان - لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري .
بتحقيق إبراهيم عطوة عوض .
الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

٩٨ - غريب الحديث - لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي .
بتعليق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي .
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(ف)

٩٩ - الفائق في غريب الحديث - لجار الله محمود بن عمر الزمخشري .
بتحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم .
الطبعة الثانية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

١٠٠ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
بتحقيق وتصحيح الشيخ عبد العزيز بن باز .
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٠١ - الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد - لأحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي .
الطبعة الأولى - مطبعة الإخوان المسلمون - القاهرة .

١٠٢ — فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير — لمحمد ابن على بن محمد الشوكانى .

الطبعة الثانية — ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤م — شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى .

١٠٣ — الفروق فى اللغة — لأبى هلال العسكرى .

الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣م منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت — لبنان .

١٠٤ — فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم — للإمام إسماعيل بن إسحاق القاضى .

بتحقيق محمد ناصر الدين الألبانى .

الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧م المكتب الإسلامى — بيروت .

١٠٥ — فقه السيرة — للشيخ محمد الغزالى .

خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألبانى .

طبع على نفقة أمير قطر .

١٠٦ — الفوائد — لشمس الدين ابن قيم الجوزية .

الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

١٠٧ — فى ظلال القرآن — للشهيد سيد قطب .

الطبعة الشرعية التاسعة ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠م .

دار الشروق — بيروت .

١٠٨ — فى منزل الوحي — لمحمد حسن هيكل
الطبعة الخامسة — دار المعارف بمصر .

(ق)

١٠٩ — قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة — لشيخ الإسلام ابن تيمية .
المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٧٤ هـ القاهرة .

١١٠ — القاعدة المراكشية — لشيخ الإسلام ابن تيمية .
بتحقيق د . ناصر بن سعيد الرشيد والأستاذ رضا نعسان معطي
الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع — الرياض .

١١١ — القاموس المحيط — لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى .
الموءسسة العربية للطباعة والنشر — بيروت — لبنان .

١١٢ — قواعد الأحكام فى مصالح الأنام — للإمام أبى محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمى .
مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨م القاهرة .

١١٣ — القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع — للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى .
الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣م مطبعة الأنصار بيروت.

(ك)

١١٤ — الكامل فى ضعفاء الرجال — للحافظ أبى أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى .
الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤م .
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — لبنان .

١١٥ ـ الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ـ لجار الله محمود
ابن عمر الزمخشري . مع كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف
من الإعتزال . للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير
الإسكندري . دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان .

(ل)

١١٦ ـ لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ـ للحافظ تقي الدين محمد
ابن فهد المكي .
مطبعة التوفيق ١٣٤٧ هـ . دمشق .

١١٧ ـ لسان العرب ـ لابن منظور محمد بن مكرم الانصاري .
دار صادر ودار بيروت ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م .

١١٨ ـ لسان الميزان ـ للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١م .
منشورات موسسة الأعلمي للمطبوعات .

(م)

١١٩ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ لأبي الحسن علي الندوي .
الطبعة السادسة ١٩٦٥م ـ ١٣٨٥هـ .
دار الكتاب العربي ـ بيروت .

١٢٠ ـ المجروحون عن المحدثين والضعفاء والمتروكين ـ للإمام محمد بن
حبان البستي . بتحقيق محمود إبراهيم زايد .
الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ـ دار الوعي بحلب .

١٢١ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — للحافظ نور الدين على بن أبى بكـــر الهيثمى .
الطبعة الثانية ١٩٦٧م دار الكتب العربية — بيروت .

١٢٢ — المجموع شرح المهذب — للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى .
مطبعة الإمام بالقلعة — مصر .

١٢٣ — مجموع فتاوى — شيخ الإسلام ابن تيمية .
مكتبة المعارف — الرباط — المغرب .

١٢٤ — مجموعة الرسائل الكبرى — لشيخ الإسلام ابن تيمية .
مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده — مصر .

١٢٥ — المحلى — لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى .
بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر .
منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت لبنان .

١٢٦ — مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين — للإمـــام شمس الدين إبن قيم الجوزية .
بتحقيق محمد حامد الفقى .
دار الكتاب العربى ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢م بيروت — لبنان .

١٢٧ — المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات — لأبى عبد الله محمـــد ابن محمد العبدرى المعروف بابن الحاج .
مكتبة مصطفى الحلبى ١٣٨٠ هـ مصر .

١٢٨ ـ مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ـ ليوسف بن عزاوغلى المعروف بسبط ابن الجوزى .
مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ـ الهند .

١٢٩ ـ المستدرك على الصحيحين ـ للحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى . مع ذيله تلخيص المستدرك للذهبى .
دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .

١٣٠ ـ المسند ـ للإمام أحمد بن حنبل ـ وبهامشه منتخب من كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى .

١٣١ ـ مسند الإمام أحمد مع شرح الشيخ أحمد محمد شاكر .
دار المعارف بمصر ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠م .

١٣٢ ـ مشكاة المصابيح ـ للشيخ ولى الله محمد بن الخطيب العمرى التبريزى ـ بتحقيق محمد ناصر الدين الألبانى .
الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١م منشورات المكتب الإسلامى للطباعة والنشر .

١٣٣ ـ مشكل الآثار ـ للإمام أبى جعفر أحمد بن محمد الطحاوى .
دار صادر ـ بيروت ـ لبنان .

١٣٤ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ لأحمد بن محمد ابن علي المقري الفيومي . بتصحيح مصطفى السقا .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

١٣٥ ـ معجم متن اللغة ـ للشيخ أحمد رضا .
دار مكتبة الحياة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨م بيروت ـ لبنان .

١٣٦ ـ معجم مقاييس اللغة ـ لأبي الحسين أحمد بن فارس .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

١٣٧ ـ المعز لدين الله ـ للدكتورين / حسن إبراهيم حسن ، وطه أحمد شرف .
الطبعة الثانية ١٩٦٣م مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .

١٣٨ ـ المغني في الضعفاء ـ للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
بتحقيق وتعليق د . نور الدين عتر
الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م الناشر : دار المعارف بحلب .

١٣٩ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم .
لأحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده .
الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن ـ الهند

١٤٠ — مفردات فى غريب القرآن — للشيخ أبى القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى .
بتحقيق محمد سعيد الكيلانى .
الطبعة الأخيرة ١٣٨١ هـ — ١٩٦١م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

١٤١ — المنهاج فى شعب الإيمان — لأبى عبد الله الحسين بن الحسن الحليمى .
بتحقيق حلمى محمد فودة .
الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت .

١٤٢ — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار — لتقى الدين أحمد بن على المقريزى .
مؤسسة الحلبى وشركاه للتوزيع والنشر — القاهرة .

١٤٣ — مورد الصادى فى مولد الهادى — لشمس الدين محمد بن أبى بكر الشهير بابن ناصر الدين الدمشقى .
مخطوط بمكتبة الحرم الشريف ضمن مجاميع ١/٢٧٣ .
وصورة منه فى مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى .

١٤٤ — الموسوعة فى سماحة الإسلام — لمحمد صادق عرجون .
الناشر : مؤسسة سجل العرب . القاهرة
١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢م .

١٤٥ ـ الموضوعات ـ للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى .
بتحقيق وتقديم عبد الرحمن محمد عثمان .
الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦م المكتبة السلفية
بالمدينة المنورة .

١٤٦ ـ الموطأ ـ للإمام مالك بن أنس .
بتصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى
دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١م .

١٤٧ ـ ميزان الإعتدال ـ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى .
بتحقيق على محمد البجاوى .
الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣م دار إحياء الكتب العربية .

(ن)

١٤٨ ـ نسيم الرياض فى شرح الشفا القاضى عياض ـ للعلامة أحمد شهاب
الدين الخفاجى ـ وبهامشه شرح الشفا لعلى القارى .
دار الفكر .

١٤٩ ـ النهاية فى غريب الحديث والأثر ـ للإمام مجد الدين أبى السعادات
المبارك بن محمد بن الجزرى المعروف بابن الأثير .
بتحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحى .
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(و)

١٥٠ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ لأبى العباس أحمد بن محمد بن
أبى بكر بن خلكان . بتحقيق د . إحسان عباس .
دار صادر ـ بيروت ـ لبنان .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعـــــات

الموضـــــوع	رقم الصفحـــة

الموضـــــــــوع	رقم الصفحـــة

الموضـــوع	رقم الصفحـــة

الموضـــــوع	رقم الصفحة